
من المسرح العالمى
عسكر ولصوص
أو
نيد كيللى
تأليف الشاعر الاسترالى : دوجلاس ستيوارت
ترجمة : عبد الله فاضل فارع
تقديم : د . على الحديدى
مراجعة : عبد العزيز حسين

مسلسلة

من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. محمد اسماعيل الموافي
استاذ مساعد الأدب الانجليزي بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الارشاد والانباء
صندوق بريد ١٩٣

من المسرح العالمي

١٧

أول فبراير ١٩٧١

شهرية

عسكر ولصوص
أو
نيد كيلي

تأليف الشاعر الاسترالى : دوجلاس ستيوارت

ترجمة : عبد الله فاضل فارغ

تقديم : د. على الحديدى

مراجعة : عبد العزيز حسين

تصدر عن : وزارة الارشاد والانباء - الكويت

العنوان الاصلي للمسرحية

DOUGIAS STEWART

NED KELLY.

PENGUIN BOOKS, 1963

مقدمة بقلم الدكتور
علي الحديدي

أرى لكي يستمع القاريء بمسرحية نيد كيللي الاسترالية، ولكي يحدد على أرض الواقع شخصية بطلها اشهر الزعماء لعصابات قطاع الطرق في استراليا ، وحتى يعيش الأحداث والمواقف فى المسرحية ، ويتفهم الصراع الدائر فيها بين الشر المحبب الى الجماهير والخير البغيض إلى العامة ، لابد له من مقدمة توضح الخلفية التاريخية والنفسية والشعورية لموطن المسرحية وزمانها ، وتلقى الضوء على التركيبة العجيبة التى امتزج فيها العداء بين الأرض والناس والظروف لينبت مجتمعا يظهر فيه « نيد كيللى » – روبين هود استراليا – وآخر ملوك الطريق فيها .

الارض المجهولة

ظلت استراليا ملايين السنين ، قبل تاريخ البشرية وخلال الجزء الأكبر من تاريخ الحضارة الإنسانية ، تقع بين المحيط الباسفيكى والمحيط الهندى ، منعزلة عن العالم ومحجوبة عنه ، بعد أن فصلتها البراكين والزلازل عن آسيا أو أمريكا الجنوبية من زمن يمعن فى الأغوار المظلمة من التاريخ المجهول .

لكن وجود أستراليا لم يكن مجهولا تماما لدى بعض جيرانها الشماليين فى آسيا من جنس « الملايو » ، «والبولونيز» فقد كانت معروفة لهم معرفة غير محددة . وقد قاموا بزيارات متعددة لساحلها الشمالى ، منها زيارات تقليدية مازالت تحدث حتى اليوم لصيد السمك أو اللؤلؤ ، وزيارات يضطرون اليها اضطرارا حيث تدفع الأنواء قواربهم فتضل الطريق وتسير بها العواصف حتى تصل بهم الى شمال الأرض المعزولة وقد وجد العلماء والباحثون على شاطئ استراليا الشمالى آثارا ومخلفات لزيارات قصيرة أجنبية عن القارة

أثبت البحث العلمى أنها تنسب لجنس « الملايو » ، وكذلك أكدت التحاليل البشريــة أن بعض أفراد استراليا الأصليين ، وهم جنس « الأبوريجنيز » من الملونين مخلطون بدم جيرانهم من جنس الملايـــو .

ولم يكن الشاطئ الشمالى لأستراليا عنوانا جذابا يغرى الآسيويين من جيرانها بالهجرة إليها واستيطانها وبلادهم تفيض بالنعمة والخير ، بل بدا لهم ، وهو صحراوى ، قاحلا خاليا من الزرع والمياه ومقومات الحياة ، ووقف سدا منيعا يصد الجحافل من أن تخوض البحر إلى الأرض المعزولة لو أنهم عرفوا ما فيها من خيرات وثروات ، وانصرفوا عنها معتقدين أنها ارض واسعة خلقـت من صحراء وجبال وقحط وموات لايسكنها البشر ولكن لتقوم بمهمة التوازن بين نصف العالم الشمالى الملئ بالسكان ونصفه الجنوبى بسكانه القليلين ، وأطلقوا عليها « الأرض المجهولة .

وحين أخذ الزحف الأوربى فى عصر النهضة يمتد الى الشرق ويحتل بلاده ليستنزف ثرواته ، وصل الهولنديون الى اندونيسيا وسمعوا عن « الأرض المجهولة » فوجهوا إليها حملات الاستكشاف وعثروا عليها عام ١٦٠٦ وسموها « هولاندا الجديدة »توطئة لاستعمارها . لكنهم أبقوا نبأ اكتشاف القارة الجديدة سرا حتى لاتسبقهم الى احتلالها احدى الدول الأوربية وكانت جميعها وقتذاك مصابة بحمى التوسع والاستعمار . وشغل الهولنديون باستعمار أندونيسيا وجزر الهند الصينية وكانت واسعة المساحة والثراء فلم يعلنوا احتلال « هولندا الجديدة » للعالم .

السجن الكبير :

ظل اكتشاف القارة الجديدة طى الكتمان حتى وفد اليها « جيمس كوك » الانجليزى عام ١٧٧٠ فطاف بها واكتشف شواطئها وعرف صلاحيتها للحيـاة وإمكانية الزراعة فيها ثم أعلنها مستعمرة بريطانية . ومع ذلك لم يكن التقرير الذى كتبه «كوك » لحكومته يدعو الى التفاؤل من الناحية التجارية وهى التى تهتم بها انجلترا فى ذلك العصر فالأرض

بعيدة ولاتقدم امكانيات كثيرة للمشروعات التجارية ،أو تنتج شيئا يصلح للتجارة فيه، هذا الى جانب سكانها السود الذين يعيشون فى البدائية الأولى أكثر ما يكونون شبهـا بإنسان العصر الحجرى » . لكن هزيمة انجلترا فى حرب التحرير الأمريكية واعلان استقلال أمريكا الشمالية عنها عام ١٧٧٦ ، ومنع انجلترا من ترحيل مجرميها الخطرين إلى امريكا وامتلاء سجون انجلترا بالمجرمين جعلها تفكر فى أن تتخذ « هولندا الجديدة» مستعمرتها البعيدة بديلا لأمريكا .

وفى عام ١٧٨٨ هبط الى استراليا اول فوج من السجناء والمجرمين البريطانيين ، وأصبحت منذ ذلك التاريخ ولمدة ٦٠ سنة اخرى مهجرا ومأوى للمجرمين ، وسجنا كبيراً ينفى اليه الذين لفظهم المجتمع البريطانى من القتلة والسفاحين واللصوص ومنتهكى الحرمات . « وكانت القاعدة العريضة من المرحلين الى المستعمرة الجديدة من أحط الطبقات فى المجتمع البريطانى ممن تلطخت ايديهم بدماء القتلى وقساة القلوب من أشد المناطق بربرية فى أيرلاندا ، ومحترفى السلب والنهب والإجرام من أهالى لندن ، ومن أخس المستعبدين لشهوات التهتك والفحش ونزوات السكر والعنف والشهوة » (١) . كان من بينهم الفلاحون الأميون ، والعمال المتشردون ، والمجرمون والمحترفون ، أبعدوا لسرقاتهم أو اجرامهم أو استعمال العنف مع المواطنين، وجاءوا اليها يرسفون فى السلاسل والقيود.. تمزق جلودهم السياط ، وتدمى ايديهم وأرجلهم من الأغلال .

وصل الى استراليا فى فترة استغلالها منفى وسجنا للمبعدين ١٦٠ ألف مذنب من الرجال والنساء ، غير أنهم لم يكونوا جميعا من عتاة المجرمين ، فقد كان بينهم أقليات تمثل ألوانا من الطبقات الاجتماعية المختلفة . أقلية من الانجليز والأيرلنديين والكنديين. حكم عليهم بالنفى فى جرائم سياسية وأقلية أخرى من الطبقة الراقية أبعدوا فى جرائم مهذبة كالتزوير

---

(1) A. Horris. Setlders and Convicts 1953,P. 230.

(2) The Story of Australia, by A.G.L. Show, London. 1960, P. P. 110 - 111

والاختلاس ، وثالثة من المضطهدين دينيا من الكاثوليك ، ورابعة من الذين أريد ابعادهم عن مراكز السلطة . وذلك الى جانب المدنيين الذين جاءوا لإدارة شئون المستعمرة ورجال الأمن الذين يحرسون السجناء ويحافظون على النظام فى هذا المجتمع الخطر .

ولم تمض فترة طويلة حتى اكتشفت الإمكانيات الزراعية والإنتاجية فى الأرض الشاسعة التى تقبع بخيراتها فى انتظار المستغلين ، وظهرت فرص النجاح والغنى لطلاب الثروة عن طريق الزراعة والمنتجات الحيوانية ، فهاجر الى استراليا أفواج من طلاب الغنى والثراء وأصحاب المصالح والنفعيين الى جانب المغامرين والمهتمين بشئون الكشف العلمى من العلماء .

المجتمع الجديد :

أصبح المجتمع الاسترالى الجديد يتمثل فى طبقتين :

السادة الأحرار من الموظفين المدنيين ورجال الأمن والمهاجرين الباحثين عن الثروة والمغامرة وقد استولوا على مساحات كبيرة من الأراضى والمراعى لزراعتها واستغلالها وصاروا من كبار الملاك ، أو انشئوا المؤسسات المالية والتجارية فى المهجر الجديد .

وطبقة أخرى أشبه بالعبيد ، وهم المذنبون الذين يقضون فترة الحكم عليهم بالنفى والأشغال الشاقة ، يعملون بأيديهم فى بناء المستعمرة سواء فى الأعمال الحكومية كالبناء والزراعة وتمهيد الارض وشق الطرق أو عند طبقة الأحرار خدما أو عمالا زراعيين ، يحكمهم قانون عسكرى صارم بلغ درجة الوحشية . . ووصلت به القسوة الى حد العقاب بالشنق أو الصلب والجلد أو الحرمان من الطعام والراحة أو مضاعفة مدة العقوبة بالنفى لأقل الهفوات . . . وقد حاول كثير من المذنبين الفرار من العذاب الذى يعانون منه بالتخلص من الحياة . . !! وكانت القسوة والوحشية والغرور والتعالى والغطرسة التى يصاحبها الشعور بالذنب عند السجانين والسادة الاحرار ، يقابلها الشعور بالظلم والاسى والاضطهاد والتجنى يصاحبه أنين الخضوع المرير والاذعان المؤلم والعداء الصامت والرفض العاطفى الحزين والغيظ المكبوت والامتعاض العنيد من المذنبين . كل ذلك ساعد

على خلق الكراهية بين الطرفين ، وعمل على ترسيب الحقد فى نفوس السجناء ضد السادة الأحرار ، وكان مقدمة لموجة من العنف المدمر خيم على المستعمرة لفترة طويلة .

كان السجناء والسجانون أو العبيد والأحرار على السواء ينظرون الى استراليا فى سنوات إقامتهم الأولى على أنها مهجر موقت يعيشون فيه لغرض معين ، وكان الأمل في العودة الى الوطن هو الخيط الذى يربطهم جميعا بالحياة فيتحملون من أجله قسوة الإحساس بالعزلة عن العالم والبعد عن الوطن وفيه أهلهم وذووهم ومعارفهم واليه تنتمى عواطفهم وثقافتهم ، ولكن هذه العودة كانت شبه مستحيلة بالنسبة للمجرمين ، ذلك لأن الحكومة فى انجلترا وجدت فى نظام الإبعاد خير طريقة للتخلص من كثير من المجرمين ،ومن ثم لم تكن تود لهم العودة ثانية حتى لايعيدوا سيرتهم الاجرامية الأولى . ومن ناحية اخرى كان نظام الإبعاد والنفى يقضى بأن من أمضى مدة عقوبته بسلوك طيب يعطى تصريحا بمغادرة المنفى والعودة الى الوطن ، غير أن العودة لم تتحقق فعلا إلا لعدد ضئيل جدا ممن لعائلاتهم نفوذ فى لندن . اما الكثرة الغالبة فكان عليهم أن يدخروا اجر العودة . . وكان باهظا . . ، لأن الباخرة كانت تقطعها فى أكثر من ستة أشهر ومن ثم كان على كل منهم أن يعمل لفترة طويلة بالأجر ، وكان زهيدا ، أو يستصدر تصريحابالاستيلاء على ٥٠ فدانا حكرا من الأرض الصالحة للزراعة داخل القارة ، يستغلها فى الزراعة وتربية الماشية ، ويوفر من انتاجها أجر العودة ، وذلك يستغرق سنوات طويلة . كان هذا العمل فى نفسه فى ظل الحرية الجديدة ، ارتباطا بالأرض الى يعمل عليها ، وبدءاً لحياة شريفة جديدة تمنحه الكرامة والحرية المفقودة ، فما يكاد الواحد منهم يحصل على أجر العودة حى تكون الرغبة فى العودة إلى الوطن قد قلت ، ويبدأ فى التعود على نوع الحياة والعمل الجديدين فيقلع عن العودة .

ومن ناحية ثالثة لم تكن فى انجلترا رغبة فى تشغيل المجرمين العائدين من المستعمرات بينما كانت استراليا فى حاجة ملحة الى الأيدى العاملة وفيها الفرص الكثيرة للعملالكريم.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧ .

آثر السجناء والمنفيون الذين تحرروا أن يمدوا لأنفسهم طريقا للحياة جديدا في استراليا ، واتجه أكثرهم إلى داخل القارة وإلى الريف بعيدا عن المواطن التي قضــوا فيها عقوبتهم تحت نير القسوة والعذاب. لكي يدفنوا ماضيهم في غابات استراليا وأرضها المعزولة ، وليبدأوا حياة أسرية كريمة . وأخذ الشعور بالحنين إلى الوطن الأم يختفي شيئا فشيئا . وفي داخل القارة لم يجد المستوطنون المتحررون أية إشارة نفسية أو عاطفية إلى أن المستقر الجديد مرتبط بهم فيتخذونه وطنا بديلا ، فالشعور بالملكية كان قاصرا على طبقة كبار الملاك والمحتكرين من كبار التجار . ونازع المستوطنين الجدد الإحساس بأنهم يعيشون على هامش الحياة في مجتمع أقاموه بدمائهم وجماجم ضحاياهم ، وبنــوه رغم إرادتهم بالعذاب والعرق والأنين فهم أنشأوا مدنه وموانيه وهم حفروا مناجمه ومحاجره ، وهم شقوا طرقه ، وهم بنوا جسوره وحتى مزارع الاقطاعيين ومتاجــر المحتكرين فيه . ومن هذا الشعور الجديد ومن الشعور المترسب في أعماقهم طوال فترة العقوبة ضد السادة الأحرار بدأت تظهر بينهم روح الكراهية والتحدى للسلطة والرغبة في الانتقام والتبجح والتظاهر بالشجاعة ضد النظام الوحشي للادارة وضد الســادة الأحرار ، ووضحت بينهم روح التقدير والتمجيد للذين يقاومون الشرطة ويخرجون عن القانون ، وعمت سخرية مرة تستهدف افساد القيم الاخلاقية لعظماء المستعمرة مــن السادة الأحرار . وتعمقت الكراهية وتوارثها الأبناء .

وفي عام ١٨٤٠ تخلصت استراليا من وصمتها كمنفى للمجرمين ووقف ترحيل السجناء إليها ، وأعلنت « مستعمرة مدنية » وفتحت أبوابها للمهاجرين من الأوربين . . وفي عام ١٨٥٠ بلغ تعدادها ٤٠٥ آلاف نسمة . ثم اكتشف الذهب فيها عام ١٨٥١ فهرع اليها ألوان شتى من المهاجرين وخليط عجيب من أصحاب المصالح والانتهازيين والمستغلين والمحتالــين والمغامرين والأفاقين وطــلاب الثروات يلهثون وراء الغــنى الشريف بالمغامرة وانتهاز الفرص . وفي السنوات العشر (١٨٥١ – ١٨٦٠) التي تعالــت فيها الصرخات الجنونية لاكتشاف الذهب تضاعف سكان المستعمرة فبلغ مليونا ومائــة وستة وأربعين ألف نسمة عام ١٨٦٠ .

وبعد أن انتهت فورة الذهب وموجة جنونه استقر السكان الجدد على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية من القارة وذلك لوفرة مصادر الحياة فيها وصلاحية أرضها للزراعة، والراحة النفسية من الإحساس بالصلة عن طريق البحر بينهم في المهجر البعيد وبين الوطن الأم في أوربا . . أما الذين أجبروا على العيش داخل القارة في المزارع ومحطات تربية الماشية فقد كانوا يعيشون في عزلة موحشة ووحدة قاتلة . ولم يكن يصلهم بالعالم وبالمدن الكبرى سوى مواصلات بدائية ، قد لا يرونها لعدة أسابيع من قوافل الجمـال وعربات تجرها الثيران تحمل البضاعة والمحاصيل أوعربات الخيول للركاب والبريد (١) تحمل اليهم الأنباء والصحف وما يحتاجون اليه ، أو تأتيهم بمهاجر جديد ينضم الى عالم العزلة والتيه والنسيان .

عصابات قطاع الطرق

في هذه الفترة من تطور استراليا ظهرت عصابات « قطاع الطرق » واتخذت من داخل القارة مسرحا لعمليات السرقة والنهب والتحكم والسيطرة بقـوة السلاح ، ومارست إجرامها عنوة في وضح النهار دون رادع من سلطة أوخوف مـن قانون . وكانوا يستغلون الغابات المترامية الاطراف مأوى يعيشون فيها فلا تصل إليهم قوة ولا يفرض عليهم قانون . وكانت السبعينات من القرن التاسع عشر انبعاثة جديدة لأخطر عصابات قطاع الطرق في استراليا ، وساعدت على ظهورهم عوامل كثيرة : منها تركيز الاهتمام بالأمن على العواصم والمدن الكبرى وترك الريف داخل القارة دون حماية تذكر . ومنها المواصلات البدائية بين العواصم وبين أماكن الاقامة المبعثرة على مساحات شاسعة داخل القارة سواء في ذلك المدن الصغيرة بسكانها القليلين أو المحطات الكـبرى للزراعة وتربية الماشية وهى شبـه معزولة عن العالم . وأغرى هـذه العصابات بممارسة اجرامها حمل عربات البريد ذات الخيول لكميات ضخمة الأموال داخلة بهـا إلـى

---

١ ـ ظلت المواصلات البدائية فى استراليا حتى عام ١٨٧٥ عام دخول قطارات السكة الحديد اليها .

المزارع لشراء المحاصيل والمنتجات أو خارجة منها إلى البنوك دون حراسة أو حماية وقد أستولت عصابة « فرانك جاردنار » الملقب « بملك الطريق » على ٢٨ ألف جنيه عام ١٨٦٢ بعد أن تغلبت على حامية الحراسة للذهب فى « أنيجورا ». وبعد ثلاث سنوات جرد « بين هول » وعصابته عربات البريد الذاهبة من « جونداجاى » والعائدة اليها بما تحمل من أموال . وفي نفس الوقت كانت عصابة « كابتن ثاند اربولت » تقطع الطريق الشمالى الرئيسى وتسيطر عليه متحدية رجال الأمن لمدة سبع سنوات . أما عصابة « كلاركز » فقد ظلت لسنوات عديدة تسيطر على المنطقة التى أقيمت عليها فيما بعد « كانبرا » العاصمة الجديدة لاستراليا . لا يستطيع أن ينفذ اليها رجال الأمن . ثم جاء «نيد كيللى » في السبعينات ومارست عصابته عملياتها في شمال وشرق ولاية فيكتوريا ،وطار صيتها حى ملأ الآفاق ، وفاقت شهرتها جميع من سبقها من عصابات قطاع الطرق وأصبح « نيد كيللى » « ملك الطريق » دون منازع — ١ —

استمتعت عصابات قطاع الطرق بكثير من التعاطف الشعبى داخل استراليا ووجدت الحماية والمساعدة من سكان الريف وأكثرهم من المجرمين السابقين أومن أبنائهم . . وقد حدث عندما قبض على واحد من عصابة « جاردنار » أن وقع خمسة عشر ألفا من سكان المنطقة ملتمسا للحاكم العام يطلبون فيه العفو عن المجرم . وكثيرا ما كانت هيئة المحلفين في محاكم الريف ترفض ادانة من يحاكم من هذه العصابات . ولو أردنا أن نتحرى أسباب هذا التعاطف بين المستوطنين وعصابات قطاع الطرق لوجدناها تتلخص فيما يلى :

أولا لأنهم يمثلون في نظرهم الجرأة والشجاعة والجسارة الى يعبدها المستوطنون

ثانيا لأنهم وهم الفقراء ومن الطبقه المستضعفه يقاومون القانون الذى لم يكن جديرا بالاحترام في نظر المستوطنين من المجرمين المتحررين .

---

١ ـ قصة استراليا ص ١٤٨ ـ ١٤٩ . ظهر قبل هذه العصابات عدد لم يكن امرهم ذا بال ومن اكثرهم شهرة J. Donahoe بتزمانيا وقتل عام ١٨٣٠ .

ثالثا كان الفقراء والعاملون المستغلون من سكان الريف ينظرون الى سرقات العصابات واغتصابها أموال الأغنياء على أنها العدل الذى لم يستيطعوا تحقيقـــه .

رابعا كانت تقاليد هذه العصابات تقربها من قلوب العامة ذلك لأنهم لم يكونوا يتعرضون بالأذى للفقراء والضعفاء ، بل يقدمون لهم المساعدة ويتخذون من صداقات الطبقة الكادحة ظهرا يحميهم من العدو المشترك لها ، وهو رجال الأمن وكبار الملاك والتجار ، وكانوا يدفعون للأهالى بسخاء وكرم ثمن ما يطلبون من طعام وكساء وشراب .

خامسا كانت مغامراتهم تنصب على الأغنياء وعلى المؤسسات التى يديرها السادة الأحرار ولهؤلاء وأولئك رصيد مختزن من الكراهية فى قلوب سكان الريف الاسترالى .

سادسا كانت العصابات تسخر من الشرطة وتصيب رجالها بالذعر والخوف والهلع. وكان المستوطنون فى الريف يجدون فى ذلك انتقاما مما عانوه على أيدى حراسهم فى سنوات السجن فكانوا يضللون الشرطة بملومات خاطئة عن تحركات الفارين وينقلون الاخبار تطوعـــا الى العصابات فى الغابات والأحراش .

عاش زعماء العصابات بتقاليدهم فى عواطف الشعب الاسترالى واستقروا فى شعوره الباطن ، وعلى مر الزمن أخذ ينسج من حولهم القصص والأغانى الشعبية ، يمجدهم أبطالا ويتخـــذ خياله منهم صورا للشجاعة والشهامة والعدل والكرم والعطف على المساكين والانتقام مـــن المتجبرين . . وتوارثت الأجيـــال الاغانى والقصص ، وأضاف كل جيل من خياله الى الصورة أمجادا وبطولات . وأصبحت الأغانى والقصص عن زعماء العصابات تمثل جزءاً من التراث الشعبى الاسترالى . من هذا التراث أغنية بعنوان

« بين هول الجسور » تقول :

تعالوا معى أبناء استراليا جميعـــا

من أجل بطل جسور قتـــل

ذبح بخسة وجبن وهو نائم

فوق وادى « لاخـــلال »
أنا لا أدعوكم لتظهروا عليه آثار الحزن فقط
ولكنى أدعوكم لتذرفوا الدمع عليه غـــزيرا
فالقلوب الشجاعة سوف تحزن دائمـــا
من أجل نهاية « بين هــول »
لم يسرق أبدا من رجل فقـــير
وتاريخه سوف يحكى للنـــاس
انه كان وفيا لرفقائـــه
وشجاعا جسورا أمام خصومه وأعدائـــه
وبواسطة معلومات من قواد نذل منحرف
هاجموا مخبأه وهـــو نائـــم
أولئك الجبناء المؤذون لابسو المعاطف الزرقاء (البوليس)
نعم ، قتلوه بوحشية ، قتلوا البطل « بين هول » . (١)

أما « نيد كيللى » ذلك الذى خبت أمام شهرته شهرة كل من سبقوه ، والذى بلغ تعاطف الجمهور معه حدا فاق كل وصف ، وجاوزت مشاركتهم الوجدانيه له كل تصور وتقدير ، فقد نال النصيب الأوفي من القصص والأغانى الشعبية والملاحم البطولية في استراليا وجمح الخيال بالاسترالين فجعلوه شبيها بفرسان القرون الوسطى يأخذ مـــن الأغنياء ليعطى الفقراء ، وأضفوا عليه من الصفات ما جعله « روبين هود استراليا » ؟ وفي الحرب العالمية الثانية بعد أن أحتل اليابانيون جزيرة « نيو جينى » وهددوا شواطئ استراليا ظهرت اغنية شعبية وانتشرت على كل لسان تستنجد بذكرى « نيد كيللى » وبطولته لتساعد الاستراليين على طرد اليابانيين وصدهم عن احتلال استراليا تقول الأغنية

(1) Australian Ballads. ed. by Russel Wand, London, 1964 P. P. 73-74.

نيد كيللى كان سيــدا نبيــلا
تحمل الكثير من الجور والاذى والحرمان
وكان يقاتل ليأخذ من الاغنيــاء
ثم يعطيه الفقــراء
لكن أسلوبه في التوزيــع
لم يكن مقبولا من الجميع
ومع ذلك فقد أيده رجال مسلحون
معروفون بجلبرت وبين هــــول .
أعتقد أنه شئ يدعو للأســف
ذلك أنهم شنقوه بحــــبل
لقد صنعوا تاريخ استراليــــا
ولكنهم حطموا آمال كيللى
وليتهم أرسلوه الى البرلمان
فقد كانت امكانيات نجاحه متوقعــة
كان سيعمل من أجل الطبقه الكادحــة
ان لم يكن من أجل الاغنياء كذلــك
ولو أنه كان في استراليا الآن
لدرب الملايين في الغابات على القتــال
ولضحكوا بعنف من الرجل الأصفر الصغير
لو أن « نيد » ورفاقه من محاربي الغابــات
كانوا معنا هذه الأيام
لما استطاع اليابانيون أن يجوبوا
نيوجينى وخليج ميلنى للسرقة والنهب .
« نيد » عبر الحدود
فوجد كثيرا من الفرص

فلماذا لا نقتبس خطته

حول جبال أويين ستانلى !

مسكين « نيد » كان سيدا نبيلا

ولكن لم يفهمه أحد ؟

نريد رجالا من مثل معدنه الآن

لكى يصدوا الطوفان الأصفر (١)

ومع أن أكثر الأغانى والقصص الشعبية الاسترالية التى دارت حول « نيد كيللى »عبرت عن الجانب العاطفى من شعور الجماهير والعامة فإن بعضها لم تكن خالية من الوقوف ضد الجريمة لنصرة العدالة والقيم الاخلاقية . ومن ذلك اغنية بعنوان « أغنية نيد كيللى »تقول :

فى كوخ متداع قديم ولد نيد كيللى

ودخل عالم الشجار والعراك وهو صبى غرير

وتربى مع رجال فاسدين ولصوص الماشية والسارقين ،

وتعلم منهم كل أعمالهم السيئة والاجرامية

والآن الى « جلينر ووان » حيث احتلت عصابته الحانه

وشربوا وغنوا فى البار مع أسراهم

وعندما تقدم رجال الشرطة وحاصروا الحانة من كل مكان

انتظرت عصابة « كيللى » وطال بها الانتظار

أناس يقولون : انه كان بطلا وأعطى المساكين ،

وآخرون يقولون : إنه مجرم قاتل ،

لكنه فى رأيى أثبت صحة المثل القائل :

---

١ - المصدر السابق ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الجريمـــة لا تفيـــد (١)

كذلك كان قطاع الطرق ولصوص الغابات موضوعا شائعا افتتن به الشعراء والكتاب في استراليا ، فكتبوا حوله الكثير من القصائد والاغاني والملاحم الشعرية والقصص وخاصة ابان فترة الدعوة الى الحركة القومية في الادب الاسترالي . غـــير أن اكثر الادبـــاء لم يقفوا – كالأدب الشعبي – موقف التمجيد للمجرمين الأبطال ، بل عالجوا الفكرة مـــن زواياها الصحيحة :

الخروج على القانون ، والسلوك الإجرامي وعواطف الجماهير . ومن ذلك قصيـــدة للشاعر « ادوارد هارينجتون » بعنوان « قطاع الطرق » يقول فيها :

أربعة فرسان خرجوا من قلب الجبـــل .
أربعة فرسان لهم هيئة غريبة ومظهر وعـــر
يلبسون أحذية فيها مهاميز ، وهم مسلحون
بأنواع مختلفة من السلاح ، « حتى آذانهـــم
نظروا الى الوادي من تحتهم ، وتجهمـــوا ،
وأنطلقوا بجيادهم بين الصخور ونبات السرخـــس . .
نيد كيللي ، ودان كيللي ، وستيف هارت ، وجو بيرن
نيد كيللي شد اللجام ، وسحب قبعته على عينيه :
« المدينة تحت رحمتنا ! انظر : انها تقبع هناك .
فلتذهب الشرطة الى الجحيم ! وهدد بقبضة يده !
« سوف نرديهم بالرصاص كالكلاب اذا تجرءوا على المقاومة !
وهزوا رؤوسهم موافقين بوجوه ضارية وتعبيرات شرسه
نيد كيللي ، دان كيللي ، ستيف هارت ، وجو بيرن .
بين الأخاديد وجداول المياه يسيرون بجيادهم في صمت ،

(١) المصدر السابق ص ٢٤٨ .

وهددوا مركز الشرطة بالسلاح ، وأغاروا على المدينه !
وفتحوا الخزانة ، ونهبوا البنك ،
وأكلوا وشربوا فى ضحك ومرح وغنـــاء ،
ثم عادو الى الغابات ومعهم الذهـــب
أوه ! لم تسبقهم عصابة فى مثل تهورهم وجسارتهم !
لكن الزمن يأتى بالعقاب ، والزمن يسير بسرعة
وأخيرا ، وقع الخارجون على القانون فى الفخ فى مدينة جلينروان :
ثلاثة منهم ماتوا فى الدخان واللهب ،
بينما « نيد كيللى » لعب آخر مباراة فى حياتـــه ،
وأرداه القانون بالرصاص فقتله . (لم يقتل بالرصاص ولكنه مات شنقا)
وذلك آخر العهد بعصابات قطاع الطرق .

أيا كانت أخطاؤهم ، ومهما كانت جرائمهم ،
فقد أثروا العواطف ، وأغنوا الروح فى تلك العصور الخوالى .
لقد اختفوا من الاخاديد والغابات ،
واختفى صوت حوافر الجياد وهى تجرى بهـــم

ومع أن الزمن كفيل بإسدال ستار النسيان .

فأشباح عصابة « كيللى » مازالت تقود الخيول في الغابات (١)

وهناك من الأدباء — وهم قلة — من بلغ بهم التعصب « لنيد كيللى » حدا جاوز الخيال الشعبى ، وعلى رأس هؤلاء الادباء « روبرت جون كلاو » فقد كتب مسرحية طويلة في أسلوب شعرى ركيك وردئ بعنوان « قضية كيللى » تتبع فيها حياة كيللى من شبابه إلى محاكمته وشنقه . والمسرحية خاليـــة من القيمة الفنية والأدبية ولكنها تظهر

---

(١) ديوان الشاعر ادوارد هارينجتون (بالانجليزية) سدنى ١٩٣٢ .

بحماس «كلاو» المتقد «لكيللي» ، وتنصب منه داعية لحركة الدفاع عن تقاليد «كيللي» ، وفي مقدمـــة المسرحية كتب يقول : « لايظن أحد أن نيد كيللي سوف يوضع يوما ما في منطقة الظل ولا يمكن أن يلقى به التاريخ في زاوية النسيان ، فشبحه الروحي ما زال بيننا رمزا لتقاليده، ويزداد الكتاب البارزون الذين يتفهمون قضيته ، ويحاول المفكرون أن يكتشفوا في شخصيته ذلك السر الذى جعله يكون عصابة غابات تطبق شهرتها الآفــــاق .

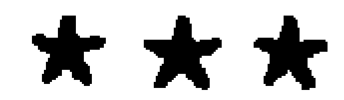
لقد وضحت ما يسمى بأخطاء «كيللي» ، ولكنها أخطاء ملازمه للطبيعة البشرية . و أيا كانت هذه الأخطاء فان كيللي رائد واب لشجاعتنا القومية ،وقلب لأدبنا الاسترالى ... لماذا يظل القناع الذى ارتداه أثناء موته حبيس السجن، فلنخرجه من هذا المكان ونضعه في المتحف القومى حيث مكانه الجدير به . ولنبحث عن مخلفات جدثه ليدفن من جديد في مدينة « جلنروان » حيث كانت آخر مواقعه ومواقف صموده . . .

ولنقم له تمثالا في هذه المدينة ونلبسه عدته ودروعه قبل أن ينضب جرانيت استراليا مـــن اقامة تماثيل لأناس لم يروا أبدا حياتهم شواطئنا . »

على هذه الصورة يعيش « نيد كيللي » في عواطف الاستراليين وخيالهم الشعبى والادبي وشعورهم الباطن، لكن حقيقة أمره كما يرويها التاريخ . . « انه ابن لمجرم من أيرلاندا نفي الى استراليا لاحترافه جرائم القتل ، وكان « نيد » قد ورث الإجرام عن أبيه فما ان بلغ الشباب حتى مارس احتراف سرقة الماشية ، ثم كون عصابة لقطع الطريق والسرقة بقوة السلاح ، وتطورت عصابة كيللي إلى خطر كبير يهدد المجتمع وكانت عصابتـــه تمارس عملياتها الاجراميـــة في شمال وشرق ولايـــة فيكتوريا ، واستولى رجالها من بنك « يوروروا » على ألفي جنيه ، وجردوا خمسين شخصا من الأغنياء مما معهم وسجنوهم في مركز البوليس . وامتد نشاط العصابة إلى خارج حدود فيكتوريـــا وعبروا حدود « نيو ساوث ويلز » . وفي احدى الغارات استولوا بالقوة على مدينة «جيرلديرى» واحتلوها لمدة ثلاثة أيام،وسجنوا رجال الشرطة في زنزانات السجن وسرقوا

الأموال من خزانة البنك(١). كانت نهاية أفراد العصابة الأربعة: نيد كيللى وجوبيرن ودان كيللى وستيف هارت في مدينة « جلنروان » عام ١٨٨٠ بعد أن فشلوا في تحطيم القطار الخاص الذى يقل فرقة نجده من رجال الشرطة لتعزيز الأمن في المنطقة والقبض على العصاة الخارجين على القانون . وأحاط رجال الشرطة بالمكان الذى كانت فيه العصابة وقتل ثلاثة من أفرادها في تبادل النيران وقبض على « نيد » الزعيم وحوكم وأعدم شنقا (٢)

واسدل الستار – بالقضاء على عصابة كيللى آخر ملوك الطريق–على مرحلة من مراحل العنف المدمر في تطور استراليا وتحولها من مستعمرة للمجرمين إلى بلد متمدن ومتحضر.



(١) قدرت السرقة بمبلغ ٢١٤١ جنيها فى فبراير سنة ١٨٧٩ .

(٢) قصة استراليا ص ١٤٨ – ١٤٩ .

قصة الأدب فى استراليا

وإذا كانت الخلفية التاريخية والمؤثرات النفسية والاتجاهات العاطفية لشخصيات المسرحية ومكانها وزمانها يفيد القارئ في فهم الأحداث والمواقف والصراع الذى يدور فيها ، فان الخلفية الادبية تفيد في تقويم المسرحية ووضعها في موضعها الصحيح من الحركة الادبية الاسترالية بعامـــة والحركة المسرحية بخاصة ذلك لأن مسرحية « نيد كيللى » حولت اتجاه الكتابة للمسرح في استراليا من تيار الواقعية إلى الرومانسية ، وبذلك تعتبر نقطة تحـــول كبرى في تاريخ المسرحية الاسترالية .

● ● ●

استراليا امة حديثة لايزيد تاريخها عن قرن ونصف الا قليلا ، ونشأة الأدب فيهـــا وحركـــة تطوره ونمائـــة يمكن أن تتتبع لمدى قريب ولسنوات غير بعيـــدة ومازال هناك من يتصور النتاج الادبى الاسترالى فرعا من فروع الأدب الإنجليزى او تابعا لـــه لأنه باللغة الانجليزية أولا ، وثانيا لأن أكثر المهاجرين الى استراليا اول امرها مـــن البريطانيين ، وثالثا لان الأدب الاسترالى يسير على نهج الادب الانجليزى فى قيمه وتقاليده والحقيقة ان المصادفة التاريخية وحدها هى السبب فى أن يكون نتاج الادب الاسترالى بالانجليزية وأن رابطة الاصل والجنس كانت السبب فى أن يكون هذا النتاج مستمدا من القيم والتقاليد الانجليزية . ومعروف ان الادباء لاينشأون من فراغ ، والرواد من الأدباء فى استراليا كانت تتعمق فى شعورهم القيم الأدبية للوطن الأم وتترسب فى عواطفهم التقاليد وفنون التعبير وانماط الشكل والاسلوب ، لكن مرور الزمن واختلاف فى طريقه الحياة وظروفها وتأثيرات الارض والبيئة فى استراليا أظهرت مهارات جديدة فى التعبير وتجارب فنية مستحدثة ومميزات وخواص ذاتية خولت للأدب الاسترالى ان يعتبر ادبا منفصلا عن الادب الانجليزى

وعلى مدى السنوات العشر الاخيرة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ كانت تدور فى استراليا مناقشات ادبية واسعة زخرت بها الندوات ، وامتلأت بها صفحات الكتب والمجلات الادبية ، وجعلت برامج الاذاعة وشاشة التلفزيون تحاول تقويم الادب الاسترالى وتحديد مكانته وموقفه من الآداب العالمية أو بمعنى آخر استهدفت تقويم منجزات الادب الاسترالى فى قرن ونصف قرن قطعه فى مسيرة تطوره منذ نشأته حتى الآن . ومع ان المناقشات بين الادباء والنقاد كانت توحى بتقاتل لاذع فى الآراء مبعثه أن الأدب الاسترالى يقصر عن المستوى الـذى وصلت اليـه الآداب والامم ذات الحضارات العريقـة الا انهـا اظهرت من ناحية أخرى ان اولئك الذين اتخذوا جانبا فى هذه المناقشات لم يكونوا يصدرون أحكامهم عن قيم أدبية محددة أو مقاييس نقدية موحدة ، وأكثر من ذلك فان مقاييس أى من طرفى المناقشة لم تكن واضحة جلية وقد تبين من حصيلة الواقع : انه فى بعض الاحيان عندما يصدر نتاج ادبى استرالى يكيل له فريق من النقاد المدح والتقريظ والتقدير لاسباب تكون هى نفسها عند الفريق الاخر أساس شجبه وانتقاده بقسوة ، والانتقاص من قيمته بعنف . وقد تكون هناك من الاسباب ما ترتفع بها قيمة عمل ادبى فى نظر النقاد وتكون هى نفسها سببا فى الانتقاص من قدر عمل اخر ، وكثيرا ما تكون هذه الاسباب غير متصلة اتصالا وثيقا بالادب .

ولعل السبب الأساسى فى كل هذه الاضطرابات ان المتناقشين من النقاد الاستراليين قد عجزوا عن التفرقة بين ما عليه النتاج الادبى الاسترالى فعلا ، وما يريـدون ان يكون عليه ذلك النتاج ، او بتعبير اخر بين الواقع والمثال فى نظرهم ، ومن اجل ذلك لم يصلوا فى مناقشاتهم الى شئ ، وضاع وقتهم سدى . .

والحقيقة ان الاضطراب وعدم الوضوح فيما يدور حول الادب الاسترالى هذه الايام مرده فى جزء منه الى الاضطراب العام العالمى حول المقاييس الادبية ، وفى جزء اخر إلى انه نتيجة لصعوبات التقويم التى تواجه كل آداب سكان المستعمرات وخاصة نتاج المراحل الاولى من حياة هذه المستعمرات ، ومن ناحية ثالثة يعود الاضطراب الى عدم وجود هيئة ادبية مستقرة او

مدرسة نقدية مترابطة يمكن بواسطتها ان يحكم على النتاج الأدبي وبالاضافة الى ذلك فليست هناك قواعد واصول محددة يمكن على اساسها تقويم اعمال الادباء ، ثم إن النظريات الأدبية المعروفة والقواعد التي تعارف عليها الادباء والنقاد قواعد عامة وفضفاضة قد يسير على نهجها كاتب يلتزم حدودها بدقة ومع ذلك يخرج نتاجه مملا تعوزه الومضة الادبية الساحرة ، وكاتب آخر موهوب له عبقرية الاديب يخرق أكثر هذه القواعد ويتخطى تلك الحدود ومع ذلك يخرج للناس الروائع .

والمقاييس الادبية انما تثبت وترسخ بامور ثلاثة: أولها وجود الاعمال الابداعية الممتازة التي لا يختلف على روعتها اثنان ، والتي تبقى خالدة مع الزمن شاهدة على عبقرية خالقيها من الادباء، والامر الثاني وجود رأي نقدي له وزنه يمكن بواسطته تحديد مستوى الذوق الادبي وثالثها وجود طبقة مثقفة قارئة لا تكتفي بقراءة الكتب فقط بل تقرأ ما يكتبه النقاد وتناقش ما يكتبون، والادب الذي تتوفر له هذه الامور الثلاثة يمكن أن تكون لديه تقاليد أدبية ثابتة ومقاييس راسخة وامكانيات تحقق منجزات ادبية رفيعة ،

ومثل هذا الادب يجد من خلفه الجامعات حيث يكرس الباحثون حياتهم في عملية التقويم المستمرة او مناقشة الروائع من النتاج الادبي ويحافظون على التقاليد الادبية حية بصياغة الذوق وتكوينه عند الطبقه المثقفة التي تأتي للدراسة الادبية ثم تخرج لتمثل جزءا كبيرا من الطبقه القارئه وفي البيئة الادبية التي تجمع بين هذه الامور يمكن ان تعيش المجلات الادبية الجادة التي تجد أعمال الكتاب الجدد فيها تقويما حقيقيا صادقا وبهذه الطريقه يمكن ان يتكون الجو الادبي وتظل المسيرة الادبية متصلة ومتجددة .

ويمكن القول بان توفر هذه الشروط مجتمعة في بلد واحد نادر وقليل، فمنذ نهاية القرن الثامن عشر لم تهدأ الحركات الادبية ولم يستقر لها قرار . فقد اخذت الحركة الرومانسية تقيم لنفسها تقاليد جديدة تنافس بها تقاليد الكلاسيكية ولم تكد الرومانسية تستقر حتى تولدت عنها عدة نظريات جديدة: كل واحدة لها قيمها ومقاييسها الخاصة بها كالواقعية او الطبيعية أو الجمالية أو الرمزية والتصورية والسريالية ثم الواقعية الاشتراكية ، وحيث ان

معايير الحكم على هذه المذاهب غالبا ما تكون مختلفة، بل فى بعض الاحيان متعارضة ومتضاربة فالمقاييس الادبية تتعرض الآن لحالة من الاضطرابات لا يستقر لها فيها قرار . والادب الاسترالى ظهر الى الحياة الحقيقة مستقلا بخواصه الذاتية اثناء فترة التعارض والتضارب فى المعايير والقيم الادبية .

ومن جهة اخرى فان انتشار التعليم العام وارتفاع مستوى المعيشة وكثرة القراء غير المثقفين كان له أثر غريب في خفض مستوى المعايير الادبية ذلك لان الادب الرخيص الذى لا يهدف الا إلى اللهو والتسلية وجد رواجا كبيرا بين هذا الصنف من القراء، وقانون جريشام الذى يقول : ان العملة الزائفة تطرد العملة الصحيحة ينطبق على الادب . ويزيد من كثرة تداول العملات الزائفة واقبال المتعاملين عليها الدعاية المنظمة القوية لها ، والدعاية للادب الرخيص في عصرنا الحديث بلغت الغاية والمنتهى . وفوق ذلك فإن الأدب الذى كان فيما مضى هو الصيغة الوحيدة للاستمتاع الرفيع والتسلية الراقية يعانى الان من منافسة الراديو والتلفزيون والسينما وهى وسائل تسلية أكثر سهولة ورخصا إلى جانب ما تتمتع بــه من إثارة فورية ومباشرة ، وحين كتب ديكنز وثاكرى لافونتين كتبوا للطبقة القارئــة جميعها اما الآن فهناك نوعان من الادباء: نوع يكتب ادبا لفريق محدود من القراء المثقفين والمتذوقين للادب الرفيع ، ونوع آخر يكتب الادب الرخيص لبقية القارئين

حركة التطور فى الأدب الاسترالي

فى ضوء هذه الخلفية يمكن ان نتتبع حركة التطور الادبى فى استراليا، وان نتبين الاسباب التى من اجلها واجه هذا الادب – فى مسيرة تطوره – صعوبات خاصة فى ترسيخ مقاييسه وتقرير قيمه وتقاليده ، ولو اننا نظرنا الى بلاد مثل فرنسا وانجلترا وايطاليا لوجدنا تقاليدها الادبية قد رسخت أصولها واستقرت ،أما البلاد الحديثة الوجود مثل استراليا ونيوزيلاندة وكندا – فهى اقل حظا من هذه الناحية وذلك لأن أدبها وهو يقطع مراحل التطور تكون البلد الجديدة نفسها فى مرحلة التطوير وتبدو حضارتها اقليمية فى مظهرها او بمعنى آخر تبدو كمدينة فى الأقاليم تتطلع الى العاصمة – انجلترا – مصدرا لافكارها

ومنبعا للخلق الفنى والابداع الادبى . وفوق ذلك تنقصها الطبقة المتعلمة القارئة التى تكفى لمساندة الأدب وتدفع به ليقف على قدميـــه

والقراء فى هذه البلاد الجديدة كانوا أول أمرهم يحسون إحساسا طبيعيا بالعزلة عـن مركز الحضارة ويعيشون باجسادهم وماديآتهم على الارض الجديدة. اما عواطفهم وعقولهم فكانت تعيش فى مكان آخر فى الوطن الام والذى تنتمى اليه جذورهم وتقاليدهم وثقافاتهم وكانوا يخشون أن تنقطع صلتهم بوطنهم الأصيل، فيزدادون التصاقا به ونسبوا انفسهم الى حضـارته وفنه وكانوا متلهفين على ان تظل الصلة الفكرية منعقدة بينهم وبين البلاد المتحضرة . يتابعون ما يكتب فيها ويقرءونه بعين الرضا والتقديس

ووجد الكتاب الاستراليون انهم — لكى يجذبوا اهتمام القراء المثقفين وينالوا تقدير ذوى الاذواق الادبية —لابد أن يدخلوا فى منافسة مع الكتاب المعاصرين من الامريكيين والانجليز. غير انهم لم يتجهوا هذا الاتجاه ونزعوا الى تجنب المناقشة مع الكتاب خارج استراليا، وركزوا على أن يكونوا قدر امكانهم « استراليين » ولاقت نزعة «الاسترالية » فى الادب النجاح الكبير لدى القارئ العادى لأنها استهدفت — وقد يكون بلا وعى من الكتاب— إمتاع طبقة لم تصل فى ذوقها الأدبى إلى المستوى الرفيع ، وهذا الاتجاه من الكتاب معناه فى الواقع محاولة ارساء مستوى الكتابة استرالى خاص وخالص

ومنذ البداية كان الكتاب والنقاد الاستراليين المحليون ، يدركون ادراكا كاملا اوجه الاختلاف بين استراليا والوطن الام انجلترا التى امدتهم بالقيم والتقاليد والمقاييس الادبية التى بدأو بها . ومن ثم كان هناك اتجاه بعدم الثقة بين النقاد الاستراليين يمكن ان يفسر بانه شعور المستعمر بعدم الثقة الناشئ من الاستعمار، ولذلك شاعت بينهم نغمة التبرير والاعتذار والدفاع عن النتاج الادبى الاسترالى تحمسا للوطن الجديد ، واملا فى ان يقف ادبه فى مستوى الادب العالمى ، والواقع ان النقاد فى استراليا كانوا متأثرين بالقواعد والمقاييس الموضوعة للحكم على الادب الانجليزى . اما كتاب استراليا فهم وان لم يصلوا الى مستوى معاصريهم من كتاب انجلترا الا انهم نالوا اعجاب الاستراليين بنزعتهم المحلية.

وبعد الحرب العالمية الاولى زاد اتجاه الكتاب إلى « استرالية » الأدب وولوا وجوههم داخل القارة وشغلوا انفسهم بالمواقف والأحداث والصور المحلية وأمعنــوا فيها حتى وصلوا إلى درجة المبالغة . واختفت من النقد نغمة التبرير والاعتذار وظهرت فى المجال الادبي – أثرا للموجة الوطنية الاسترالية – نغمة جديدة انفصالية عن انجلترا تنادى بأن الأدب الاسترالى هو النابع من استراليا وحدها ولذلك لايمكن الحكم عليه بالمقاييس التى تنطبق على الاداب الاخرى . والواقع أن وجهة النظر لأصحاب هذا الاتجاه فيها شئ من الحق حين نقول : ان كل بلد يطور اللغة تطويرا خاصا به وينشئ صيغا توائم هذا التطور ويضيف الى اللفظ ظلالا من المعانى وكل بلدتتطور طريقة الحياة فيه بما يتناسب مع الجو والبيئة ومصادر الحياة ، والأصول الفنية لأدب هذا البلد يمكن أن يحكم عليها فقط داخل إطار هذه اللغة وطريقة الحياة تلك . لكن وجهة النظر هذه فيها كذلك شئ من المغالطة لأن هناك مقاييس عامة تحكم على النتاج الادبي الأوروبى كله والادبالاسترالى– كما يقول الاستراليون – يعتبر فى الحقيقة جزءا منه .

أخذت الموجه الوطنيه في الادب الاسترالى تشق طريقها وتزداد حتى بلغت أوجهـــافي الثلاثينات من هذا القرن ،وذلك بظهور جماعة منالكتاب والنقادجعلت شعارها «استراليون لحماودما وفكرا »،وتعتمد فكرة هذه الجماعه على ابرازأثر استراليا في الاستراليين وكانت ترى أن الضعف في المجال الادبي سببه : أن الأوربيين الذين رحلوا إلى استراليا انقطعت صلتهم بمصادرهم الحقيقيـــة للابداع الادبى ، وظلت جذورهم تتغذى وتعيش على الأدب الانجليـــزى لا على الصور والمشاهد والمواقف الاسترالية .

والوطنيون المتطرفون من هذه الجماعة اعتبروا الأبورجينيز سكان استراليا الاصليين– وهم ملونون – وحدهم المتصلين باستراليا الحقيقية وهم الذين يستمدون قيمهم وتقاليدهم وافكارهم مباشرة من أرض استراليا ، ويؤكدون أن الحركة الإبداعية الحقة فى الادب الاسترالى لا يمكن ان تؤتى ثمارها المرجوة إلا اذا قطع الادباء صلتهم بالقيم والتقاليـــــد الادبية الاوربية ، وطعموا أنفسهم بالقيم والتقاليد وطريقه الحياة الأبورجينية .

يمكن الرد على افكار هذه الجماعة المتطرفه بأن اكثر ما كتب من الأدب الاسترالى الجدى والجيد صدر عن كتاب ليست لهم علاقة بالأبورجينيز ، ومن ناحية أخرى فإن «الأبورجينيز ليسوا» كالهنود الحمر « بالنسبة لامريكا او » «الماورى» بالنسبة لنيوزيلاندة، فيؤثرون فى الادب الاسترالى بـل هم قوم يعيشون منعزلين وأجانب عن الاستراليين المستوطنين وطريقة حياتهم اكثر ما تكون اتصالا بالعصور الحجرية القديمة ، ومن ناحية ثالثة اننـا لو نظرنا الادب الانجليزى نفسه لا نجده قد اتخذ تقاليد سكان الجزر الأصليين من الجنس « التيوتونى » أساسا له ، ولكنه أرسى قيمه وتقاليده على التقاليد الدينية المسيحية ، وعلى التقاليد الكلاسيكية اليونان والرومـان .

وفى الخمسينات من القـرن العشرين بدأت موجة الحماس الوطنى فى الادب تأخـذ فى الانحسار وتختفى فورة التطرف « للاستراليه » وينظر الى الادباء ببساطة على انهم مجـرد ادباء لا على انهم بنـوع خاص ادباء استراليون . بعـد ذلك اخذت تظهر خواص الادب الاسترالى ومميزاته ورسو قيمه وتستقر تقاليده . ويمكن ان نتبين المعالم الرئيسية والسمات العامة للادب الاسترالى اذا القينا نظرة سريعة على اشكال التعبير الأساسية الثلاثه : القصة والشـعر والمسرحية .

القصة فى الأدب الاسترالي

اهتم الأدب الاسترالى بوجه عام بالحياة داخل القارة الاسترالية ، ولم يهتم كثيرا بالحياة فى العواصم الكبرى . وذلك أمر طبيعى لأن ثقافة العواصم فى جزء كبير منها متأثرة بالثقافة العالمية ، بينما ثقافة الريف ومدنه الصغرى لها طابع خاص بها وقد تكون محدودة وضيقة، لكنها استرالية متميزة فى صدق وأصالة . والتعبير عن « استراليا الحقيقية » : « وتسجيل صورتها الاصيلة ورسم ما يمثلها تمام التمثيل فى صدق يعتبر طموح تسعة أعشار الشـعراء وكتاب القصه والمسرحيه الاستراليين . وهذا بلا شك سمة المراهقة التى يتميز بهـاأدب المستعمرات البيضاء فى مراحل حياتها الأولى . وساعد على اطالة فترة المراهقه فى الأدب الاسترالى اغراء توفر المادة والصور الادبية التى لم تكتشف ولم تستغل ، والحافز الطبيعى لمحاولة التوافق بين المستوطنين والبيئة الجديدة ، وقد ادى هذا العمل بالضرورة كتاب من

خمسين سنه ، ولكن الأدباء الاسترالين المعاصرين مازالوا يدورون فى فلكه ويرودون طريقه ، ويسيطر عليهم اتجاه الاهتمام بالمناظر والصور الاسترالية اكثر من الاهـــتمام بالاشخاص والاهتمام بما هو صورة طبق الاصل لكل استرالى اكثر من الاهتمام ببشريـــة الاسترالى ومميزاته

وإذا أخذنا فى الاعتبار القصص الناجحة التى كتبت فى استراليا منذ بدء القرن العشرين حتى الآن، نجد اكثرها تاريخية أو محاولة لخلق صورة لاستراليا من خلال القصة،ويبدو أن هناك مصاهرة طبيعية بين زيادة الادب والادب وحول رواد استراليا الأول . وهناك شعور عـــام وقع تحـــت تأثيره كتاب القصة هـــو ان استراليا الحقيقية « التى يتطلعون اليها جميعا انما تقع فى مكان ما من الماضى . هذا الشعور الذى كان فى آواخر القرن التاسع عشر وأول العشرين محاولة صادقة وأصيلة لخلق مفهوم لاستراليا،وتجسيد لشكل البلد الجديد وقد تفسخ الآن وانحدرالى حلم لبلد خيالى أو مثالى ، بلد المغامرات والاستكشاف ، بلد بدأ بالعبودية والصراع بين الإنسان والأرض، وتطور الى الحرية واخضاع الأرض للاستيطان والزراعة ، بلد طريق الحياة فيه قائمة على البساطة والرفق . كل ذلك فى مواجهة الحياة المعاصرة فى المجتمع الصناعى الحديث ، وطريقة الحياة المتحضرة البالغة التمدن حتى فى المناطق الريفية والمعزولة التى يعمل على راحة الحياة فيها عديد من الخدمات الاجتماعية الحكومية . وجانب آخر من شعور استراليا الحقيقية الذى دفع تحت تأثيره الأدباء أنها بلد قام على الفردية والذاتية ، والأفراد هم الذين قاموا بالصراع البطولى مع الأرض والبيئة حتى تغلبوا عليها .

هذا هو السبب فى أن كتاب القصة غالبا ما يتجهـــون الى الماضى ، الى عام « هنرى لوســـون » Henry Lawson (١٨٦٧ — ١٩٢٢ و « يوسف فيرفى » Josph Furphy (١٨٤٣ — ١٩١٢) والى ثورة الخمـــر ، ومعتقـــل يوريكا ، والى لصوص الغابات وقطاع الطرق واستغلال « نيد كيللى »«وستارلايت » والذى بدأ عند الرواد محاولة الصراع مع الواقع انتهى عند المعاصرين بمحاولة لغرص الخيال والأحلام .

وهناك سمة أخرى من سمات القصة الاسترالية : هى ولع الكتاب الاستراليين الشديد ونزوعهم المتواصل الى التمسك بمصدر الحياة المتواضعة الفقيرة والكادحة الساذجة ، ومازال أكثر الكتاب يعيشون فى استراليا القرن الماضى تلك المستعمرة التى كان اكثر شعبها من الفقراء تستغلهم طبقة قليلة من الرأسماليين والاقطاعيين أصحاب الارض والمراعى والمؤسسات التجارية والمالية ، على الرغم من أن تكوين المجتمع الاسترالى قد تغير منذ ابتداء القرن العشرين ، فالاستغلال الذى تمارسه الطبقة الغنية غنى فاحشا ، وتحكم الاقطاعيين ، وانعدام الخدمات الاجتماعية وضعف القوة السياسية للطبقة العاملة ، أصبحت جميعها منذ فترة بعيدة فى ذمة التاريخ. والمجتمع الاسترالى الآن مجتمع زراعى وصناعى حديث يقوم أساسا على ثلاث مجموعات رئيسية : هى الصناعة والزراعة والعمال يمثل كل مجموعة حزب سياسى ، وهى أحزاب قد تختلف فى الشكل . . . أما المبادئ والسياسة فليس بينها اختلاف كبير .

وتمثل الطبقة المتوسطة المتجانسة أغلبية فى الشعب الاسترالى وفيه قلة تمثل الطبقة العاملة الفقيرة وقلة أخرى من طبقة الأغنياء بالوراثة . ومع ذلك فالقصة الاسترالية تتجاهل هذه الحقائق ولاتهتم عامة الا بالجماعات الكادحة أصحاب الدخل المحدود ، كما تتجاهل العواصم الكبرى وتركز اهتمامها على الريف . والاسترالى الحقيقى » غالبا ما تظهره القصة الاسترالية راعى الغنم أو الماشية ، أو جزاز الصوف ، أو عاملا فى الميناء أو المصنع أو المنجم أو منقبا عن البترول ، ونادرا ما تجعله محاميا أو رجل أعمال أو باحثا وعالما أو فنانا أو مالكا للماشية أو موظفا حكومياً اللهم الا إذا كانت هذه الوظائف تمثل عملا رومانسيا أو موقفا تاريخيا فى الماضى .

وفى الستينات من هذا القرن استطاعت الحركة الاشتراكية التى أطلقت على نفسها « الواقع الاشتراكى » ان تنطلق من ارضية هذا الاتجاه وتجذب اليها العديد من الكتاب الشبان والكبار على السواء .

الشعر فى استراليا

أظهر الشعر فى استراليا ميلا ثابتا الى أن يكون شعرا تصويريا ، وذلك راجع الى أن

الحركة الشعريه فى هذ البلد الحديث بدأت تحت تأثير الحركة الرومانسية ، وظل طيف وورد سورث Word Sworth يطارد شعراء استراليا من « هاريار » ،و« كندال »فى مطلع القرن التاسع عشر الى «دوجلاس ستيوارت » ، و« جوديث رايت » فى الفترة المعاصره . ولن نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان تسعة أعشار ما كتب من الشعر فى استراليا يصور مناظرها ومشاهدها . والواقع ان مجال الشعراء أوسع من مجال القصاصين ، وقد استطاع الشعراء أن يحلوا مشكلة الصراع مع الارض الجديدة بطريقة أفضل. واذا نظرنا الى خير ما كتب من الشعر الاسترالى المعاصر نجده يعطى انطباعة الشعراء الذين بدأوا من المشاهد المحلية كشئ موجود ومألوف بينما الشعر القديم يعطى انطباعة الشعراء الذين تناولوا المشاهد المحليه كشئ يطلب ترويضه وتذ ليله ليدخل عالم الادب .

وفوق ذلك فإن الشعر دائما يعالج موضوعات أخرى غير « الوطنيه » . فمثلا « ماكرى و « نيلسون » و«أوبرينان » من شعراء استراليا القدامى حين كتبوا شعرهم ارادوه أن يكون شعرا ، ولم يحاولوا أن يجعلوه شعرا استراليا . ولعل الذى حفظ الشعر وحماه من أن يجرفه تيار الوطنيه الاسترالية أن أوليات الشعر وانبعاثاته الأساسية تقوم على العاطفة وانفعالات القلب والوجدان وعلى الحقائق العامة للحياة الإنسانية . فالحب مثلا واحد من الموضوعات العامة للشعر ولن يجرؤ واحد حتى من المتطرفين فى حماسهم للاسترالية من الشعراء فيدعى أن هناك نوعا من الحب يطلق عليه الحب الاسترالى !

والشعر فى استراليا يقطع الآن فترة الانتعاش التى تسبق مرحلة الازدهار بعد أن أصيب بالأمراض الأدبية الحديثة حين سيطرت على الشعراء المذاهب التجريبية فى التعبير لكنهم عادوا الآن الى التيار التقليدى العام ،ويحاولون أن يخلقوا منه شيئا جديدا بالأسلوب التقليدى ومع أن أكثر الشعراء المعاصرين الذين بلغوا درجة عاليه من الفنية تصويريون من ناحية أو أخرى الا أنهم يتجنبون الفكرتين اللتين اصابتا شعر المراحل السابقة بالشلل والجمود : تجنبوا النظر الى المشاهد والمواقف الاستراليه لذاتها كى يحصلوا على تجربة شعريه ، وتجنبوا اعتبار كل شعر لا يتناول الموضوعات الخاصة باستراليا شعرا من الدرجه الثانية أو شعرا أكاديميا .

والشعراء فى استراليا يتمتعون بميزة لا يتمتع بها كتاب القصة . تلك هى حرية الحركة فى اختيار ما يثير تجاربهم العاطفية والشعرية من الموضوعات . فالشعر ليس عملا يمكن أن يقيم أود الشاعر فيتخذه مهنة يعيش عليها ككتابة القصة . ومن ثم فليس هناك الضغط الذى تمارسه شركات التوزيع بعد دراسة الأسواق وتحديد موضوعات بعينها تروج بين القارئين وهى فى القصة الاسترالية دون شك الموضوعات الرومانسية المصبوغة بالصبغة الاسترالية.

المسرحية فى الأدب الاسترالي

تخلفت المسرحية عن ركب الشعر والقصة فى استراليا . ذلك لأن وجود نهضة مسرحية تحتاج الى مسارح وممثلين وكتاب . وكانت المسارح فى استراليا في القرن التاسع عشر على قلتها مملوكة لشركات أجنبية احتكارية تفضل استيراد المسرحيات التى أثبتت نجاحها فى انجلترا وأمريكا كى تضمن الربح الوفير . وكان شعور « عدم الثقة » الذى خلقهالاستعمار فى كل ما هو استرالى عقبة أمام المواهب المحلية فى فن التمثيل . وفى ظل هذه الظروف لا ينتظر من كتاب المسرحية الاستراليين ان يتجاوزوا فى كتاباتهم مستوى الهواية .

ومن المتوقع فى مجتمع جديد مهاجر مثل استراليا أن يكون اتجاه الرواد الأوائل فى كتابة المسرحية اتجاها تقليديا يسيرون فيه على نهج المسرحية فى الوطن الأم ،وقد ظهر التقليد أكثر ما ظهر خلال القرن التاسع عشر فى نوعين من المسرحية : المسرحية الشعرية والميلو دراما . والأولى غلب عليها التحذلق اللغوى واطالة الأحداث لدرجة الملل ولم يكن لها من عناصر المسرحية الفنية غير الشكل والصورة ،وذلك كمسرحية لصوص الغابة لها ربر (١٨٣٥)—١—

أما الثانية فإنها وان كانت أكثر صلاحية للمسرح من الأولى الا أنها جاءت ركيكة وذات مشاهد متعددة ، واعتمدت فى عناصرها الجوهرية على العنف والقسوة بينالمجرمين المنفيين الى استراليا ،وقطاع الطرق ولصوص الغابات ، مثل مسرحية سرقة تحت تهديد

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر مسرحية (البرج) من سلسلة المسرح العالمى (رقم ٣) الكويت : ديسمبر ١٩٦٩ .

السلاح (١٨٤٥)– ٢ –ويعتبر « ويفيد بيرن » من أهم كتاب المسرحية الاسترالين فى القرن التاسع عشر ويمتاز بتنوع الأسلوب فى تناول المسرحية . ومسرحية لصوص الغابات اول مسرحية تعبر عن استراليا المعاصرة أما مسرحية سيدنى تحررت فتشهد ببراعته فى كتابة المسرحية الهزلية التى تهدف الى النقد الاجتماعى .

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين كانت هناك حركة منافسة قوية فى المسارح ، وفى الافكار المسرحية ، وفى الواقع الذى يعبر عن استراليا الجديدة ، وفى خلق مسرحية متكاملة . والكتاب الاستراليون والمتجون والنقاد كانوا يبنون فى خيالهم مسارح تقدم لهم القمم من المسرحيات العالمية ويحلمون بكتابة مسرحيات تخرج جذورها من استراليا على نمط مسرحيات « ابسن » و«شو » ومسرحيات شعرية على مثال مسرحيات«بيتس » و « سونج » ، والملهـــاة النقدية وملهاة الأخلاق كمسرحيات « جلبرت » و « ايلد » . وتجمعت الآمال والأحلام فى كتابة مسرحيات تعبر عن المجتمع الاسترالى فى حاضره وماضيه بمدنه وريفه بأغنيائه وفقرائه ببسطائه والمتكلفين فيه . وأحس الكتاب بالوجود الاجتماعى لأستراليا فى عواطفهم وضمائرهم، ومن ثم اتجهوا الى الكتابة عنها وعبروا عن مجتمعهم الجديد، وأخرجوا أعمالا فى صورة مسرحيات تقوم على الخيال ، أو على المواقف التاريخية ، لكنها اثقلت بالرموز والمجازات والاستعارات ولم تحظ بشئ كثير من العناصر الفنية الناجحة .

وأهم شخصيات المسرح الاسترالى فى مطلع القرن العشرين هما « وليم مور» «ولیس ايسون » أما وليم مور فلأنه منظم أول مسرح لكتاب المسرحية، وكان يقيم سنويا فيما بين عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٢ مهرجانا مسرحيا سماه « ليالى المسرحيات الاسترالية » يمثل فيها المسرحيات الاسترالية وذات الفصل الواحد . وعلى الرغم من أنه هو نفسه من كتاب المسرحية الا أن المؤرخين للمسرحية الاسترالية يذكرونه اكثر لتأثيره على « ايسون » . ويعتبر « ايسون » ١٨٧٩ – ١٩٤٣ مثالا للكاتب الوطنى المثابر . أحيا

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر المصدر السابق .

فكرة « مسرح كتاب المسرحية » عقب عودته الى استراليا من الخارج مفعما بالحماس والرغبة فى تقليد ما رآه فى المسرح الايرلندى. وكانت مسرحيات « ايسون » أفقا جديدا فى تاريخ المسرحية الاسترالية ، فقد انجزت ما كان يصبو اليه ، وحققت الذاتية والتجديد للمسرحية الاسترالية ، وتخلصت من التبعية لأى خط مسرحى خارج استراليا ، وكتب مسرحيات كثيرة شخصياتها ومشاهدها واحداثها ومواقفها استرالية لحما ودما .ولكن مع الحرب العالمية الاولى واختراع السينما لم يستطع « ايسون » أن يحقق من قوة الخلق والإبداع فى المسرحية الاسترالية ما يكفى لمنافسة السينما من ناحية ، أو لتحريك فقدان الشعور واللامبالاة عند الجمهور نحو المسرحية الأسترالية من ناحية أخرى .

وفى الثلاثينات من هذا القرن كانت حركة « مسارح الهواة » و« المسابقات المسرحية » من أقوى العوامل فى تطور المسرحية الاسترالية ، والسير بها فى طريق النضج والكمـــال. وقد بدأت حركة « مسارح الهـــواة » عام ١٩٠٨ — ١ — وكانت تقدم المسرحيات التى لا تقدمها المسارح التجارية من الروائع الأوربية العالمية وبعض المسرحيات الاستراليـــة. وطبيعى أن تواجه مثل هذه المسارح كثيرا من الاخفاف وعدم الاستقرار ، وخاصة اذا كان العمل فيها قائما على التطوع ، وتعتمد فى نفقاتها على الاشتراكات السنوية التى يقدمها هواة المسرح ، ومع ذلك فقد نمت هـــذه الحركة واشتدت منذ عام ١٩٣٠ ، وانتشرت مسارحها الصغيرة فى طول البلاد وعرضها . وعن طريق هذه المسارح الصغيرة أمكـــن للجمهور الاسترالى أن يرى المسرحية الاسترالية على المسرح وأن يتصل بالحركة المسرحية العالمية والتطور المسرحى الحديث،وظلت « مسارح الهواة » من ١٩٠٨ الى ١٩٥٥ هـــى النافذة الوحيدة التى يرى المشاهدون الاستراليون عن طريقها المسرحيات الجديدة فى انجلترا وأمريكا وأوربا ، وكذلك منحت هذه المسارح للكتاب الاستراليين فرصة أن يضعـــوا مسرحياتهم موضـــع التنفيذ والإخراج . وتأثير « المسابقات المسرحية » — فى الثلاثينات والأربعينات — على تطور المسرحية الاسترالية لا يمكن فصله عن تأثير العامل الآخر وهو حركة « مسارح الهواة » ، فقد نشأ عنها « المجلس الاستشارى لكتاب المسرحية » وهى

---

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر المصدر السابق .

هيئة متطوعة تقرأ المسرحيات وتنقدهـا ، وتحيل بعضها الى « مسارح الهواة » وتوصى بتقديمها للجمهور . ومسابقات الثلاثينات والاربعينات أخرجت كتاب المسرحية مـن التجربة الى الممارسة أو مـن ظلمة المغمورين الى نور الشهرة ومنحتهم الفرصة كي يروا أعمالهم تمثل على المسرح أو مطبوعة فى كتب . وفوق ذلك فإن نقد المسرحيات قد رفع من مستوى الكتابة بينهم بعد أن أرشدهم إلى نقاط الضعف فى مسرحياتهم . وزاد خبرتهـم بتكنيك العرض المسرحي وبرد الحوار فى إطاره الفنى ، وبيناء الحبكة المسرحية.ومعروف أن المهارة أو الموهبة وحدها لا تكفى لخلق مسرحية جيدة بل لا بد من مراعاة الاصول الفنية

ومن ناحية أخرى فقد كان للمسابقات المسرحية « تأثير سيء » على اختيار المادة المسرحية ذلك لأن هناك شرطا من شروط المسابقة يطلب موضوعات لها أهميتها القومية أو متصلـة بالوطنية الاسترالية . ومن ثم كثرت المسرحيات التاريخية . ومثل هذه المسرحيات تتطلب عددا كبيرا من الممثلين وكثيرا من المناظر وتنوعا فى الملابس وكثيرا ما ينقسم المنظـر الواحد فيها الى عدة مشاهد فتعوزها الوحدة وتبدو صغيرة ضئيلة . وغالبا ما يحاول الكتاب أن يديروا الحوار فيها بالأحاديث التى سادت فى الفترة الخاصة بالمشهد فتأتى غريبة وغير مألوفـة للمشاهد المعاصر . وأكثر هـذه المسرحيات التاريخية لم تر خشبة المسرح أبدا . وأعداد وفيرة منها اقتبست وأعدت للاذاعـة .

وكما كانت هناك عوامل أسهمت فى تطور المسرحية الاسترالية فإن هناك عوامل أخرى عاقت هذا التطور . ومن ذلك انتشار السكان فـوق مساحات واسعة من الاراضى ، وقلة التجمعات السكانية مما جعل اقامة المسارح فى هذه المناطق مشروعات خاسرة ، وتقاعـس الجمهور وتكاسله عن الذهاب الى المسارح البعيدة للمشقة والتكلفة . والعامل الثانى هو عالم المسرح التجارى فمديرو هذه المسارح هم الذين يحددون المسرحيات التى يراها الاستراليون وكذلك القائمون على شئون الاذاعه والتلفزيون باعتبارها أداتين لإيصال المسرحيـة الى الجمهور ، وهؤلاء جميعا لا ينظرون إلى المسرحية الاسترالية إلا نظرة الشك فى صلاحيتها للمسرح وعدم الثقة فى نجاحها . والعامل الثالث هو الجمهور الاسترالى نفسه فهو جمهور ذومزاج قلب ليس من السهل ارضاؤه ، والمفروض أن يكون الجمهور عاملا قويـا فى

تدعيم المسرحية الاسترالية وتوطيدها ، لكنه يتأثر بالموقف الذى تتخذه الصحافة ووسائل الإعلام من المسرحية الاسترالية .

والدعوة الى كتابة مسرحية استرالية دما ولحما كانت ضمن صيحة عامة للشعراء و كتاب القصة و الفنانين وقد خلقت هذه الدعوة فيضانا من المسرحيات التى تحاول اثبات الـذات الوطنية عن طريق معالم الأرض و المجتمع والحياة الاسترالية بالتنقيب عن الماضى ، وماضى استراليا ملئ بالعنف والقسوة والتعذيب وأنات المنفيين والسجناء ، وبالصراع المرير مع الطبيعة والأرض ليستخلص الانسان لنفسه الحياة ، وبعصابات قطاع الطرق ، وجنـون الباحثين عن الذهب ، ورحلات المغامرين فى القارة . وهى موضوعات قد تنجح القصة أو الملحمة فى تناولها ، لكنه من الصعب أن تكون موضوعا لمسرحية ناجحة . ومن ثم لم ترتفع المسرحيه الاسترالية فى واقعها الى مرتبة النضج والكمال .

دوجلاس ستيوارت ومسرحيته نيد كيللي

ظلت موجة الواقع الاسترالى تطارد كتاب المسرحية بصيحاتها — وتسيطر على افكارهم فيستجيبون لها حتى جاء « دوجلاس ستيوارت » فحول اتجاه المسرحية الاسترالية إلى التيار الرومانسى بمسرحيته الشعرية نيد كيللى التى صدرت عام ١٩٤٣ — وهى المسرحية التى نقدم لها — ومن ثم تعتبر هذه المسرحية نقطة تحول كبرى فى تاريخ المسرحية الاسترالية — فقد كانت تعبيرا عن الشخصية الاسطورية التى تعيش فى وجدان الاستراليين وعقلهم البـاطـن وأبرزت الشخصية الرئيسية فيها سجينا مضطهدا يحارب المجتمع من اجل الحياة ، وأظهرته ثائرا غامضا وبطلا متمردا على المجتمع الذى لم يجد فيه العدالة التى ينشدها . ومن ناحيـــة أخرى فإنها أول مسرحية فى استراليا يرتفع كاتبها إلى الاسطورة الاسترالية ويعبر عنهـا بغير لغة الحديث بل يجعل الشعر المرسل اداة الحوار فيها . ومع ان « ستيوارت » من اتباع الرومانسية الا أنه لم يكن متعصبا للاسترالية فقد جاء إلى استراليا من نيوزيلانده ولم يكن متأثرا قبل كتابة المسرحية برأى سابق عن أساطير الغابات داخل القارة ، ولابدور السجناء المضطهدين فى تاريخها ، واستطاع ان يظهر الجانب الانسانى فى شخصيات المسرحية خلال

الصراع الدائر بين الابطال العصاة من عصابة « كيلى » وبين النماذج البشرية التى مثلت المجتمع الاسترالى .

« ودوجلاس ستيوارت » مؤلف نيد كيلى أديب متنوع الموهبة ، فهو شاعر ويعد من كبار شعراء استراليا المعاصرين ، وأفضل كاتب استرالى يكتب المسرحية الشعرية . ورائد المسرحية الاذاعية فى استراليا ، وفوق ذلك فهو كاتب قصة وناقد أدبى . ولد فى « الشام » بنيوزيلانده عام ١٩١٣ ، وتعلم فى مدرسة «بليمــوت الجديدة « الثانوية للبنين ، ثم درس الحقوق فى كلية « فيكتوريا الجامعية » وبعد أن خرج للحياة العملية اشتغل فى عدة صحف نيوزيلاندية ثم سافر إلى انجلترا ليرى الطرف الآخر من العالم .

وفى عام ١٩٣٨ عاد الى استراليا ، واتخذها موطنا ، واستقر به المقــام فى «سيدنى» وعمــل محررا بمجلــة The Bulletin وهى أقدم المجلات الادبية فى استراليا وابعدها صيتا ، ولها وزنها وتقديرها ، الكبيران فى المجالات الادبية . ثم رأس تحرير صفحتها الادبية المشهورة باسم « الصفحة الحمراء The Red Paqe : عام ١٩٤١ ، وصار الناقد الفنى للمجلــة . وظل يسهم فى تطور الحركة الادبية الاسترالية من خلال هذه النافذة الصحفية اكثر من عشرين عاما وهو عضو فى المجلس الاستشارى لتشجيع الادباء التابع للحكومــة الفيدرالية ويعمل الآن مستشارا لدار النشر « أنجاس وروبرنسون » Angus and Robertson بسيدنى .

ودواوين « ستيوارت » الاربعة الاولى :

الخطوط الخضراء (١٩٣٦) ، والصيحة البيضاء (١٩٤٠) ، ورثاء طيــار (١٩٤٠) وسونيتات الجندى المجهول (١٩٤١) وهى التى بدأ بها نتاجه الادبى غنية بجمال الاسلوب وبالقدرة على التحكم فى اللغـــة .

---

(١) السونيت قصيدة من ١٤ بيتا .

وسحر الوقع الموسيقى للاوزان الشعرية ، وقصائدها تكشف عن أذن لايرقى اليها شك فى الاحساس الرهيف بموسيقى الالفاظ حتى عندما ينضب معين الانفعال ويتخبط الفكر من الحيرة . ومع ذلك فهذه الدواوين الاولى لاتنبئ عن المنعطف الكبير الذى اتخذه الشاعر بتحوله الى كتابة المسرحية الشعرية للاذاعة والمسرح .

وكانت أول مسرحية شعرية يكتبها « دوجلاس ستيوارت » هى نار على الثلج ، وهى مسرحية اذاعية تدور حول بطولة المستكشف « سكوت » ، ذلك الذى أراد أن يجوب القطب الجنوبى ولكنه ضل الطريق وواجهت بعثته سوء الحظ والعداء الشديد من الجو والطبيعة على محيط من الثلج ولقى أفراد البعثة مصارعهم صبرا ، وواراهم « سكوت » مثواهم تحت الثلوج واحدا واحدا حتى جاء دوره فظل يكتب مذكراته حتى سقط القلم من يده .

كانت مسرحية نار على الثلج الوميض الذى كشف عن موهبة « ستيوارت » — المسرحية والشعاع الذى غمره بضوء الشهرة . وكان النجاح الكبير الذى لقيته هذه المسرحية دافعا للشاعر على أن يتابع كتابة المسرحية الشعرية ويعالج بها موضوعه المفضل وهو البطولات الاسطورية التى تخلقها روح المغامرة أو الصراع فى طاعة القانون ، ويرى ستيوارت أن الادب يمكن أن يقدم الاساطير بالطريقة التى يعيش بها الناس ، وقد قاده ذلك الى أن يبحث عن شخصية البطل العظيم فى بنائه المجتمع ، والبطل الخسيس فى صراعه معه . وفى مسرحيته . الثانية نيد كيلى (١٩٤٣) لم يحاول « ستيوارت » تكرار نفسه ، بل نزل من البطولة السامية العظيمة بطولة « سكوت » الى بطولة من نوع آخر تصارع المجتمع والقانون ، بطولة « نيد كيلى » . والحق أن مجرد أن يأخذ ستيوارت مجموعة من شبان الغابات المشاغبين من سبعينات القرن التاسع عشر ويضفى عليهم شكلا بطوليا ان لم يمنحهم مكانة الابطال ، ويجعلهم مدار مسرحية شعرية لهو مغامرة جديدة وتحد لخط التفكير المسرحى الاسترالى . وذلك بالتأكيد كان أول عناصر التمرد عند « ستيوارت على مدرسة التقاليد الشكسبيرية وعلى اسلوب كتاب المسرحية الشعرية . فى اختيار الابطال العظماء .

ولم تختلف استراليا فى شئ اختلافها حول اسم « نيد كيللى » فهو عند بعض النـاس أخاذ تحيط به هالة من السحر والفتنة ، وعند الاخرين يطفح كل حرف منه بالاشمئزاز ، ويقطر بدم الإجرام ويدل على الخسة والنذالة . ومع ذلك فقد عالج ستيوارت «نيد كيللى» باتجاه جديد يتفق مع الموقف الرومانسى الذى يقفه من الحياة . فهو يعتنق أهمية الانسـان وذاته دون جدل او مناقشة ولايهتم بالاصلاح الاجتماعى او الاخلاقى ، وتثيره أعمال البطولة وجرأة المغامرة وفى «نيد كيللى» أظهر البطولة وهى تستعمل فى غير وجهها وتنحدر بالأبطال الى نهاية حقيرة .

و« ستيوارت » شاعر قبل أن يكون كاتب مسرحية ، ومن ثم فالطريق أمامه ممهـد للتأثر بالمسرحيات البطولية فى عصر شكسبير . ويمكن أن نرى ذلك التأثر بوضع خطين متوازيين بين ما كبيث لشكسبير وكيللى لا ستيوارت فالرجال الطموحون فى كـلا المسرحيتين — يجلبون الدمار لا نفسهم ولغيرهم .

ونيد كيللى احدى تراجيديات ستيوارت التى التزم فيها الحقائق التاريخية بدقـة ، فالشخصيات الاساسية فى المسرحية شخصيات حقيقية ، وزمان المسرحية ومكانها يتفقان مع ما جاء فى التاريخ ، ومن ثم يمكن أن يقال إنها تراجيدية تاريخية عالجت احداث فـترة من تاريخ استراليا واتخذت من عصابة « نيد كيللى » محورا تدور حوله ، وكشفت عن الصدام بين الرأسمالية المتحكمة التى تعيش فى المدن وبين عامة الشعب فى الريف ، وعـن بطولات التحمل والضلال فى الغابات والتيه فى القفار ، ووضحت الاتجاهات والعواطف المتباينة للجماهير ، وألقت الضوء على طبـاع الاستراليين وسماتهم ، فى هـذه الفترة وعلى موقفهم من القانون وتحكم السلطة ، ونظرتهم الى الجرأة ، والمغامرة والبطولة فى « بلد الرجـال » استراليا .

والفصل الأول من المسرحية استحوذ على كل أفكارها ، ولم يبق المؤلف للفصـول الأخرى شيئا جديدا فأصبحت شبه معادة . ومع ذلك فالمشهدان الأولان منه فى البيت وفى الحانه بمدينة « جير يلـديرى » بفكاهاتها الفاترة غير المريحـة وباستطرادها فى استعادة

الذكريات والأحداث مشهدان جامدان يخلوان من الحركة والعاطفة وتعوزهما الحيوية والفاعلية المنتظرة من عصابة قطاع الطريق . وقد أصابتهما دوامات الحوار بالسكون والرتابة والحوار إذا وقف وحده كحديث يدعو إلى الملل ويصرف المتفرج عنه ، وذلك على غير الحال فى بقية المشاهد التى تتحرك من نقطة الى نقطة فى انحدار تدريجى نحو المصير الطبيعى للخارجين على القانون . . فالحركة التى تموج بها خشبة المسرح هى التى تجذب المتفرج وتدفعه الى اليقظة والمتابعة . . والعاطفة التى توجههم فى حركتهم كما تتمثل فى حوارهم هى التى تأسر المتفرج وتشده لمتابعة الدور .

ويعد مشهد كوخ الجبل واحدا من المشاهد الرائعة فقد أبدع فى تصوير الوحدة القاتلة والعزلة الموحشة التى عاش فيها أربعة رجال يطاردهم المجتمع ، يدفنون مخاوفهم فى محيط ضخم من أشجار الصفصاف ، وليس وراءهم غير القانون . ومشهد مقتل « شيريت » يستطيع بذاته أن يقف شاهدا على براعة ستيوارت فى تصوير القلق والترقب والتشويق ، ونهاية المشهد بعثت الراحة فى نفس العصابة والجمهور والممثلين وحتى فى نفوس الشرطة وحفل « جلنروان » الذى أطلق فيه العنان للصخب والضجيج . بينما ينتظر المشتركون فيه الصوت المروع لتحطيم القطار يظهر الطباع المختلفة والحالات النفسية المختلطة فى اضطراب . والمشهد الأخير السريع الذى يصاب فيه « كيللى » بالرصاص فيخر على الأرض جريحا وهو فى دروعه الحديديه(١) ويقبض عليه فى ليل الغابة على ضوء ومضات الرصاص المنطلق مشهد مفكك غير مترابط . ثم جاءت النهاية بالعويل والصياح والنشيج فنفرت منها النفوس .

وعصابة كيللى فى المسرحية عصبة قوية فى صخب تتكون من أربعة فرسان خارجين على القانون يسيطرون على طرق السهول ودروب الغابات وممرات الجبال ، لكن ستيوارت لم يجعل « نيد » فى مجموعه زعيما مسيطرا على عصابته ، ولم يرفعه الى المستوى الأعلى بينهم . « فبيرن » يأخذ المسرح أولا ، ويظل محتفظا بالمبادرة ، وبالدور الرئيسى فى الحوار

---

(١) صنع كيللى لنفسه درعا حديديا يلبسه فى معاركه يزن ٩٠ رطلا .

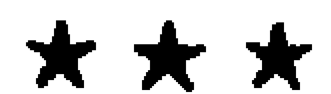
فيشد اليه الجماهير ويجذبهم الى متابعته . ولأنه شاعر فى مسرحية شعرية ، وعاشق وسط قلوب قاسية ، وذكى لماح حاضر النكتة ، وحاد الاجابة ، وسكير عصل فإنه يأسر العواطف بسهولة ، وله شخصية أخاذه يملك بها زمام القول فى فصاحة غير عادية عند كل حوار . وهو نفسه العقل المدبر والفكر المخطط للعصابة كما يعترف بذلك زعيمها المغرور فى صلف وصاحب الارادة القوية « نيد كيللى » والشخصية التى لها كل هذه الإمكانيات تثير فى النفس التألم من أجلها . وتنتزع من القلوب التحسر عليها حين تجدها جزءا من عصابة لاتعمل لهدف ، بل تقف ضد القانون والمجتمع وقدرت لها نهاية شنيعة كنهايات أمثالها من الخارجين على القانون والثورة الداخلية الصادقة لم تحدث الا فى شخصية « بيرن » . وهى شخصية متطورة يظهر لها فى كل موقف تصرف جديد يكشف عن جانب منها . أما شخصية « نيد » فقد تجمدت منذ البداية على صورتها الاولى فهو مغرور ، صلف طائش ، متجهم ، مقامر ، لاينتهى عن رأيه مهما كانت العواقب ، مغرم بالدعاية لنفسه وتخليدها ، له احساسه الخاص بالعدالة ، ويظل كذلك طوال المسرحية . حتى النهاية ، لم يتعلم درسا واحدا من الحياة . ونجد ولعه بالمشروعات الغريبة وحبه للمغامرات غير المألوفة يجلب الدمار لهم جميعا . ومع أن « نيد » يرى نفسه آخر ملوك الطريق الا أنه ليس شخصية غنية بنفسها يمكن أن تكون وحدها أساسا لنجاح المسرحية .

وقد أعطى « ستيوارت » لشخصيات المسرحية من ذاته كشاعر تعبيراته النابضة بالحياة وأسلوبه الرشيق بأوزانه وموسيقاه ، وحواره المثير للمشاعر والذى يمكن أن يقال أكثره أو يستمع إليه لفترات طويلة . وحتى العامى منه أغناه بالحيوية وعوضه بالانفعال فجاء أخاذا وساحرا يعلق بالذاكرة . وقد استطاع « ستيوارت » أن يروض أوزان الشعر ويهدهد من سرعته ليوافق الطباع النفسية المختلفة للشخصيات ،والانفعالات المختلطة فى المواقف ، وأمكنه أن يستحضر بالشعر كل المواقف المهمة ويجعلها تعيش كعناصر ديناميكية تؤثر وتتحرك فى المسرحية وقد منح « ستيوارت » المقدرة على التحكم فى الحوار المنظوم فبدا كما يقع بين الناس فى الحياة العادية ، وأظهر الشخصيات وهى تعيش أدوارها فى صدق ، وارتفع بالشعر مع كل شخصية إلى لحظة إلهامها التى تصل

فيها إلى الذروة . ولم يكن وجه العدالة عنـــد « ستيوارت » أقل أهميــــة فى المسرحية من مشاهدها وشخصياتها وحوارها المنظوم .

والمسرحية غنية بموفور من شحنات الانفعال التى تدل على الطبيعة العاطفية الاسترالية . . و على الرغم من أن « ستيوارت » نيوزيلاندى الا أنه استطاع أن يصل الى أعماق «الاسترالية» شخصية وأرضا . والذى لاشك فيه أن امتزاج الفكرة والشعور والعاطفة فى المسرحية قد آتى ثماره سحرا يشد القارئ والمشاهد الى المسرحية بقوة .

ومهما يكن من المدح الذى يقال فى مسرحية نيد كيللى أو النقد الذى يوجه اليها فإنها قد حولت تيار المسرحية الاسترالية وغيرت من اتجاهها ، وسوف تظل لسنوات كثيرة قادمة رائدة ودليل عمل للمسرحية الاسترالية .



بيان بأكثر مؤلفات دوجلاس ستيوارت

دواوين الشعر :

١ – الخطوط الخضراء	اوكلاند	١٩٣٦
٢ – الصيحة البيضاء	لندن	١٩٤٠
٣ – رثاء طيار	سيدنى	١٩٤٠
٤ – سونيتات للجندى المجهول	»	١٩٤٠
٥ – النائم فى فصل الربيع	»	١٩٤٦
٦ – جلنكو .	»	١٩٤٧
٧ – الشمس وبنات السحاب .	»	١٩٥٢
٨ – طريق بيروزفيل	»	١٩٥٥
٩ – الذرة الالكترونية .	»	١٩٦٢

المسرحية الشعرية :

١ – نار على الثلج	سيدنى	١٩٤٣
٢ – نيد كيللى	»	١٩٤٣
٣ – العاشق الاشقر .	»	١٩٤٤

٤ — مسرحيتان للراديو	سيدنى	١٩٤٤
٥ — السفينة الغارقــة .	«	١٩٤٧
٦ — اربع مسرحيات .	«	١٩٥٨
٧ — شبح الصيــاد	«	١٩٦٠
٨ — الزلزال يهز الارض	«	١٩٦١

النقد الادبى :

١ — الجسم والروح	سيدنى	١٩٤٨

القصــة :

١ — الفتاة ذات الشعر الأحمر وقصص أخرى	سيدنى	١٩٤٤

القاهرة : يوليو ١٩٧٠

الدكتور على الحديدى
استاذ الادب العربى المساعد
بجامعة عين شمس
والاستاذ الزائر بجامعة ملبورن من١٩٦٣ الى ١٩٦٥

شخصيات المسرحية

The Kelly Gang :	عصابة كيللي :
NED KELLY	نيـد كيـللي
DAN KELLY	دان كيـللي
JOE BYRNE	جـو بـيرن
STEVE HART	سـتيف هـارت
Clerks in the Bank at Jerilderie	مصـرف (جيريلديـرى) : كاتبـان موظفـان فى
LIVING	ليفنـج
MACKIN	ماكـين
TARLETON, bank manager	تارلـتن (مدير المصرف)
ELLIOTT, « Jerilderie schoolteacher. »	اليـوت : (مدرس فى جير يلـديرى)
THE REV. GRIBBLE	القس جريبـل
BRETT a squatter	بريت : (راعى أغنام كبير ممن يستأجرون أراضى التـاج)

RANKIN a merchant	رانكــين : (تاجــــر)
HARKIN a store-keeper	هاركــين : (صاحب حانــوت)
THE ROO, Ned Kelly's Mistress	الغـــرة : (عشيقة نيــد كيلى)
AARON SHERRITT, an informer	هارون شيريت : (مخــبر الشرطــة)
RITA SHERRITT, his wife.	ريتــا شيريت : (زوجــة هــارون شيريت)
MRS. BARRY, mother of Rita.	السيدة بــارى : (أم ريتــا شيريت)
REARDON, a railwayman	ريردون : (موظف ســكة الحديــد)
MRS. JONES, proprietress of the geln- rowan Hotel.	السيدة جونز : (مالكة فنــدق جليــنروان)
JACK JONES, her son.	جاك جــونز : (ابن السيدة جــونز)
CURNOW, Glenrowan schoolteacher	كرنــاو : (مدرس فى مدرسة جلينراوان)
MRS. CURNOW, his wife.	السيدة كرنــاو : (زوجــة كرنــاو)
Police, barmaids, supporters and prisoners of the Kelly Gang.	رجال شرطة ، ساقيتان ، أنصار عصابة (كيلى) ومعتقلوهم .

الفصـــل الأول

المنظر الأول

المكان : مصرف (جير يلديري) ، الزمان : صباح يوم الاثنين ، ١١ من فبراير (شباط) عام ١٨٧٩ . يمتد حاجز المصرف فى زاوية قائمة من مقدمة الحائط الأيسر ومؤخرته ، وعبر المسرح على مقربة من يسار وسطه ، وبذلك بشكل مساحة محجوزة هى مكان عمل موظفي المصرف . ويؤدى با فى وسط مؤخرة المسرح الى مسـاكن موظفي المصرف الخاصة . (ماكين) موظف شاب ، قد اتخذ لنفسه مقعداً مرتفعا بلا مسـند تجاه مكتب فى المسـاحة المحجوزة ، اما (ليفنج) كبير الكتبـة ، فيقعد أمام حاجز المصرف مـواجها باب الشـارع الأيمن .

ليفنـج : (منحنى الظهر ، ملوح الوجه من الشمس ، متوسط العمـر ـ يتمتم وهو يعـد رزمـة من ورقـات « البنكنوت ») :

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

وخمسة خمسون . . .

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر . . . .

ماكـــين : (يلحق بالترتيل ساخرا) :

الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
الاثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء ، الخميس ، الجمعة
اللهم خفف علينا عناء الأسبوع ، فما زلنا في أولى أيامه . . . الاثنين ،

ليفنـــج : أسكت . . . . أخى ! وخمسة خمسون .

خمسة وخمسة عشرة ، وخمسة وخمسة عشرة
خمسة وخمسة عشرة ، وخمسة وخم . . .

ماكـــين : ياسيد » ليفنج » ! . .

ليفنـــج : ماكين ، أف لك ، بالله لا تزعجنى ، لقد أخرجتنى عن جادة العدّ . ألا تستطيع أن تنشغل عنى بعمـــل تزاوله ؟

ماكـــين : بالله خبرنى ، ما الذى أنت صانع إن وجدت نفسك مفرطا بالعد بستة بنسات ؟ هل تقدم استقالتك ؟

ليفنـــج : (منطلقا على سجيته) : لن يقرّ لى قرار حتى أهتدى اليها . . . ألا لعنة الله عليك ، يا « ماكين »

ماكـين : وذلك نفس ما فعلته أنا يوم السبت — فلقد تقصيت البنسات الستة الضالة حتى اهتديت اليها .. لقد هفوت في الحساب ، فضيق عليّ « تارلتن » الخناق واحتجزني فترة بعد الظهيرة كلها ، وهو نصف النهار المستحق عطلة لي . ان « تارلتن » يعرف كيف يهضم الناس حقوقهم . .

ليفنسج : لابدّ أن يأتي اليوم الذي تدرك فيه أن ليس من الحكمة أن تشتم مدير عملك . » احذر فللجدران آذان » .

ماكين : اذا أذعت ما سمعت عني فلن أتورع عن التشهير بك بما تستحقه .

ليفنسج : استح يارجل .

ماكـين : ان المدير ، على أية حال ، عجوز جبان . ما الذي يهم هذا السبهلل ، لو فرط في الحساب ببضعة شلنات ؟ هل يبهظ هذا كاهل المصرف أو يكسر ظهره ؟ وعلى أية حال كان يمكن التدقيق في تصحيح فرق الحساب اليـوم . لكأننا في مدينـة « سيدني » حيث التشديد والتدقيق ، اننا في « جيريلديري » ، وما أشبه الأيام بعضها ببعض في حمام الغبار هذا .

ليفنـــج : إنها مسألة مبدأ .

ماكـــين : أنا لست ممن يهتمون بالمبدأ .

ليفنـــج : أنت تدرك تمام الإدراك أن للمصرف قوانين لابد من أن تتبع ، فإذا جاوزنا حدودها المتبعة ، فان المصرف لن يكون المنظمة التى نريد . إن احداً لا يريـــد أن يحرمك من نصف النهار الذى تستحقه عطلة . ولكن المسألة مسألة مبدأ ويجب أن تنهى تصفية فرق حسابك قبل أن تبرح بناية المصرف .

ماكـــين : ويبدو لى أنها منسألة مبدأ أيضا أن نسخر ، أنت وأنا ، هنا كالعبيد بينما يتعاطى المدير الجعة على مقــربة منا .

ليفنـــج : وقد يكون نائما .

ماكين : حسنا ، كان أحرى به أن يأتى لمزاولة عمله،ويكون قدوة احتذيها . كل الذين يخطرون على بالى من مديرى المصارف في المدن الريفية ، يزجون نصف وقتهم اما نائمين أو متسكعين في المدينة ، وهم المتسنمون ذرى الوظائف الذين يسنون القوانين . وما يقدمونه من عمل هو والعدم سواء . فان لم يكن المدير ناعما بالنــوم الآن فلابد أن يكون الجبان العجوز قد خرج إلى الشارع

يحمى بطنه في الشمس . أف لهذا الحر ما أشده لسوف أخلع سترتى .

ليفنسج : الخير الا تفعل ذلك ، يا « ماكين » .

ماكين : أنا أدرك أن السيد « تارلتن » يسوءه ذلك ، ولكن ليذهب السيد « تارلتن » إلى جهنم ، ومعه المصرف .

ليفنسج : كل ما تفعله عبث ومضيعة للوقت .

ماكين : لا أستطيع عملا ، فشدة الحر تمضنى .

ومدن الريف أعافها ، ليست سوى مسابح الغبار
تعفر الطيور ،
لكم أعافها : جفافها ومحلها .. ياللموات والعدم ،
تعافها الديدان مثلما يعافها البشر ،
تهجرها تقززا .
فيها الحياة عمل ، نوم ، عمل .
جد بلا تسلية بلا نساء .
وليس من يؤنس من يحلها بطيب الحديث .
لكم يعاف شارب الجعة شربها ،
فهى لحزها مريرة ، وطعمها الصابون والعياف ،
كمائع غسلت فيه قدميك .
أبغضها أيام هذا الصيف جالب الخمول والكسل ،

حتى الغبار ،

يبدو كليلا متعباً ،

يهب بالجهد الجهيد مرة .

في كل جمعة ،

وبعدها يعاود الركود ،

كمثل كلب مقمل ،

ما يشرع الأذنين مرة ،

حتى يعود للهجوع ،

يَنْهَدُ تحت وطأة الوسن ،

سبعين مرة . . .

(باسلوب متكلف) والله يا « ليفنج » ، ضاقت بى الحال ،

سئمت نفسى الحياة .

ليفنج : مازلت أفضل ألا ترفع الكلفة بيننا وأن تظل تدعونى السيد « ليفنج » .

ماكين : لكم أفضل أنا أيضا أن تدعونى أنت القبطان « ماكين » ، أو المشير « ماكين » ، أو العاطل « ماكين » ، أو عامل المنجم ، أو لص الأدغال — ولكنك لا تفعل ذلك . انى عندما أُدعى على لسانك

فأنا مجرد « ماكين » الذى كما يلعق طوابع البريد
يلحس أيضا حذاءى المدير . والله ، لو أتيحت لى
فرصة أخرى ، وظهر الذهب في أيـة منطقة من
استرالية ، فلسوف اندفع إلى المناجم وأخلفكم ورائى .
أو لربما اتخذت مسدسا ونصبت له من نفسى هدفا .
فلأصبحن (نيدكيللى ماكين) أو أى شيء آخر
لغرض التغيير والتنويع المجردين .

ليفنج : خير لك ألا يسمعك السيد « تارلتن » وأنت تفوه
بهذه الكلمات . فما أثقلها مزحة وأخطرها أيضا .

ماكين : انك رجل من دم ونار ، حقا إنك كذلك . وأراهن
أنك لم تجرؤ حتى الساعة فتغير ثيابك الصوفية الشتوية .
(يبدو الامتعاض على ليفنج) حسنا اذن ، وسمعا
وطاعة . ولكن ألا يستطيع الإنسان حتى أن يذكر
عصبة « كيللى » مجرد ذكر ؟

ليفنج : لا يحسن بالمرء أن يبدو عليه أنه يتعاطف معهم ، وكف
بذلك قولا . قد يسترعى انتباه سلطات المصرف إلى
هذه الأمور ، وللمصرف كل الحق في ذلك . ما أكثر
الذين يرون أن نهب المصارف تسلية تستحق أن يمتعوا
بها . والنهب هو النهب . لقد نهب مصرف (يورا) ،

ونحن نخدم هذا المصرف ، يحتم علينا واجبنا أن نحمى أمواله .

ماكين : لا أختلف معك في أنني سأحمى أموال المصرف ، ولكنني أتمنى في قرارة نفسى أن يحضروا فيستولوا عليها ، وليكن المستولى عليها من كان ، سواء كان عصبة « كيللى » أو صاعقة نازلة من السماء . أو حتى فتاة ، يا « ليفنج » ، نعم ، حسناء فاتنة ، فتاة من لحم ودم ، ذات ساقين ، نعم ساقين حقيقيين .

ليفنج : لن أستطرد فأدخل معك في حوارك السخيف هذا .

ماكين : هب أن عصبة « كيللى » قد عبرت الحدود لمجرد تغيير المناطق ، ولا يعلم أحد أين هم الآن . وينتظر أن يطلوا علينا هنا ، قل لى بربك صراحة ، ألن يسرك أن تغير حياتك نوعا ما ولفترة وجيزة ؟

ليفنج : لا ، أبداً ، لن يسرنى ذلك .

ماكين : اذن ، إلى الجحيم ، ما جدوى حديث مثل هذا ؟ أما أنا فلن أتوانى عن المغامرة . إننى خارج لأدخن . ناولنى تلك الرسالة . فلو صادفنى (تارلتن) فى الطريق لزعمت له أنك بعثتنى لأوصلها إلى البريد . (يثب الحاجز ويخرج من الباب الأمامى) .

ليفنـــج : (مع خروج ماكين) : قل له بأنك « نيدكيللى »

(يعود إلى العد المرتل) :

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

خمسة وخمسة عشرة وخمسة خمسة عشر

وخمسة خمسون .

خمسة وخمسة عشرة و . . .

(بينما يعد مرتلا ، ينفتح الباب الخلفى رويدا رويدا ، ويدخل على حرف ، « جو بيرن » مرتديا بدلة رسمية لشرطى من السوارى التابعة لويلز الجنوبية الجديدة ، يشهر بيده مسدسا . « بيرن » فارع القامة ، ضامر البنية ، ذو لحية خفيفة ، هو عقل عصابة « كيللى » المدبر ، وحديثه كحديث المتعلمين المثقفين . يسير بخطا خفيفة متجها نحو « ليفنج » ، الذى ، لشدة استغراقه في عمله ، لا يحس بدخول « بيرن »

بـــيرن : أنت ، يا أخانا

(يهب ليفنج مذعورا) .

ليفنـــج : ماهذا ؟ ما الذى تقصده من دخولك إلى هنا ومن صياحك ؟

بــيرن : لقد جئت لكى أراك .

ليفنــج : (بتلطف أكثر) : حسنا ، كان أحرى بك أن تدخل البيوت من أبوابها . . . متبعا الطريقة الصحيحة . كونك من رجال الشرطة لا يعطيك الحق في اقتحام المكان من ناحية المنازل الخاصة بسكنى موظفى المصرف ، ما الذى تريده يا « حضرة » الشرطى ؟

بــيرن : اسمى « كيللى »

ليفنــج : (بلا مبالاة) : ما الخدمــة التى يمكننى أن أؤديها لك ؟

بــيرن : ان ما تستطيع أن تؤدى من خدمة كثير جدا . تستطيع أن تقدم لى تذكارا بسيطا مما بيدك من خير لا ينضب معينه . يكفى مجرد عشرة آلاف دينار ، أو أكثر من ذلك إذا كان ذلك ممكنا .

ليفنــج : ماذا تقــول ؟

بــيرن : (شاهرا مسدسه في وجه « ليفنج »): قلت إن اسمى « كيللى » .

ليفنــج : وما الغرض من المسدس ؟ يا « كيللى » . . . كــل الناس هذا الصباح (كيللى) . انك بلا شك تمازحنى .

بـــيرن : لقد قلت إن اسمى « كيللى ». « كيللى » يامغفل .

ليفنـــج : أرجوك لا تشتمنى .

بـــيرن : (صارخا) اصح من النوم ، أيها المحيرة الحالمـــة ، ان المصرف محاصر . ان عصابة « كيللى » هنا .

ليفنـــج : (يدرك فجأة ما يلم به ويفقد أعصابه كلية) : رباه ، رباه عصابة « كيللى » !

بـــيرن : ارفع يديك، هيا . . . تقدم وارفع يديك ، لا تهتم بأمر النقود سأحرص على أن تحل محلا لائقاً بها .

ليفنـــج : رباه ، رباه !

بـــيرن : أين مسدسك ؟

ليفنـــج : أين ماذا ؟ . . . المسد . . . أى نعم ، تقصد المسدس .

بـــيرن : أى شيء آخر تظنني أقصد ، بحق الجحيم ؟ مخفقـــة البيض ؟ أين مسدسك ؟

ليفنـــج : أخشى أنني لا أعلم . قد يكون تحت المكتب ، هـــل تأمر أن ألقى نظرة ، ياسيد « كيللى » .

بـــيرن : أبق يديك مرتفعتين . تخيل نفسك تصطاد الذباب . ان كفيك مثل نسيج العنكبوت ، على أية حال . من أنبأك بأن اسمى « كيللى » ؟

ليفنـــج : (يبدأ يستعيد وقاره بعد أن تنال سخرية بيرن اللاذعة من كبريائه) : أنت قلت بأنك « كيللى » .

بـــيرن : اسمى « جو بيرن » . تذكر ذلك . فعندما تغـــدو عجوزا أشيب ، وعندما يصبح فمك أدرد ، ليـــس فيه من الأسنان أكثر مما في فم الفرخة ، عندئذ تستطيع أن تروى لأحفادك أن « جو بيرن » اعتقلك قبـــل وصول « نيد كيللى » ولابد أن الخبر سيعجب زوجتك هذه الليلة .

ليفنـــج : لا تدخل زوجتى في هذا الأمر .

بـــيرن : (باعجاب ساخر) : ياللك من شيطان مريد ، أو لست كذلك ؟ أين المسدس ؟

ليفنـــج : (بتبرم وضجر) : لا أستطيع أن أتذكر .

بـــيرن : أيها المحبرة . والله لأريقين مخك وأنزلنه لطخة كبيرة على دفتر حسابك . أين الآخرون من رفاقك ؟ لماذا أنت هنا بمفردك ؟

ليفنـــج : لقد ذهب « ماكين » يوصل رسالة إلى البريد .

بـــيرن : وأين المدير ؟

ليفنـــج : ليس من شأنى أن أعرف أين يختار السيد « تارلتن »

قضاء وقته بينما يتعرض مصرفه للنهب . فتش عنـــا بنفسك .

بـــيرن : لقد انذرتك ، أيها المحبرة .

ليفنـــج : ما الذى أنت فاعل ؟

بـــيرن : (مستخفاً مرحاً) نعم ، لسوف ننهب المصرف ، ونغتال قليلا من الناس ، ونسلق طفلا أو اثنين وبعد ذلك نغادر المكان ، إذ ليس في نيتنا الاضـــرار أو الأذى .

ليفنـــج : لا تتحدث إلىّ حديث الأطفال . إننى لا أطيقه .

بـــيرن : (يتحدث ببطء) أعتقد أننى سأطلق عليك النار . (يومىء إلى « ليفنج » بالاقتراب) تعال إلى هنا .

ليفنـــج : ياسيد بيرن —

بـــيرن : (يهدده بالمسدس) واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ثِبْ من فوق الحاجز كالعصفورة . (يتردد ليفنج) هيـــا ، هيـــا

(يتعلق « ليفنج » بالحاجز متسلقا إياه ثم يقف وظهره مستند إليه ، متحديا بعصبية رجل الادغال) .

ليفنـــج : وماذا بعد ، ياسيد بيرن ؟

بـيرن : مرحى ، أحسنت والآن ثب عائداً إلى حيث كنت . إنني لن أستطيع أن أحرم زوجتك من إله اغريقي ! .

(بينما يتسلق « ليفنج » الحاجز عائدا إلى حيث كان ينفتح الباب الأيمن ويدخل « نيد كيللى » يذرع القاع بخطى وئيدة واسعة ، وهو أمتن بنية من بيرن ، ذو لحية كثة ، ومظهر متسلط ، يوحى إلى من يراه بأنه هو الزعيم بلا منازع حتى حينما يفضحه اضطرابه المعتاد فيغدو تخبطاً وهياجاً أو تبجحاً . فإنه عندما يغتاظ يغدو قتالا ، وعندما يكون في حالته الطبيعية فهو مرح منشرح الصدر في عناد وتمرد . بعد أن يلقى نظرة خاطفة على الموقف في المصرف ، وبعد أن ترتاح نفسه بأن الأمور قد جرت حسب الخطة المرسومة ، يقف باسما عند المدخل) .

ليفنـج : (عند سماعه دخول « نيد » ولكن دون أن يتبين من الداخل) :

يا « ماكين » ، احترس (يرى « نيد ») أيها الشرطى !

نيـد : لقد روعت البومة العجوز فأخرجته عن أطوار العقل ، يا « جو » .

(يتحدث إلى « ليفنج ») ألا تعرف « نيدكيللى »
عندما تراه ؟

ليفنـــج : أى ، وربى انى أعرفك . إنها سرقة سافرة في رابعة
النهـــار .

نيـــد : (ملاطفا « ليفنج ») لو كنت في موقفك لما انزعجت.
فالانزعاج يربك الهضم ، ويثقل على المعدة حتى لكأنه
الرصاص فيها . وأنا لست الا مجرد عميل ، قد قدم
عليك يطلب قرضه ، هذا كل ما في الأمر .

ليفنـــج : انك تنوى أن تنهب المصرف (كمن لا يصدق مايرى)
وهنا في « جيريلديرى » أيضاً !

نيـــد : (ساخرا) لا تخف .

ليفنـــج : رباه ! لابد أنكم قد اغتلتم رجال الشرطة . والا فمن
أين أتيتم بهذه البذلات الرسمية ؟

نيـــد : « جو » ما اسم هذا المخلوق ؟

بـــيرن : « المحبرة » .

ليفنـــج : (مستردا كبرياء طعينة) اسمى ليفنج (. . . . الحى)

بـــيرن : (مرحا) حسنا اذن أيها (الحى) ، فسرعان ماستكون
ميتا .

نيـــد : استمع إلىّ أيها « المحبرة الحية » . التزم الصمت ولن يمسك أحد بأذى . . لم يصب أحد بأذى بعد . المدينة محاصرة ، وذلك كل ما في الأمر . لقد حاصرنا مركز الشرطة . وقد أوصدنا أبواب الزنزانات واحتجزنا فيها القناصة ، بعــد أن سلخنا بزاتهم الرسمية عنهم ،وخلفناهم أحياء هذه المرة. ولقد حاصرنا الخمارة كما حاصرنا أيضا مكتب البريد ، وهأنت ذا أيضاً محاصر .

ليفنــج : (ممتنا ، كمن قد نال حظوة لنقل هذه الأخبار اليه) نعم ، نعم . . . أستطيع فهم الموقف جيدا الآن . لم أستطع أن اتبينك جيدا حينما رأيتك تدخل لأول وهلة ، ياسيد « كيللى » . لقد غلبت على مفاجأتك لى .

نيـــد : ولقد قصدنا فعلا أن تكون زيارتنا لك ، مفاجأة .

ليفنــج : ان معاونك هذا قال لى عندما أوقعنى في يده : إنه هو « كيللى » .

نيـــد : أحقاً « جو » أدعيت اسمى ؟
لعل اسمى به ما يفعل السحر من القوة ،
وهذا الأمر لا يخفى .
كما قد كان في الماضى من القوة ، لأسماء :

« كلاركس » « بن رهال » ، « جاردينر »
لقد كانت إذا ذكرت
يصيخ لها ويمتثل ، مُغذُّ الركض بالعربة ،
ويعرق « قانص الأمن » لمسمعها ويرتعد ،
ويدفع عامل المصرف
يؤدىَ واجب الخدمة ممتثلا على الفور ،
لأمر الذاكرين لها ، من الفقراء والجلداء .
أجل ياصاح . . . ما « جو » غير (نيد كيللى) .
فجو عقلى ، مخطط كل أعمالى
و « دان » و « ستيف » سيدا الحان ، ذا الحين
هما رجلاى في سيرى
وجمع قبضتى في لكم اعدائى .
بلى ، إنك « نيد كيللى »
(صارخا) ثب يا « جو »
(يذعر « ليفنج » لاستجابة « بيرن » الفورية التلقائية) .
رأيت إذن ؟ فأنت تثب . . .
مباشرة ، كما تتجاوب كفى عندما أصدر إليها أمرى .
ليفنج : ياللذكاء ، ياسيد « كيللى » . انى أتعلم الآن ما يجب

أن أفعل عندما أقع في أيدى « رجال الادغال » . ماذا تأمروننى أن أفعل الآن ؟

بـيرن : عليك بمنديل نظيف أبيض تأخذه وتدنيه من شفتيك الصغيرتين الحقيرتين ، ثم تمسح به التكشيرة اللزجة عن وجهك ، وبعد ذلك تخبرنا أين يكون مـديـر المصرف .

ليفنـج : (مستشيطا غيظا) لست أدرى أين هو .

نيـد : وأين الرجل الآخر ؟

بـيرن : (مشيرا إلى ليفنج) إنه يقول إن الكاتب « ماكين » قد انطلق إلى مكان ما في المدينة . والغريب في الأمر أن المدير لم يشرف بالحضور إلى الآن .

نيـد : ألم يكن خارج المصرف ؟

بـيرن : لم أره .

نيـد : أين المدير ، يا « ليفنج » ؟

ليفنـج : لقد قلت لك لست أدرى .

نيـد : (يبدأ خلقه يضيق) لا تخاطبنى بمثل هذه اللهجـة . لابد أنك تدرى أين هو .

ليفنـــج : لست أدرى . وان كنت أدرى فلن أتطوع بإخبارك . ابحث عنه بنفسك .

نيــد : يكفيني أن قد وجدتك أنت . (يسير متقدما من الحاجز ويتكيء عليه ثم يشير إلى « ليفنج » أن يتقدم نحوه) ادن مني ، يا « ليفنج » حقق النظر في ماسورة البندقية تجد باطنها مظلما أسود ، وهي تنطق من حيث ترى ذلك السواد . ولن أكتمك سرا أنها توشك أن تتحدث اليك ولن يسرك ما تقول .

ليفنـــج : لكما أن تفعلا ما يروقكما . إنكما اثنان في وجه فرد واحد ، وأنتما فوق كل ذلك مدججان بالســلاح . فان شئتما أرديتماني قتيلا برصاص بندقيتكما ، كذلك تستطيعان نهب المصرف ، ولربما فررتما بالغنيمـــة سالمين . ولكن اليوم آت لا ريب فيه حينما تندمان ولات حين مندم ، لأن أقدامكما قد وطئت أرض مدينة « جيريلدرى » . ولا يقل سعة صدر المصرف على اللصوص عن سعة صدر الشرطة على السفاحين . (يمد « نيد » يده من فوق الحاجز ، ويمسك «بليفنج» من تلابيبه ويجره نحوه بعنف ، ثم يطلقه) .

نيــد : كم تغثى نفسى ، أنت ومن هم أمثالك . فما أنت

بالند الذى يقف رجلا أمام الرجال ، ولست الا بذلة
من اللباس ولسانا سليطا .

بـيرن : انه لايساوى شيئا ، « نيد » . انه مجرد بيضة ذبابة
على كومة من الروث في حظيرة أحد رعاة الغنم .

نيـد : (وهو يلم بضعة من أوراق النقد التى كان « ليفنج »
يعدها) :
هاك يا « جو » هذه (ثم يقتعد سطح الحاجز)والآن ،
أيها المحبرة ، أين مفتاح الخزانة ؟

ليفنـج : أنا هنا بمفردى ، وأنتما اثنان وبندقيتان .
فرد أنا خلفى مجرد الهواء ، وأنتما وما سفكتما من
الدماء .
لكن لتعلما أنى هنا ، يسندنى المصرف ، والمصرف
ليس بالهواء .
وخلفنا الحكومة ، القانون ، والنظام
أما سلاحكم فلا بد أن يهزمه سلاحنا ، وبعده
تجزون بالشنق ، عقاب ما تقترفون من جرائم .

نيـد : أين مفتاح الخزانة ؟

ليفنـج : وهبت حياتى لذا المصرف ، ثلاثين عاماً ،

بذلت جهود الجدير الأمين ، أطعت الذين يلون
أموري ، ونلت الجزاء مقاما ومالا ،
وأكثر من كل ذَيْن احتراماً ،
ولا بد أنكما تجهلان — لأنكما طارئان ، تخطيتما
حرمات الحدود — بأن الذين هنا ، يحلون « جيريلدري »
بعصرفهم يفخرون ، فقد أسسوه بأموالهم ،
أقاموه رمز الأمانة ، رمزاً لحسن التعامل عبر الحدود
يوطد بالخدمات القويمة ، ويعزز ما بين جار وجار.
أقاموه كالهيكل ، أقاموه نصبا
يخلّد شُم الجهود ، تجشمها الصابرون ، سراة النفوس ،
وهم بالوقار وبالاصطبار ، يطوفون هذه السهول
الحرار لينتزعوا منها رزقا حلالا .
أيغلبهم مثلكم ؟ وهل يستكينون كي يشتموا ولكي
يرهبوا ، ويسلبهم عزَّ ما يملكون ، أمثالكم أيها
الطارئون ،
من الخارجين ، على حرمة الشرع . . .
إذا ما سريتم على خيلكم لكي تقلقوا المدن النائمة ؟

بـــيرن : اللهم طوله حلما ، يا « نيد » . . . هذا الترهة يحسن
التكلم ، فياليت شعري هل نستطيع أن نعلمه الصفير ؟

نيـــد : يبدو أنني سأعلمه كيف يصلح أخلاقه (الكلام موجه إلى « ليفنج ») ماشأنك وما يحدث لنقود المصرف ؟ في المصرف نقود كثيرة يمكن الاستغناء عنها في مصلحة مثلنا ، والنقود ليست مالك . كل المدينة الآن في صفنا ، والناس الآن يسكرون في الخمارة الشعبية محتفلين مع « دان » . ثم ما الذى يضيرك أنت؟ فستظل بخير ، ناعما بياقتك البيضاء ووظيفتك الحقيرة المزرية بعد أن تعود بخيلها عصابة « كيللى » إلى الغابة ، الذى يشغل بالك ؟

ليفنـــج : لقد أتيتم إلى هنا وأسأتم إلى بالشتم والسبب . كنت أزاول عملى ــ واليوم الاثنين ، صباحه ، بدأ هادئا ، عاديا ، لا يوحى بعواقب سوء ــ ثم دهمتمونى فإذا بكل الاساءات تحل بى .

بـــيرن : ألا يطرأ في حياتك حدث مثير معجب ، أقصد ، غير عيد الميلاد ؟ أتقرقر أمعاءك ؟

نيـــد : هيا يارجل ، أين الذى قد سبق سؤالى لك عنه ؟

ليفنـــج : قلت لك ، ليس معى .

نيـــد : ومع من المفتاح إذن ؟

ليفنج : مع السيد « تارلتن » ـ المدير .

نيـــد : إن لم تسلمني المفتاح خلال دقيقتين اثنتين ،فانما سيحل بك سيدون في كتب التاريخ .أنت بين أن تحضر المفتاح أو تحضر المدير الغائب ، أو أن تنال ثقبا في رأسك .

ليفنــج : أرجو ألا يكون من قصدك أن تفرض على أن أكون لك شريكا فيما تزمعه من نهب المصرف . فانى لن أفعل ذلك .

نيـــد : (صارخا) بالله ! ألن تكون لى شريكا ؟

(يندفع « ماكين » داخلا من الباب الأيمن)

ماكــين : شرطة !

نيـــد : (ينزل واثبا من فوق الحاجز ويهدد « ماكين » بالمسدس)

ارفع ذراعيك ، ياكلب ! ارفع ذراعيك !

ماكــين : (مذهولا) : أنا مأمون الجانب انى اشتغل هنا . تطوف في المدينة إشاعة بأن عصابة « كيللى » قد وصلت إلى هنا .

ليفنــج : (كمن سرى عنه أن يرى غيره أيضا واقعا في نفس

ورطته) : هؤلاء هم عصابة « كيللي » . ولقد واتتك الفرصة للانضمام اليهم .

ماكين : (لايتمالك نفسه) : لاتطلق الرصاص عليّ .

نيد : من قال لك إننا نطلق الرصاص على الصبيان ؟ والآن ثب من فوق الحاجز وانضم إلى رفيقك في الإصطبل .
(يثب « ماكين » من فوق الحاجز ، مندفعا نحو المكتب الذي يحتفظ فيه بالمسدس .)

نيد : (صارخا) : مكانك (يتوقف « ماكين » قبل بلوغ المكتب)
لقد كنت منطلقا لإحضار المسدس ، أليس كذلك ؟
(مومئا إلى « بيرن ») هات المسدس يا « جو » .
(يهب « بيرن » واثبا من فوق الحاجز ، يستخرج المسدس ، ثم يقف خلف « ليفنج » و « ماكين » وهو شاهر في كل يد مسدسا .)

بيرن : يبدو لى أن رأس هذا الديك قد أينع وحان قطافه لكى تدخل جثته القدر فتطبخ ، فما رأيك ، يا « نيد » ؟

نيد : على كل حال ، لا يخامرنى الشك ، انه ديك يوشك أن يصاد . ولكن هل تظن أن هذه الدجاجة العجوز

الأخرى قد باضت بيضة نستفيد منها ، حتى نبقيها بعد كل الجلبة والقأقأة ولا بيض . (مخاطبا «ماكين»). أنت – « يا .. ما اسمك ؟ .. » ، « ماكين » – لا تحاول أن تعبث مرة أخرى ، فلو كنت قتلتنا رميا بالرصاص ، لا قدر الله ، فما الذى كنت تعتقد أن يصنع « دان » و « ستيف هارت » وبين يديهما ملء الخمارة الشعبية من الرهائن ، لابد ، طبعا ، أن يأخذا بثأرنا من كل أولئك لو أصابنا مكروه . كل المدينة تحت رحمتنا ، فاستفد من هذا الوضع اذن .

ماكين : (مقدراً روح الدعابة ومشاركا) : حسنا جدا وسمعا وطاعة .

نيـد : أين المدير ؟

ماكين : ألم يكرم الله مديرنا العجوز الجبان حتى ببعض النشاط ليمثل هنا في الوقت الذى يهاجم فيه مصرفه ! ؟ لست أدرى أين هو . أغلب الظن أنه يغط في نوم عميق .

نيـد : (مرتابا) : ألم تلتق به ؟ أو ليس وراء تغيبه غاية مبيتة ؟

ماكين : لا .

نيــد : فتش عنه ، إذن . أنت يا « ليفنج » اذهب لاحضاره . قل له ان « نيد كيللى » سيقدر له صنيعه اذا غمـــره بشرف حضوره إلى المصرف ثم لا تحـــاول أن تتهم نفسك بالذكاء فتتصرف تصرفـــا يثير سخطى . ان خناقك في قبضة يدى ، أيها الولد . ولن أتوانى عن أن أطيح بهذا الجرو وأفقده حـــرارة الحياة ، لو أنك حاولت القيام بأية من الألاعيب .

ليفنــج : اللهم ، أنزل صاعقة من سمائك! يا « ماكين » حاول ألا تبلل سراويلك ! . .

(يخرج « ليفنج » من الباب الخلفى) .

بــيرن : يبدو أن افلاته للقيام بهذه المهمة قد أطرب قلبه وأدخل السرور على نفسه .

نيــد : ولكن أما كان يمكـــن أن يركـــض باحثا عن أحد « القناصة » ، لو لم نعتقله ؟

ماكــين : « ليفنج » لا يحب رجال الادغـــال ، وأنتم منهم ، والمصرف معبده ، وقد انتهكتم حرمته حتى لكأنكم خيل وطئت بسنابكها قاعة المعبد ، وما لا يطيقـــه

« ليفنج » حقا ، هو أن يزعجه أحد فيخرجه عـن معتاد عمله الوتيرى ، ولقد أزعجتموه فعلا . ولن يغفر لكم خطيئتكم هذه .

نيـد : « أبشر بطول سلامة يا نيد كيللى » . . . أنا واثق أن سخطه عليّ لن يؤثر قيد أنملة في مجرى حياتى . . هذا « المحبرة » .

بـيرن : ربما . .

نيـد : قد قال « ليفنج » إن مفتاح الخزانة مع المدير . أصادق هو أيها الصبي؟ .

ماكـين : نعم ، المفتاح مع المدير .

نيـد : سلمنا محتويات الادراج . امدد اليه يد المساعدة ، يا « جو » (ينبش « ماكين » و « بيرن » محتـويات الأدراج والمكاتب المختلفة ويضعان « أوراق النقد » التى يعثران عليها فوق الحاجز بين يدى « نيد كيللى » . ويعبىء « نيد » جيوبه « بالنقد الورقي » بينما يضع « ماكين » كومة من العملة الفضية أمام « نيد » .

نيـد : احتفظ بهذه لتطعم بقيمتها الدجاج . أنا لا أريد الفضة.

ماكـين : أنا آسف ، ولكن ثق بأنها عملة غير زائفة .

بـيرن : « كان ياما كان في قديم الزمان » ، شهم من الفرسان ، اسمه « جاردينر » « أمير قاطعى الطريق » ، وكان السيد الأمير « جاردينر » ، كالسادة الأمراء أيضاً يتحلى بطبع من غرائب الأطوار الأميرية وهو اقتراض الأموال عدًّا ونقدا أمام فوهة بندقيته . . . ولكنه ما كان يقبل قرضاً من العملة الفضية ، ويجب أن تدرك المغزى من ذلك يا « ماكين » . والسيد الأمير « نيدكيللى » يلتقى والسيد الأمير « جاردينر » بنفس هذه الخاصية .

نيد : (وقد أطربه هذا الإطراء) : إلى الجحيم أيها المتملق .

بيرن : انى أنوى الذهاب إلى الجحيم ، ولكن راكبا على صهوة مهرى نفسه ، وليس على كتف الشبح « جاردينر » .

نيد : (يدفع بالنقود الفضية عبر الحاجز) هاك يا « ماكين » املأ جيوبك .

ماكـين : انى لا أريد .

نيـد : (صارخا) : خذ النقود .

بـيرن : خذها يا « ماكين » .

ماكـين : (على وجهه بسمة فاترة) : قد أزرع عـلى رأسى بأخذها ريشة التهم .

نيـد : اشتر بالمبلغ لفتاتك المفضلة سوارا وأبلغها بأنه هـدية من « نيدكيللى » .

بـيرن : يالها من فكرة نيِّرة ! (ويَمُدُّ يده إلى «ماكين» برزمة من « أوراق النقد ») واشتر لها بهذا هدية منى أنـا أيضا . ساعة معصم ذهبية لطيفة توشوش أذنها طيلة الليل من تحت الوسادة : طق ـ طق ـ طق . . . طق ـ طق ـ طق كالجلجل الهامس . . . انى أود أن يذكرنى الناس بالخير .

ماكين : « ليفنج » سيتذكرك . . .

نيـد : « ليفنج » ستذكره بنا قملة تطقطق في صميم أذنه .

ماكـين : (وهو يعبىء جيوبه بالنقود) والله اذا عرف المدير عنى هذا فعلى علاقتى بهذا المصرف العفاء .

بـيرن : خير لك أن تُقصى من هذا المصرف من أن تتقدم بك السن فتصبح نسخة طبق الأصل من « ليفنج » .

نيـد : ما شكل « البنى آدم » الآخر - أعنى « تارلتن » ؟

ماكـين : أي نعم ، انه مختلف تماما . انه يتميز عن غيره كثيرا ، ذلك الوعاء العجوز المهاب ، هو خفيف الروح . ويشرب الويسكي وكأن ما يفعله على سبيل المصادفة ولا يتورع من أن يربت على الساقية في المشرب العام .

بـيرن : يا للمنفلت الفاسد !

نيـد : حسنا ، انه بطبيعة الحال لا يربت في هذه اللحظة على غانية الحان ، والا لكان « دان » قد أعلن ذلك علينا . أين يمكن أن يكون ذلك الشيطان ؟ أنا لا أحب تغيبه .

ليفنـج : (يظهر مرة أخرى عند المدخل الخلفى) : السيد « تارلتن » ليس في مخدعه .

بـيرن : يبدو أنك تود أن تقوم ببعض الألاعيب . لا تثقن به ، يا « نيد » .

نيـد : لن يتجاسر على التلاعب . لقد أمرتك أن تجده من تحت الأرض ، أيها « المحبرة » .

ليفنـج : لست أدرى أين هو ، ولا أستطيع أن أجده .

نيـــد : لا تقل لى : « لاأستطيع » ، أيها اللعين . فوالله لو حاولت اعتراض طريقى لدست على جثتك . اذهب وأحضره . واذهب أنت أيضا يا « جو » . بل اذهبوا كلكم . لن أقضى كل وقتى هنا كالبليد وإلى آخر الزمان .

بـــيرن : سآتيك به ، يا « نيد » .

(بعد أن ينصرف « بيرن » و « ليفنج » و « ماكين » يدخل « نيد » الجزء المحاط بالحاجز من المصرف وينبش المكاتب والأدراج ، مبددا الأوراق على القاع ، مغمغما أثناء قيامه بتفحص الوثائق . ينفتح الباب الأيمن ويدخل منه رجل بدين يعانى من ضيق النفس ، ويعترض وجهه شارب كثيف ، يتوكأ عند سيره على عصا : انه « اليوت » المعلم في مدرسة « جيريلديرى » يعوذ « نيد » بحاجز المصرف فيكمن تحته .

يتلفت الرجل البدين مذهولا ومندهشا من المنظر حوله ثم يسير متجها إلى حاجز المصرف ، ويقرعه فوق رأس نيد مباشرة)

اليوت غريبة . . (ثم يقرع ثانية ، ويصغى كأنما يتحدث

إلى السكون الشامل) ترى ماذا حصل ؟ يستطيع من يريد ، أن يدخل إلى هنا ، وينقل كل مافي المصرف من مال ، ثم يعود من حيث أتى ، يبدو أنه لا يوجد هنا من يتصرف حسب المعقول .

(يلتقط عملة فضية من المخلفة على سطح الحاجز ، ويتفحصها بتأمل شديد ، ثم يعيدها إلى حيث كانت مجفلا)

نيـــد : (يجابه « اليوت » على حين غرة) : أنت ! إنك لص !

اليوت : (مأخوذا) : ما هذا ؟

نيـــد : ما الذى تقصد من مجيئك إلى هنا بطريقتك هذه ؟ من أنـــت ؟

اليـــوت : مرحبا ، أيها الشرطى ، أنا مسرور لرؤيتى اياك . لقد خطر لى منذ فترة وجيزة أن جماعة المصرف قد خلفوه بدون من يسهر على أمره . ما أشد غباءهم

نيـــد : من أنت ؟

اليـــوت : اسمى « اليوت » . ان هذا لأمر غريب . هل حصل أى مكروه ، لا قدر الله ؟

نيـــد : ما الذى تفعله هنا ، أيها الحثالة ؟

اليـــوت : أنت غريب مستجد في المدينة ، كما يبدو لى ، وقد تبادر إلى ذهنى أننى لا أعرفك ، ولو أن وسواسا يخامرنى بأننى قد سبقت لى رؤيتك في مكان ما .أنا مدرس هنا في المدرسة .

نيـــد : أظنك من رجال الأدغال إن منظرك وحشى وتبدو من ذلك الصنف المتهور المنفلت من بنى آدم .

اليـــوت ! (وقد اختلط عايه الأمر) : ما أغرب ما أنا فيه . هل لى أن أسأل ان كان قد حصل مكروه ، أرجوك ؟

نيـــد : ان اردت الصدق ، فان عصابة « كيللى » موجودة بين ظهرانينا في المدينة .

اليـــوت : عصابة « كيللى » ياللهول !

نيـــد · لقد أغاروا على المدينة . وانه ليقال إن «نيد كيللى» نفسه قد وصل أيضا .

اليـــوت : يالطيف !من يصدق هذا ؟ (يخامره الشك) هل أنت على يقين مما تقول ، أيها الشرطى ؟

نيـــد : (يمثل دور من يخامره الشك أيضا) : هل تحاول

الدخول معي في أخذ ورَدّ ، لتغرر بي؟ من يدريني أنك أنت لست » نيد كيللي » نفسه ؟ أسمر البشرة ، أنيق المظهر ، متدفق الحيوية ، وذو شخصية مستميتة في اندفاعها ؟

اليــوت : يا لذلك الوغد الزنيم ! (بعصبية بادية ، يبدأبمجاراة محدثة ليـــدرأ عن نفسه مغبة المخالفة) الحق ، أيها الشرطي . . .

نيــد : أمكث حيث أنت . أنت تحت الاعتقال .

اليــوت : أي اعتقال ! أيها الرجل الطيب ، والله لأطالبن بتسجيل محضر ضدك .

نيــد : أتمثل دور الرجل الشريف ، اذن ؟ هذا نفس ما كان يفعله « جاردينر » كم مرة قد سلبت راعي الأغنام اليتيم . . حصانه الوحيد ؟

(تسمع من خارج المسرح أصوات مختلطة تدل على الصدام والمهاترة ، يركض « اليوت » متجها نحو الباب الخلفي)

نيــد : (يهدد « اليوت » بالمسدس) : ارفع يديك انني « كيللي » ، أيها الفأرة الحبلى البدينة ! ارفع يديك !

(يدخل في موكب و « زفة » ، من الباب الخلفى ، « ليفنج » و « تارلتن » و « بيرن » و « ماكين » . يبدو مدير المصرف مستشيطا غيظاً وخارجا عن طبعه السليم ، لأنه قد جُرَّ جَرّاً من الحمام، انه موتزر بمجرد منشفة حمام حول حقوه ، وهو يحمل سراويله بيده ، ويبدو عليه الغضب لكرامته وكأنه حصن قد انهدّ) .

نيـــد : ماهذا الذى احضرته معك يا « جو » ؟ أهو غـــول المستنقعات ، النصاب المحتال ؟

بـــيرن : . . انه رئيس حظيرة الديكة المختال .

تارلـــتن : (وقد احتدم غيظه) : تبا لكم يا قطيع الذئاب الأوغاد ، ألن تدعونى ألبس سراويلى ؟

(يحاول أن يلبس ، فيمنعه بيرن)

نيـــد : وماذا بعد ؟ ليست هذه هى الطريقة الحفية التى تعامل بها الضيوف المحترمين . من أى بحر اصطدت هـــذه السمكة ، يا « جو » ؟

بـــيرن : ان السيد « تارلتن » ، مدير المصرف ، في مدينـــة « جيريلديرى » ، كان ينعم براحته ، في حمامه ، كما تفعل عروسة بحر عظيمة ، أسبغ الله عليها شـــعرا غزيرا .

نيـــد : أنا والله متعجب من أمرك ، ياسيد ، « تارلتن » . اذا كان من في مثل مركزك يركض متجولا في مثل حالتك التي أنت عليها ، فإلام يؤول أمر المصرف إذن ؟

تارلـــتن : افهم ما أقول لك ، لعنة الله عليك ، فان تكن أنت « نيد كيلي » فامنع كلبك عني اذن ودعني أرتـــد ملابسي .

بـــيرن : انني في نظر السيد أسمى مما نسبت اليه ، ولست الا من أسمى فصائل جياد « هيرفورد » الكريمة . وأنت مالك وللسراويل ، على أية حال ؟ انك تتدخل في أمور طبيعية لم تخلق من أجلك .

تارلـــتن : (وقد استعاد احساسه بالدعابة) : ان إدارة المصارف ليست نشاطا طبيعيا ، ولكنها بنفس الوقت نشاط قيم ، ولم تجر العادة على مزاولته مع التعري .

نيـــد : الحقيقة ، انني أنا أفضل أن أموت وقدماى في حذائى . واذا كانت رغبتك أن يسطى على مصرفك وأنـــت ترتدي سراويلك ، فلا أجد لدى مـــانعا ، فلتكن مشيئتك اذن .

بـيرن : لا . لقد نبزني بلقب « كلب ». فاتركه يبرد فترة أخرى من الزمن على حالته هذه .

اليـوت : ان هذا الموقف بالغ أقصى حدود الشناعـة ، يـا « تارلتن ». كان يجب أن تكون أكثر حذراً كيف تترك المصرف بدون من يسهر على أموره ؟

تارلـتن : ليس هذا من اختصاصك ، أيها الأهبل .

بـيرن : (مصوبا بندقيته نحو المدرس) : وهذا الجماد الناطق، من أين نبشت عليه ، أمن تحت نشافة المكتب . ؟

نيـد : يدعى أنه مدرس .

اليـوت : انني مدرس حقيقة لا دعوى . ولن تهدأوا من إزعاجي لكم حتى تتركوني أعود إلى مدرستي . وما أنا فيـه حاليا ، ليس لى فيه ناقة ولا جمل .

ليفنج : نعم ، دعوه ينصرف .

بـيرن : صه ، أيها « المحبرة » (مخاطبا اليوت) أنت المدرس، اذن . لقد كان من سوء حظى أن التحقت بالمدرسة ذات يوم في الصغر . فوالله لقد تمنيت لو وقع المدرس تحت رحمتى حينئذ في الموقف الذى تقفه أنت الآن بين يدى . أجب عن السؤال : ماعدد سكان جزيرة مدغشقر ؟ . . ترى انك لا تعرف .

نيـــد : لكثرة إعلافه من الطباشير أصبح ذهنه مثقلا بالبلادة .

بـــيرن : أعتقد أنه يتحتم علينا أن نجرى لهذا المــــدرس فحصا نعرف فيه قدرته التعليمية .

اليـــوت : انك تتصرف كالصبية .

بـــيرن : (يخطف عصا « اليوت » من يده) : حسنا ، اذن سأتصرف الآن كالمدرس . والآن ، ما الذى تفعله هنا بعد أن تركت المدرسة بدون إذن ؟ هل أحضرت كتاباً من ولى أمرك ؟ . . (يلوح بالعصا في وجه « اليوت »). أجب عن سؤالى .

(ينخس « اليوت » في كرشه) .

اليـــوت : امتنع عنى أيها المشاغب الايرلندى !

نيـــد : دعه وشأنه ، يا « جو » .

بـــيرن : مرحبا اذن ، ولكننى لا أداعبه بسارية سفينة على كل حال ، وإنما بعصاه هو .

(يسرى عن « اليوت » فيديـــر قفاه مشيحا عـــن « بيرن » . الا أن « بيرن » يقرع قفاه بالعصا . فيثور « اليوت » ويرفع قبضة كفه استعدادا للملاكمة ، ولكن « بيرن » يهدده بالبندقية التى يقبض عليهـــا بيسراه) .

ماكسين : (وقد أعجبه الموقف) : اقرع !

ليفنج : انك ترى بأم عينيك ، ياسيد « تارلتن » ، ما عانيت ولا يمكن أن تلقى التبعة على كاهلى لأننى لم أستطع مواجهة الموقف . انهم يخرجون عن الجادة ويتعمدون الاساءة .

بيرن : (منذرا بالويل والثبور) : إننى لا أطيقك ، أيها « المحبرة » .

تارلتن : كفى سخفا يا « كيللى » ، ان كل أمر إلى حدود . ألا يكفى أن تسطوا وتسرقوا دون أن تتعمدوا أيضا قلب عربة التفاح كلها رأسا على عقب .

نيد : والله لأطلقن عليه النار ، فما قيمته بأكثر من قيمة دبوسين اثنين . .

تارلتن : ولكن لماذا . . . ؟ هل آذاكم إيذاء يستحق معه كل هذه النقمة ؟

نيد : انه خصم لنا ، أعنى خادمك هذا المسمى « ليفنج » . بل انى سأطلق النار على كليهما . (مشيرا إلى « اليوت » أيضا) .

اليوت : (وقد انهارت أعصابه) : والله لن تجروء على ذلك .

أولا : لأنه ليس لديك ما يبرر قتلى ، وثانيا : لأننى لست ضدكم .

بـــيرن : والله انك تستحق القرع بالعصا مرة أخرى .

(لايرد « اليوت »)

تارلـــتن : وما موقفى أنا ؟ هل تعتبروننى ضدكم ؟

بـــيرن : انك أردأ الجميع ، لأنك تربت على ظهرنا باحدى كفيك وتشير الى البوليس ليلقى القبض علينا بالأخرى.

نيـــد : انى أرحب بالعداء المنصف حينما يكون وجها لوجه ولكننى لا أطيق دناءة الطعن من الخلف .

تارلـــتن : لوأننى كنت مرتديا ملابسى وكانت بيدى بندقية ، لكنت أريتكم شيئا مما تستحقون أن تروا .

بـــيرن : انك الآن ترينا كثيرا من بشاعة جسمك . وان فكرة تخامرنى أن أخرج بك كما أنت في جولة أعرضك بهـا على أهل البلدة .

تارلـــتن : ما أسخفك !

نيـــد : هيا ، هات مفتاح الخزانة .

(يخرج « تارلتن » المفتاح من حبيب سرواله ويسلمه إلى « نيد »)

نيـــد : (مسلما المفتاح إلى « ليفنج ») : أيها « المحبرة » هلا شرفتنا بخدمتك لنا ؟

ليفنــج : لن أفعل ما تأمرني به ، ولو قطعت يدى .

نيـــد : (صارخا) : ثب من فوق الحاجز وافتح الخزانة الملعونة .

(يرضخ « ليفنج » على مضض) أين الكيس ، يا « جو » ؟

بـيرن : عند الباب .

(يمضى إلى الباب الخلفى ويعود بالغرارة ، ثم يلحق « بليفنج » عند الخزانة . يسخره للامساك بالغرارة ، ويكدس الذهب والأوراق المالية فيها) .

تارلـــتن : (يبلغ غيظه الذروة عندما يلقى النهب قد بدأ فعلا) اللهم العنها مهنة ، أن يكون المرء مديرا لمصرف .

بـيرن : اللهم العنه رجلا يفقد سراويله .

تارلـــتن : لعنة الله عليك يا « كيلى » ألا توقف عملية النهب هذه ! ولكن بحق الشيطان ، أين شرطة هذه المدينة ؟ أنا لا أطيق هذا الوضع ولن أستطيع اصطبارا عليه .

نيـــد : لكنم تنطفئ ناركم ويبطل سحركم معشر المصرفيين ،

ولا سيما عندما تتجردون ثيابكم ، وتتلفتون حولكم
فاذا الشرطة غائبة عن حمايتكم .

تارلـــتن : لابد أن يأتى اليوم الذى أراك فيه مشنوقا « يا كيللى » .

نيـــلد : أيها العارى عن القانون تلقيه دثارا حول جسمك ،
مثلما في الغاب منه قد عرينـــا ، هكذا أنت بلا لأمة حرب ، نحن قوم تلاقينا بندقيات الأعادى ، فنلاقيها بعزم لا يلين .
هل ترى فيما نعانى ما يسرك ؟

تارلـــتن : لك أن تبقى على زهوك جعجع كيفما شئت
فلا طحن موات
غير ما ترضى به أكلب ذل
تستلذ الرفس وعدا كالوعيد .
وأنا ، من أنت حتى تستبينى بفخارك ؟
أترى أطمع أن أحظى بمنك ؟
لى من القوة ما يكفى وفي إمرة كفى ،
وسآتى بك سحباً ، هذه الفينة ، بل ذا اليوم ،
فى هذى المدينة .

نيـــد : ذى المدينة

هى في عريك ، في إمرة كفى مستكينة
وبوسعى قبض كفى
وإذا أنت ومن في ذى المدينة
والمدينة
كالطحينة .
لست تدرى أين « ديفاين » الذى يحمى المدينة . . .
هو في زنزانة « القسم » الأمينة .
لست تدرى أين « رتشادز » خدينه
في ظلال البندقيات المكينة
تحت « دان كيللى » وفي كف الفتى النار الكمينة ،
عندنا في الحانة الجارة فانعم بالسكينة .
إعو ما شئت فان أنجدك البدر المطل
والنجيمات الظنينة
فستلقى من رجال الأمن من يحميك أو يحمى المدينة .

تارلـــتن : (مسلما ، بما ليس منه بد) : لقد بلغتم منتهى مأمولكم ،

أليس كذلك . أيها اللصوص الجبليون المنحدرون
علينا مما وراء الحدود ؟

نيــد : (مستجيبا بعجب لنبرة الاعجاب) :

مددنا نطاق ما نملك من أرضٍ ،

فهذي أرضكم من ملك كيلــلي .

أنتم تدرون معنى العيش في أرضٍ نقيم بها خلف الحدود
ونأتي اليكم منها :

من « جريتا » و « بنللا »،ومن «بتشورت» في شم
الجبال

فيا للمدن فى أرض حـــــزون

تدين لمن يجل من الرجــال

حزون أو صخور قاسيـــــات

وأشجار الصموغ على الأعالى

وفي تلكم المدن ،

مدن الجبال

تشب النساء ، يشب الرجال

كعهدكم بنبات الجبال . . .

النبت والبشر

عجاف صلاب باسلون تطلعــوا

يشقون وعر الطرق دوما إلى العلا

أرضنا ليست ــ كأرضكـــم ــ

سهولا جففتها الشمس والعاصف

سهولا تدبون على وجهها

دبيب الذباب على جلد ثور

لذا سميت أرضنا أرض « كيالى » بحق

تمتطى منها جياد الخيل عبر الحدود ،

وخلف الحدود

إذا احتفظ الراعى بأبقـــاره

فذاك لأنا لانريد انتهابهـــا

وصاحب الخيل ان ظلت أزمتهـــا

بكفه . . . فهى خيل لاتليق بنا

سل ــ ان تشأ ــ قناصة الأمن عنا

لماذا تخب بهم خيلهــــــم

بديلا من السير بالهينـــة . . .

خلال البراحات التى قصت حشائشها ؟

لماذا يركضون الخيلَ ركضاً

بديل المهل والخـــــب ؟

سل القناصة الأبطـــال

لماذا ينفرون الخيل إن سمعــوا :

طقطقة لانكسار غصن . . .

هوى صخيرة حطت مع الريح من عل . . .

زعيق عصفورة في الجو طائرة ؟

لماذا تنفرون الخيل . . .

حيث كثافة الأشجار والوحشة في الغاب ؟

إذا عرفـــــت الســـبيا

ستبطلــون العجبـــــا :

لأن الأرض أرضى . . ملك كيللى »

يأتون لاقتناصنـــــا

وينفــــرون كالشــــرر

إذا رأوا قصاصـــــة

بارزة من الشجـــــر

تبدو كمن يرقبهـــــم

عن كثب علـى حــــذر

فنأمة الصوت ورجع الصـــدى

تليذهم اذ يذعرون للفـــرار .

سل القناصة والأبطال

لماذا أبغضوا الأسمار . . .

حول النار في الليـــل

وكيف يروقهـــم الخنـــا

زعيق « البنسم » في الظلمـــة

كذا أن يعوى « الدنجو » . . .

أو يتزايل الجلمود في الجدول

فيوهمهم تزايله

بصوت الخيل في الإقبال والكر ؟

ملكنا أرض « نجم النبت » في الغاب

ملكنا المدن . . .

حيث يجول من تترصد الدولة ، كى تودعه السجن

يجول هناك في ضوء النهار الصحو

أو يشرب أنخابا . . .

من الخمرة ذات القوة القصوى التي شعشعها الماء ؟؟؟

ويدفع قيمة الخمرة لا يبخس خمارا

ملكنا المدن

حيث يجوس من تترصد الدولة

يقابل كل من يبغي بلا خوف ولا وجل . . .

تحيط به من الانصار كوكبة

تحذره من « القناص » أن يأسره غيلة .

أيعجبكم اذن يامصرفيون . . .

. . . تكونوا مصرفيين بما نملك من ارض ؟

ولكن هذه الأرض لنا ملك ، فلا بأس من العرض

فأنتم مصرفيونا هنا أيضا . . .

ولابد من تشريفكم ثانية

لأننا نملك « فكتورية » . . .

وقد أتينا قصدنا واضح نبغي من الأرض « نيو ساوث

ولز » .

تارلتن : يبدو لى أن في الأمر سرا ومتعة أنتقضوا أعماركم في ترويع الشرطة تقتضونهم تارة ،ويقتنصونكم أخرى

ليفنسج : ما الخير الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

بيرن : (وهو يرفع غرارة النقود إلى سطح الحاجز) : انظر ماذا ترى

هذه غرارة كاملة ملأى بالخير مما نجنيه .

نيد : ان مغامرتنا تدخل بعض المتعة والسرور إلى قلوبنا .

بيرن : وحياة المغامرة تجنبنا أن نصبح مجرد أشياء مثلك ، أيها « المحبرة » .

نيد : أرنى بعضا من هذه الأوراق ، يا « جو » . لعل في بعضها ما يمكن أن نجنى من ورائه دانقا حلالا .

ليفنسج : انها أوراق لا قيمة لها .

تارلتن : الا لعنة الله عليكم كيف تسمح لكم أنفسكم أن تختلسوا النظر إلى أوراق تتعلق بدخائل أناس غيركم ؟

بيرن : يكفى أننا نترفع أن نختلس النظر إلى دخائلك أنت ، ياسيد « تارلتن » فأبشر بالستر كما أنت في منشفة الحمام .

اليوت : ياللحقارة والدناءة !

بـيرن : هل تصفني بالحقارة والدناءة . أيها الكبش العجوز ؟

نيـد : (يفحص الوثائق) : «ليفنج» . . . «ليفنج» . . .
أين سبق لى سماع هذا الاسم ؟

بـيرن : انه اسم « المحبرة الناطقة » الشهير ، فخر مدينة
» جيريلديرى » الذى أثر عنه أنه صفر مرة واحدة
في حياته وكان ذلك في الحمام ، منذ ثلاثين عاما ،
أما فيما دون ذلك فان صفحة حياته بيضاء من غير
سوء .

ليفنج : أنت لست بحاجة إلى تلك الوثيقة . ولن تفيدك شيئا
على الإطلاق ، ياسيد « كيللى » .

نيـد : فما الذى يهمك اذن فيما يتعلق بها ؟

بـيرن : ما الورقة التى تتحدثان عنها ؟

نيـد : يبدو أنها « بوليصة » تأمينه .

ليفنج : انها فعلا « بوليصة » تأمينى . ولن تفيد أحدا شيئاً .

نيـد : يخامرنى خاطر أن أحرقها .

ليفنج : لا تفعل ذلك . . .

بـيرن : احرقها ، يانيد .

تارلتن : (متخابثا) : يبدو لى أنهم سيحرقونها ، يا « ليفنج »

ماكين : انها لا تستحق كل هذا العناء .

نيد : (يدع الوثيقة في جيبه) : على كل حال ، يبدو لى أن احراقها واجب .

اليوت : انها مكايدة مجردة ليس فيها ذرة من احترام الشعور .

بيرن : والله لأذيقنك نوعا من المكايدة التى لا تحترم الشعور بضربك على اليتيك ان لم تتحفك في أقوالك .

ليفنج : أرجوك كل الرجاء لا تحرقها .

نيد : والله لأحرقنها ، يا « ليفنج » .

ليفنج : انت تحاول استثارتى ، وأنا قد قررت ألا أغضب .

فليس هنالك ما يدفعك لتكليفى من المتاعب والهموم ما لا تجنى نفعا من ورائه . ولقد تحقق لى أنك لن تحرقها .

بيرن : بحقى عليك يا « نيد » أحرقها . أحرق ما يملك تحرق الرجل نفسه . ولسوف يتلوى في الشعلة مع تلوى الورقة . ما الذى يمنع أن نحرقه ؟ انه وثيقة شرعية مجردة ، وليس بإنسان .

نيد : سنحرق الأوراق كلها ، كدسها معا وأحرقها .

ليفنج : لن تفعل ذلك أبداً . .

نيـــد : أخرج إلى الساحة وانظر بنفسك .

تارلـــتن : حسنا . . . أحرقوا الأوراق ، أحرقوا المـــصرف ، لعنة الله عليكم . بل احـــرقوا حتى البلدة نفسها ، وارفعوا عنا إصرْكم وبلاءكم . . .

بـــيرن : كم تحدثني نفسي أن أدني عودا مشتعلا من الكبريت لتقبيل شاربيك المتهدلين .

ليفنـــج : أتوسل اليك ، ياسيد « كيللى » هب لى بـــوليستى فانك ان أحرقتها أربكت مصالح أسرتي .

نيـــد : ما الذى يهمنى في ذلك ؟

ليفنـــج : أتوسل اليك ان تحتكم لسلطان العقل ، ياسيدى .

بـــيرن : غداً ، في أحد الأيام ، يا محبرة الخسة ،

عند تسلم الراتب ، آتيك .

سأضغط كل قامتك وألويك .

كما قد يفعل النجار باللولب ،

فيبلغه نهايته من التعب .

ساغزو بيتك الأعزل أنهبه . . .

سأسرق ساعة « الكوكو » التى خلفها جدك توريثا ، وأحرق ــ فيه ــ نعليك

وأخطف « البم » الصور ، أبعثر كل ما فيه من الذكرى ،

وأرفس تربة البستان منتهكا لحرمته ؛

وأركض بعد ذات الصون زوجتكم

وألجئها إلى السطح

لتزعق تطلب النجدة كالفرخة .

ليفنج : لسوف يسوءنى أن تحرقها ، ياسيد « كيللى » . أنا لست ضدكم ، يبدو أنكم تعتقدون أننى عدو لكم . إن الواجب يفرض علىّ ولاشك أن أحمى مصالح المصرف .

نيد : هذا الغبي الصغير السن ، « ماكين » كاد أن يلاقي حتفه رميا بالرصاص من أجل المصرف . أما أنت فما حيلتك الا الصراخ واللغو من أجل نفسك .

ليفنج : هيا ، بحياتك طمئنى ، لن تحرق الأوراق ، على الأقل لن تحرق « بوليصتى » ، أليس كذلك ؟

بيرن : لا تعطه « البوليصة » ، يا « نيد » .

نيد : (يلقى « بالبوليصة » إلى « ليفنج ») :خذ هذه الترهة ، كم تجيش نفسي بالغثيان من مرآك .

ليفنج : كثر الله خيرك ، ياسيد « كيللى » . لقد كانت نفسى تحدثنى أنك لن تحرقها .

نيد : لقد كان بودى احراقها بدون أدنى تردد ، يا أخى ، ولكننى آثرت اجتناب مضايقتك لى .

بيرن : حسنا ، هل نخرج اذن ؟ لا أريد أن نترك « دان » و « ستيف » بمفردهما مدة أطول مما قد مضى من الوقت .

نيد : لا خوف عليهما .

بيرن : لاشك أنهما مثالان للصلابة والخشونة ، ولكنهما مع ذلك ليسا إلا صبيين . ولا ننتظر منهما أن يخضعا كل المدينة إلى الأبد .

نيد : تأكد أنهما سيبدآن باطلاق النار على « ريتشاردز » لو حصل أدنى مكروه ، فاطمئن . . . انى مازلت أود أن أقوم بجولة ختامية لأنتزع كل ما يمكن وجوده من مال غير الذى كان فى المصرف .

تارلتن : لقد نفضتمونا نفضا ولم تبقوا لنا شيئا .

نيد : على رأيك . . .

بيرن : نستطيع العودة فيما بعد . أنا لا أود أن يبقى ذانكم الصبيان بمفرديهما مدة أطول مما سبق .

نيـــد : هما بالحقيقة غران على نيتهما ، الا أن « ريتشاردز » أكثر غرارة وسذاجة منهما . واذا حل بهما مكروه ، لا قدر الله ، فلن أتوانى عن مناصرة فردين من عصبتي على أى شرطي من القناصة في أى يوم من الأيام .

تارلـــتن : ألا تكون مفاجأة سارة لك، لو أن « ريتشاردز » قلب موائد الحان واعتقل الصبيين ؟

نيـــد : « أبشر » فلن تأخذنا غـــرة

وعَوَّدنا ، لاشك ، عود حميد

او كنت تدرى كُنه إعدادنا ...

أقلعت عن هذا الخيال البليد

فمنذ يومين أتينا هنـــا . . .

في ليلة السبت ، بحذر شديـد

وقبل ذا سالت متون الجبال

بنا وخضنا «المرى» في الظهر

وادخلتنا الخيل « جيريلدرى »

منتصف الليل « إذا يسرى »

صدنا رجال العسس الساهرين

كصيدنا للأرنب الغـــــر .

وكيف كان الأمر ياصاحبي ؟

خدعنا الشرطة الأغـــرار :

عند وصولنـــا المركـــز . .

هتفنا نطلـــب النجـــدة :

« واغوثاه ! واغوثاه » ! !

ياللشرطة الأبطال للمقتول في الحان !

فهب « دفاين » من نومه . . . هب كذاك « رتشاردز »

ـ الحاميان حياض « جيريلديرى » .

وياالحما نبيلين

وثوبا تركا المرقد وانطلقا إلى الخارج سهمين

ونحن هناك في الظلمة

وقوفا نستحث الشرطة النجدة

وقد ركضا يسبان ، قد انشغلا بتزرير السراويل

وقد كانا يصيحان :

أتيناكم ! أتيناكم ! فأين الحادث المشؤوم بالذات ؟

وعند الوهلة الأولى . . . لم نقو من الضحك

على أمرهما ان يرفعا الأيدى . . .

ولكنا كتمنا الضحك الطاغى . . . تمالكنا . . وأتممنا

اعتقالهما .

وتم لنا احتجازهما وزجُّهما معا في قلب زنزانة

غيابة مركز الشرطة .

ونحن . . . في عقر دار الذادة الشرطة

نعسنا ملء أعيننا بنوم الأمن والغبطة

وكنا — طرداء الشرع والقانون — أربعة من العصبة

لأول مرة بتنا وعين الأمن ترعانا

تهد هدنا ذراعان من القانون والشرع .

واستعرنا البزة الشرطة صبح الأحد

وارتديناها وجلنا بين ارجاء المدينة . . مثلما نهوى . .

فنحن شرطة جاءت جديدة

نفْعُنا لابد منه

ان تجز عصبة « كيللى » فجأة حد الولاية .

وقد وافقنا « رتشاردز » . . . يرينا مناظر البلد

ويرشدنا إلى المصرف

وما يهوى يراه الزائر الطُّلَعة

ملامح أو محلات لها شأن بذا البلد .

بدا « رتشاردز » محتفياً بأضيافه ، لا أكثر

وكانت بندقية ضيفه فاغرة فاها . . .

موجهة إلى ظهره . . .

تركنا « دفاين » في زنزانة المركز . . . ليس « دفاين »
مشكلة . . .

وزوجته هي المشكل . . .

فتغدو تنسق الأزهار في البيعة . . .

وهل تغدو إلى البيعة . . . لتنسيق الأزاهير . . .

وفي منزلها محتلة جاءوا من الادغال . . . ؟

فان منعت يثور الشك في الجيران . . .

وان ذهبت فلا تأمن ثرثرة من امرأة — كما تعلم .

فقد تأمرها نفسها بالسوء ،

فتذكر من قبيل الكلم العارض . . .

أن » مغيرة الادغال » قد هبطت من « بنلا » وقـــد
حلت بمنزلها .
ولكن بعد لأى تـَمّ أن تذهب
وان تثنى عن الثرثرة الخطرة
وتم بأن يصاحبها أخونا « جو » . . .
تصور « جو » منطلقاً إلى البيعة
بصحبة زوجة الشرطى . . . . يساعدها بتنســيق
الأزاهير .

تارلـــتن : أرجو أن تكون قد اكتسبت هداية من دخول الكنيسة .

بـــيرن : قرّ قرارى أن أمتنع عن نهب مصرفك ! . .

نيـــد : كل ما يود « جو » فعله الآن هو أن يقطف باقة من الزهور الجميلة يقدمها هدية إلى رجال الشرطة فـــى الزنزانة لعلها تضفى بعض المسرة والجمال عـــلى حياتهم .

بـــيرن : يعلم الله أنهم بحاجة ماسة للمسرة والجمال .

ماكـــين : أما زال « دفاين » في محبسه . ؟

نيـــد : هو محبوس أكيد ، ليس في ذا الأمر شك .

أما « البنى آدم » الثانى ، فإنه في عنق « دان »
وهو مازال يتولى أمره في الحان .

بـيرن : آن الاوان أن نخرج ، هيا بنا .

نيـد : نعم ، فلنخرج الآن .

اليـوت : اذا كان باب الهذر السخيف هذا قد أقفل فانى أرجو أن تسمحوا لى بالعودة إلى المدرسة .

نيـد : ان فرط هيامنا بك يحتم علينا أن نحرص على بقائك معنا. صاحبنا إلى الحان ، وقاسمنا كؤوس الأنس . . كذا تود عصابة « كيللى » أن تكونوا جميعا معها ، وطبعا سوف تأتون .

تارلـتن : استمع إلى « يا كيللى » . أنا لا أستطيع ارتياد الحانة على حالتى هذه . ففى الحانة ساقية يجب مراعاتها .

بـيرن : يالك من كلب عجوز !

نيـد : لن تقل قيمة في نظرها ، بل انها ستزداد غبطة برؤيتك كما أنت عليه .

تارلـتن : لا ، أبداً . . . استمع إلىّ ، عليك اللعنة يا « كيللى » ! أتريدنى أن أبدو عجوزا متبذلا لا يبالى ؟ أعنى أن أدخل الحانة ، على فتاة وقت الغذاء ، وفي يوم الاثنين أيضا ،

وأنا « ياربى كما خلقتنى » . . هذا غير معقـــول . أضف إلى ما سبق أن فتاة الحان تعرفنى . ولا أود أن أكون موضع سخريتها .

نـــد : لقد دخلت الساقية قلب « جو » وحسنت في عينه . وهو يحب الساقيات أكثر من حبه للجعة نفسها . فأحسن التصرف واحذر والا فقد أعذر من أنذر .

بـيرن : وكيف يتأتى له حسن التصرف أو الحذر مادام مجردا من سراويله ؟ فمن الخير أن تأذن له أن يلبس .

نيـــد : حسنا جدا اذن . والله لقد كنت ستبدو منظرا عجبا ، وأنت تمشى في الزحـــام يستعرضك الناس . ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا . . . هيا ارتد ملابسك .

تارلـــتن : (وقد بدأ يرتدى ملابسه) : أشكرك يا « كيللى » . . . فما أسلم ذوقك وأحكم تصرفك .

نيـــد : لم آذن لك باللبس رأفة بك ، بل شفقة على الساقية من بشاعة المنظر . . . هيا بنا . . . حرك ساقيك . . . وابدأ السير . . .

ليفنـــج : ياسيد « كيللى » أرجو ألا يكون لديك مانع لاعفائى من الذهاب معكم إلى الحان. . . اننى أشعر بأننى لست بصحة جيدة .

بـيرن : « الروم » هو ما تحتاج إليه . . أيها « المحبرة » الطافحة الفوارة .

ليفنسج : ليتك تأذن لى بعدم المجيء . . اذا سمحت . .

نيـد : هيا انطلق واشرب معى كأسا ، والا فجّرت مخّك وبعثّرته بددا . . ألم أقل لك أن تقلع عن جدلك اللعين معى ؟

بـيرن : هيا بنا . . . يأيها . . « المحبرة » . . . هيا بنا . . .

يتزل الستار . . .

الفصل الأول

المنظر الثاني

(في حارة الفندق الملكي في (جيريلدرى) . يمتد حاجز الحان من الحائط المكشوف في اليسار ماراً بوسط المسرح ، ويلتف ناحية الحائط الخلفى فيتيح زاوية براحا في ناحية اليمين .

(كوكس) صاحب الحان ، ونديمة شقراء يقفان خلف حاجز الحان .

(دان كيللى) و (ستيف هارت) وهما يرتديان بذلتى الشرطة عند طرف الحانة الأيمن .

(الكونتستابل رتشاردز) وهو يرتدى ملابس عادية يجلس بمفرده مواجها وسط المسرح وتبدو عليه علائم الشقاء .

رهائن عصابة كيللى عددهم نصف (دستة) وقد يقلون أو يزيدون ، يعمهم المرح في أسرهم ويتمايزون

في المنزلة والمعدن ، من متسكع متبطل يجرجر رجليه بين الحانات الشعبية ، إلى راعى الأغنام الكبير المثرى الذى يستأجر مراعى التاج « بــريت »، وقد حشدوا معا في طرف الحانة الأيسر « دان » شاب فتاك ، مرح في طبعه ، طائش في تصرفاته ، مبادر في حركاته ، حليق الوجه ماعدا العارضين وله شارب صغير .

(هارت) بنيته أصغر وأنحف من بنية « دان » — وهو واقع تحت سيطرة « كيللى » الأصغر ، كما يقع (بيرن) تحت سيطرة « كيللى » الأكبر — ملامحه فتية وسيمة مما قد يسمه بميسم الميوعة لو لم يدارها بخشونة مبالغ فيها افتعالاً ، وبفظاظة واعتداد طبيعيين .

تماط الستارة عن بلبلة حوارية بين الأسرى ، ويبدو القلق الواضح على « دان » و « هارت » لتكرارهما الالتفاتات إلى ناحية الباب الواقع خلفهم ، وقد عيل صبرهم في انتظار عودة « نيد » و « بريت » يميل بجنبه نحو « رتشاردز »)

هارت : أعتقد أن سرقة مصرف واحد لا تستغرق يوما بكامله . لقد حان الوقت لعودتهم .

دان : انا متأكد بأنهم لم يقعوا في ورطة ، والاّ لكانت طلقات الرصاص قد طرقت مســامعنا .

هــارت : إنني أراهن أن ما يعوقهم أحد أمرين : اما يكون « نيد » مشغولاً بالقاء خطبة ، واما أن يكون (جو) متلهياً بشخص جبان مسكين يداعبه بألاعيبه ومزاحه الثقيل . ولا يحق لهما أن يعبثا في أثناء قيامنا بمهمة .

دان : مازال النهار كله أمامنا . فلم العجلة

كوكــس : (أصلع ، أقنى الأنف ، مدور المنكبين ، ضئيل البنية ، يضع عوينة فرداً على احدى عينيه ، يدخن لفافة تبغ غليظة ، وتنم تصرفاتــه عن يساره ، وحسن علاقته بالناس فيما يخص مهنته ، وحماسته الشديدة) . ألا يساوركم القلق أن تأتي الشرطة نجدة من ناحية او أخــــرى ؟

هــارت : لقد عطلنا مكتب البريد فلن يستطيع أحد أن يبعث أية برقيات هذا اليوم . وما ان يمتطى أحد جواده للنجدة حتى نكون قد انطلقنا شوطاً بعيدا من هنا .

كوكــس : أهكذا تنوون ان تفارقونا بسرعة ؟ كم شرفتمونا بحلولكم الحفى علينا .

دان : إنني أراهنك اننا قد شرفناكم فعلا . متى كانت آخر مرة أهبت فيها بالشاربين ان يتعاطوا الخمرة مجانا في حانتك ؟

المتسكع : لم يعلم عنه قط انه دعا أحداً منذ عشرين عاما.

دان : مازال الوقت متسعاً لبقائنا معكم . إملأ لهم الكؤوس كرة أخرى يا « كوكس » .

كوكس : سبحان الله ، ما اعظم هذا الصباح !

المتسكع : سبحان من جعلك تهتف ، أيها الساقي العجوز !

دان : لا تنس أن تملأ كأس « الكونستابل رتشاردز » .

كوكس : قدح صغير ، أيها « الكونستابل » ؟

رتشاردز : (ايرلندى ، ضخم البنية ، متينها ، وحتى هذه اللحظة ، حسن العشرة)

آه ، لا أريده أن يكون قدحا في هذا الصغر الذى تنويه ، يا « كوكس » فلن يتكرر اليوم الذى تفرض فيه على اجازة . ويرتدى بذلتي الرسمية مغير الأدغال. ويحل نفسه محلى ، ويزودنى بالخمرة بدون مقابل . ما أكثر ما مررت بحانتك الشعبية هذه ، وبي ظمأ لا يطفئه أن أعب ماء نهر (الميورى) بما فيه من وغيره ، ولعنة الله على إن تكن نفسى سولت لى

مذاق قطرة واحدة ، وحمداً للواجب على تلك العصمة

بريـــت : نعم ، يا « رتشاردز » انقع بالخمرة همومك واجلها ، ما دامت الفرصة سانحة ، انك في خير حال هنا اذ تأمر لك عصابة « كيللى » بالشراب ، وإلا لكنت الآن تتصبب عرقا مع رجال شرطتك الموقوفين في الزنزانة .

دان : ياصاحب الحان ، اسق السيد « بريت » كأساً .

بريـــت : أريد أن أشار بك ياسيد « كيللى » .

دان : ولم لا ؟ أريد أن أشاربك أنا أيضا .

(يصب « الروم » « لهارت » ولنفسه من زجاجة بجانبه على الحاجز)

هـــارت : يا « كوكس » انك تبيع عفنا .
(يكب محتويات القدح إلى القاع)

كوكـــس : يؤسفني أن الشراب لم يرقك ، سآتيك بزجاجة غيرها.

المتســكع : هب لى شرابى أولا.لا تحمل هما من ناحية آل « كيللى» انهم قادرون على أن يشربوا بالمجان في أى يوم يشاؤون.

دان : انت محق في هذا ، أيها الصديق أعطه ما يشرب يا « كوكس » .

المتسكع : يتناقل الناس رواية عن « كوكس » أنه منذ زمن بعيد أمر لأحد الناس ذات مرة بكأس من الخمر ، وذلك لأن خبالا انتابه فلم يدر ما كان يصنع ، ولكنه سرعان ما أحس كأن دلواً من الماء قد انهالت عليه وهو يصب كأسا واحدة مجانا . وقد أفاق من خباله كالملدوغ واثباً . ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنه أنه أمر لاحد بكأس واحدة على حسابه .

هارت : (متحدثا إلى الساقية) : اقتربي مني ، يا « ذات الرأس النحاس » صبي لى الكأس ، وذوقيه عني ، وسأعرف ان كان أشهى مذاقا بعدك .

الساقية : أنا لا استجيب لمن يدعوني « ذات الرأس النحاس » .

هارت : اقتربي مني ، اذن ، يا « ذات الأساس النحاس » ، وصبي لى الكأس أيضا .

الساقية : انك « فائق ورائق » ، ألست كذلك ؟

دان : كالعشب المجزوز حديثا .

هارت : (يحاول أن يميل الساقية بيديه عبر الحاجز) هبينا قبلة فوق الخمرة ، ألا تتكرمين ؟

دان : (يلحظ فجأة أن (بريت) قد ظل يتقرب من « رتشاردز » أثناء اتكائه على الحاجز منحرفا ناحيته) .

عد إلى حيث كنت ، يا « بريت » . إلى أين تعتقد انك ذاهب ؟

بريت : كنت أريد أن أسر إلى « الكونستابل » بكلمة ودّية ليس غير .

دان : قلت لك : « عد » .

بريت : حسناً ، سأبقى حيث أنا .

دان : قلت « عد » .

بريت : هذا المكان هنا يعجبني .

هارت : عد ، يانغل ، وإلا والله لتمرقن رصاصة عبر جثتك . (يهدد راعى الأغنام المثرى بمسدسه) .

نعم هكذا . . ، عد إلى حيث يوجد الآخرون .

دان : (برزانة) : لا نريد ازعاجا .

بريت : ومن ذا الذى قال انني أريد ازعاجا ، ألا يحتمل أنني كنت أود أن أروى نكتة أو اسرد عبرة «للكونستابل رتشاردز» ؟ لكم يبدو وحيدا هنالك . أنكم معشر تثبون مصوبين بندقياتكم لو فركت ذبابة ساقيها في اتجاهكم .

دان : يحتمل أنك كنت تود أن تروى نكتة أو تسرد عبارة

ودية ، ويحتمل أكثر من ذلك أنك قلت في نفسك إن رجلين في ضخامتكما وقوتكما أنت والكونستابل ربما استطعتما مباغتتنا أو اللياذ بالفرار .

هـارت : والله لتكونن أنت الضحية الأولى لو سولت لك نفسك سوءاً .

رتشاردز : وبعد ، اذن ، ياسيد « بريت » يجب أن تدرك أن هؤلاء الفتيان لا يقصدون سوءا ، وأفضل أن تؤجل الحديث بيننا حتى يوم آخر .

دان : لو أنني في محلك لما تحدثت مع راعي غنم ثرى عن آل « كيللى » في أى حين .

رتشاردز : لم أقل إن المحادثة بيننا ستكون عن أمر له إمتاع موضوع عصابة « كيللى » الذائعة الصيت . بل قد يكون حول أمور مملة مطروقة مما يعنينا بصفة شخصية : فنبذة عن سرقة الخيل ، مثلا . وهذا مما لا يمت بصلة إلى آل « كيللى » . وقد أقضى معه فترة من النهار ، فأشير اشارات عابرة عن أشياء مثل السطو على المصارف ، أو اغتيال ثلاثة من خيرة الرجال ، وهم يؤدون واجبهم في مكان ما في سلسلة جبال « ماربى » وليس من كل ما أشرت اليه شيء ذو علاقة بآل « كيللى » . . فهل ترى أنني مخطىء فيما قلت ؟

دان : (يبدو متوتر الأعصاب) : انطلق وابحث عن « كيللى » ، يا « ستيف » . وسأقوم أنا بحراسة هؤلاء المغفلين .

(ما أن يتجه « هارت » نحو الباب حتى تسمع طرقة شديدة عليه تنذر بمفاجأة غير متوقعة « لدان » و « هارت » .

هارت : انتبه يا « دان » ! هناك قادم . . .

دان : (يجيب بصوت متمالك هازىء بالخطر) : حسنا ، حسنا سآتى . .

هارت : لا تذهب إلى الباب يا « دان » ، من تراه يطرق باب الحان ؟ ! . .

(يتكرر طرق الباب)

بريت : احذر لئلا تصاب بين عينيك ، يا « كيللى » .

هارت : (حينما يمرق « دان » كالسهم نحو الباب) : أيها الغبي .

(يفتح « دان » الباب بجذبة شديدة فيدخل « الأب جريبل » مكفهر الوجه ، خافض الرأس ، يذرع طريقه بخطى واثقة ، ثم يجيل الطرف فيما حوله وهو مدهوش) .

بـريت : « جريبل » ! سبحان الله ! . .

جـريبل : (يتقدم نحو ريتشاردز) : هل أصدق ما تراه عيني ، يا « كونستابل » هل يليق بك أن تتعاطى الخمـرة ؟ (ثم يقع نظره على « دان » و « هارت ») بل كلكم تشربون ! . . لقد بلغني أن عصابة كيللي في المدينة .

دان : وماذا في الأمر إذا كانت في المدينة ؟ . . .

جـريبل : جئت أتدبر الأمر معكم فيما يجب أن نفعل . فقـد يحدث اطلاق رصاص . الحقيقة أنني لم أكن أتوقع أن أجد الشرطة يتعاطون الخمرة في الحانة .

دان : كلنا معشر الشرطة سكارى منقوعون بالخمرة .

جـريبل : يبدو أنني لا أعرفك . هل كل ما بلغني اشاعة ، إذن؟ وان عصابة « كيللي » قد ذهبت ولم تعد في المدينة ؟ .

دان : لا لم ننصرف بعد .

صـوت : (ينطلق من بين الأسرى) : هذه هي عصـابـة « كيللي » . ياسيد « جريبل »

جـريبل : ماذا ! وأنت منهم يا « كونستابل رتشاردز » ؟ . .

بـريت : تفضل يا أب « جريبل » ـ أقدم لك « دان كيللي » ، و « ستيف هارت » .

دان : سرني لقاؤك ، ياسيد « جريبل » . هل تـــشر نخباً ؟ . .

جـــريبل : لا أستطيع تصديق ما أرى .

المتســـكع : على كل حال ستصدق ما ترى إذا شاهدت « كوكس » يهيب بالشاربين أن يشربوا ضيافة عليه . وسوف تؤمن بالمعجزات .

كوكـــس : (مفتعلا البشاشة) : نعم ، ياسيد « جريبل » ، الفندق مداهم ومحاصر .

جـــريبل : يبدو لى أنك متواطىء مع العصابة . ولذلك تحشوهم بأنخاب الكحول .

دان : ياله من شيطان منصف ! انه يزج بالخمرة زجاً شديدا في حناجرنا . . .

هـــارت : (ينتزع ساعة جريبل) : انظر ما قد نبت على جثـــة القسيس يا « دان » .

بـــريت : لا تؤذوا الأب ، أيها الفتيان .

هـــارت : سأستحوذ على الساعة ، أيها الكاهن(يجرد « جريبل » من الساعة ويعجل به دفعا ليحل محله بين الاسرى) هيا عجل باللحاق بمن هناك .

جــريبل : (يتقدم نحو المحتجزين متمنعا محتجا) : كيف تجرؤ على دفعي هكذا ، أيها السيد ؟ أيها الثمل المجنون ؟

بــريت : لقد صدقوك القول بأنهم عصابة « كيللى » . وما كان يجمل بك دس أنفك ، وتدخلك فيما يصنعون .

دان : أتنوى الاحتفاظ بساعته ، يا « ستيف » ؟

هــارت : نعم ، والله العظيم ! وله أن يستردها منى في الجحيم .

رتشاردز : لن تضار يا « هارت » بإعادة الساعة إلى صاحبهـا ، فانها لا تساوى شيئاً . . . إذا قيست بما سيغنمه رفاقك من المصرف .

هــارت : خير لك أن تسد فاك .

بــريت : لم لا تخلون سبيل الرجل ؟ انه غير ذى بال .

جــريبل : تأكد أننى ذو بال وأهمية .

دان : لقد قدم علينا لكى يكرزنا بموعظة يلقيها علينا . واذا تركناه يذهب فلربما نوى أن يكرزنا بالنار — مـن فوهة بندقية .

جــريبل : بطلقة البندقية أو بجلدكم بالسوط ، تلك هى اللغـة الوحيدة التى يمكن بوساطتها التفاهم معكم .

هــارت : بنفس اللغة التى تقترحها نقدر أيضا إفهامك ، أيهـا الكاهن .

رتشاردز : خلصنا ، الآن ، ياسيد « جريبل » . نصيحتى لك
بأن خير ما تفعله هو أن تدعو لهؤلاء الشبان ، فليسوا
من الضرر بالمكان الذى تتوهم ، بعد كل ما حدث .

دان : سماعاً ، ايها الكاهن
من الانصاف ، والبلدة في إمرة أيدينا
بأن نعفيك الآن
وان نتبادل الأمر .
فليس الوعظ هذا اليوم من شأنك .
عليك اليوم أن تصغى ،
ونحن نقوم بالوعظ .
فلن تطلب من جمع المصلين وتأمرهم ،
بالوقفة ، والركعة والخرجة
نحلك نحن من ذلك
وندعوك ، إلى قدح مشعشعة من الخمر ، إذا شئت .
ونحن هنا ندامى همنا الود .
ومن يهوى بأن يقضى ؟ والخمرة في الدن ،
وفي الخارج شمس تغمر الكون .

عليك الآن أن تشرب ، وأن تنتظر الأمرا

بل تصدع بالامر كما نصدره نحن .

رتشاردز : نعم ، هذا هو المخرج الوحيد ، ياسيد « جريبل » .
فلنغتنم خير ما في حياة هذا اليوم ، « وان غدا لناظره
قريب » .

المتسكع : ذق نهلة أيها الكاهن ، ذقها بلا مقابل ، على حساب
صاحب الحان ، « غالونات ، فغالونات ، فغالونات »
وكلها على حساب صاحب الحان الشحيح ، حتى لكأنك
تستنزف دم حياته .

دان : دونكم شرابكم من كل صنف مقرقف ،
ضيافة مباحة على حساب المقصف
فآل « كيللى » ملكوا « جيريلديرى » فلنحتف .
اليوم ما أشبهه بالبارح المنصرف ،
فـ « نيدكيللى » اليوم « بن هال » القديم السلف ،
في يده « جيريلديرى » ،
مثل ما كانت بكف ذلكم « كانويندرى »

لكننا بفننا فقناه فيما ابتكرا

كم راوغ القناص كم حاوره وداورا

ونحن في « جيريلديرى »

اصطدنا رجال الأمن من غير مرا

فواحد أسيرنا

تضمه زنزانة

وآخر سميرنا

يسقى على حسابنا مشعشعات الحانه

بـــريت : ليس على حسابكم ، على حساب صاحب الخمارة .

دان : لابد أن القادة الكبار في « كانويندرا »

قد انطلى عليهم ما زوق « القناص » في إيهامه وصورا ،

لربما بدا كذا الأمر لمن يريد أن يرى :

اذ انبرى « القناص » من كل مكان في القرى :

كمن يجد باحثا بعد « مغير » أدبرا ،

مصعدا على الجبال حيث يلقى الصخر فيها أوعرا ،

مصوبا عبر السهول بلّ بالرشح الثرى ،

يخوض كل جدول بعد « مغير » لا يرى ،

وتارة يقلب صخراً ثم أخرى حجرا ،

إن يلف كهفاً دس فيه الأنف دساً حذرا

كمن يخاف لدغة تصيبه وما درى .

وفي أثناء ما غاب (رجال الأمن) يصطادون أوهاما

تولى « هال » والسوقة أمر البيت في البلدة حكاما

وزوجات رجال الأمن ، في غيبتهم أمسين للمُلاك خداما .

ثلاث ليال ... كملن بنفس العد — لم ينقصن — أياما

بـــريت : لقد قضوا فترة نعمة قريبة الشبه ، في » باثرست » أيضاً ، أو ليس كذلك ؟

جـــريبل : التندر بمثل هذا الحديث معه يشجع حصول مثل تلك المساخر هنا ولا سيما اذا تماديت في المباسطة .

المتســـكع : لم امتع بمثل هذا العبث والتسلية منذ عشرين عامـــا . اسقني يا « كوكس » لا تبخل على .

رتشاردز : وأنا أريد أن أذوق قليلا بنفسي . ياله من عمل يثير الظمأ .

السـاقية : ما الذى يثير الظمأ ؟ اتكاؤك على حاجز المشرب ؟

رتشاردز : بل النظر اليك يظمئنى .

السـاقية : وارحمتى لك ! خير لك مـن النظر إلىّ ، النظر إلى رجال شرطتك الذين في الزنزانة .

دان : أقبلت عصبة (بن هال) قبيل المغرب

خمسة تفعل أفعال البلاء المرعب

دهموا « باشرست » ، عاثوا ، فعل من لم يرهب

نقلتهم جامحات مارقات كمروق الشهب

وهم مثل « القناغير » و « خيل الوحش » أو كالأجم الملتهب

أقبلوا كى يذهلوا التاجر بالخسر الذى لم يرقب

باقتحام المتجر الفياض بالخير ، غدا في السلب .

أبدلوا من غطة النائم أو من وصوصات الجندب

طلقات ملأت أمسية الصيف بجو شائم مصطخب

وفي « باثرست » مقْينة لصنع البندقيات

تخطف ما بها المغوار من قصب وطلقات

والبندقية أدنى ما تمد يد اليه عند احتياج في الملمات

وشأنها غير منكور، وكم لعبت دوراً، وكم فرجت هماً
وكربات

وفي المدينة حانوت تصاغ به بالجوهر الحر اصناف
المصوغات

و « الغاب » فيه نساء ما برحن بما يزينهن ولُوعات
حفيّات

وللمغيرين مثل الناس أفئدة تهوى النساء وتسترضى
العشيقات

فينتقون الذى يحلو بأعينهم من المصاغ هدايا للحبيبات..

وبعد ذاك خلفوا كل الكلاب تنبح
ووثبوا إلى ظهور عاديات تضبــح
وأخترقوا « باثرست » برقاً في السماء يُلمح
كأنهم عند السرى نار الجحيم تقدح
وختموا التطواف في قرارهم أن يمزحوا
فيمموا وجوههم للغاب كى يروحوا
لكنهم ترجلوا على الطريق فترة لم يبرحوا

ففى الطريق حانة شعبية ماثلة وخمرها والقدح

يا « كوكس » كانت حانة مبذولة لأنسهم لو قرروا أن يمرحوا

لكنهم قد قرروا أن يسلبوها خمرها ويستعدوا بعــده أن ينزحوا

وبعد أن تحققت رغبتهم ونجحوا

خبّت بهم جيادهم نحو الفريق تسبح

وقفلوا بالبندقيات وبالجوهر والحلى والمدام وهو ينفح

وخرجت في اثرهم مدينة تلعنهم تسبهم وتقدح

هذا حديث المازحين الأقدمين

« بن هال » ، « جلبرت » ، و » فين »

ملكوا على سبل البلاد مسيطرين

وأتوا من الأعمال ماشاءت لهم أهواؤهم لا يرهبون

واليوم يخلفهم » كيللى » بعصبة يقودها

يهوى على المدن مثل الجدول الفياض يجرفها

يمخضها منتزعا خيرها

ويعود بالعصبة أدراجها

متلاشيا مستقبلا غابها

ويارب يوم له في المـــدن صالح ، ولا سيما يــوم
(بيورا) مجلجل ويوم زلزلها والقوم زلزالا

فليتكم تقوون صبرا معى أخبركم . . .

عن المصرف في « يورا »

لقد قمنا بـــ . . .

هـــارت : (يسمع وقع أقدام خارج المسرح) : ها هم أُولاء !
(تارلتن) — بعد أن ارتدى ملابسه — و « ليفنج » ،
و « ماكين » و « اليوت » يدخلون ، وفي إثرهم
« نيد » . وبينما يتكامل دخـــول هؤلاء ، يفتـــح
» بيرن » الباب الذى في ظهر المسرح والمؤدى إلى
الناحية التي يقف فيها « كوكس » خلف حاجز المشرب
من الداخل ، يندفع واقفاً خلف فتاة الحانة ، ويأمرها
معابثا أن ترفع يديها مستسلمة ، تشهق الفتاة ثم تضحك
فيتبادلان القبلات . « نيد » يحمل على احد كتفيـــه
زكيبة النقود . ويردف على ساعـــد يده الاخـــرى
سرجا جديداً كان (لتارلتن) ويلقى بالعبأين كليهما
بلا مبالاة على السطح فوق حاجز المشرب)

نيـــد : تفضلوا اشربوا يا معشر الفتية ، ضيوفاً على « نيـــد

كيللى » هيا أملأوا الكؤوس وأنت يا « جو » ، خل
سبيل الفتاة ، ودعها تصب الخمرة المشعشعة ، وأنت
يا « كوكس » ، هيا بادر وباشر .

كوكـــس : لبيك ، ياسيد « كيللى » ، لبيك .

نيــد : هيا استمروا في الشراب !

سيجىء يوم بعد ما تمضى السنون

يحلو لكم فيه حديث الذكريات فتخبرون

أحفادكم وتفاخرون

بأنكم لاقيتم « كيللى » وعصبته الأباة الظافرين

ورأيتموهم ذات مـــرة ، ذات يوم صائف كـــث
الغبار يشرفون ،

وقد طوى (جيريلديرى) ثقل السكون

وما سرى في جوها الا ذباب ذو طنين

يومٌ أتوا فيه إليها من حنايا الغاب يستلبون مصرفهـــا
المصون

يدعونكم ضيفاً تعاطون الشراب وتسكرون

ويقلبون

« جيلريلديرى » هذى العجوز الحيزبون

رأسا على عقب ، وفي هرج وفي مرج حرون

وكأنما اشتاروا جنى عسل البرارى والحزون

والله سوف تفاخرون

بأنكم يوماً من الايام شاركتم عصابتنا الشراب وقِلْتم تتنادمون .

دان : الفيتم النقود ، كيف آلت نتيجة تحليلكم للتبر من التراب ؟

نيد : (رابتاً على الزكيبة) : استنزلنا رقعة من علم السفينة وتخلينا عن امتلاكها .

دان : ما مقدار الغنيمة ؟

نيد : كان يمكن أن يكون خيرا مما وصلت اليه ايدينا ، يا « ستيف » . ولكنه يكفى لمسايرة حاجتنا ، وبامكاننا أن نعود دائما كلما احتجنا مزيدا .

كوكس : (مازحا هلعا) : لم تنفك قائمة حساب الشراب ترتفع في اطراد منتظم طيلة غيابك ياسيد (كيللى) .

بريت : لكم أنا معجب بطريقة انتهازك للفرص يا « كوكس » !

المتسكع : أرجو ألا يقصد بهذا أن « كوكس » لا يستضيف شاربا

مطلقا . فما زلت أذكر حادث رجـــل كان يعالج سكرات الموت من داء القلب في هذا المشرب ، وأشهد لله أن « كوكس » كاد يجود عليه بملء ملعقة مـــن « البرانـــدى » لولا أن الـــرجل أدرك آثار الشعور بالخســـارة تطـــل من عينى « كوكـــس » فاستحى وانتهى ! . . .

كوكـــس : لكم أعنت من بشر
برغم انى لست من ملاك المصارف ،
بل كادح ، مصاحب للكادحين .
فلتسألوا من فجر المناجم :
نباشة التبر لطغمة الممولين ،
الراهنين جهدهم بلقمة توكل قبل كسبها .
سلوا الذين يفدون
من فتية السبيل :
الحاملين في العياب والصرر ،
ما يملكون من حطام ،
على ظهورهم ،

سلوا جزازى الصوف :
في أى صوب يجدون ،
الناس أهلا والمحل سهلا
في غير حانتى .
سلوا سواقة الاغنام :
السائرين نصف ألف ميل ،
من حيث يقطنون .
شعث عليهم غبرة ،
من وعثاء السعى في المسالك ،
وذفر الاغنام في أفواههم
قد استحال بخراً ،
الواصلين والجيوب خاوية
في قسوة الصخر الأصم .
فانني أفك عنهم إصر ضيقهم ،
أعفيهم من كل ما كلفنى .
الخسر – لا شك – مبين ، أدركه
لكننى ، من أين لى قلب شديد ؟

يقسو على أمثال هؤلاء ،
من عاجز و مُعوز .

المتســـكع : والله إنه اذا أراق قطرة على حاجز المشرب فسرعان ما يلعقها ، لكيلا يعتاد الذباب طعمها فيألفها .

تارلـــتن : أرجو أن تتكرم فتسقيني دينا مادام المصرف لا يملك شِرْوَ نقير .

كوكـــس : لاشك أنك تدرك انني نصير لك ، ياسيد « كيللى » ، أو ليس كذلك ؟
انني بطبيعة الحال لا أستطيع أن أبوح بكل مـــا في فكرى .

بـــريت : عليّ يمين الله ، انك لا تستطيع .
(« نيد » ، بعد أن ظل يُلوح بورقة مالية ، ناوياً أن يدفع ثمن المشروب للسيد « كوكس » ، يعيدها إلى جيبه) .

كوكـــس : ان عدم الدفع خسران مبين عليّ .

نيـــد : يكفيك تعويضا عن الثمن . . . شهرة مشربك ، لسوف يأتى الشاربون من بعيد ،

ليشهدوا الحـــان الذى فيه تعاطى شربهم « كيللى »
وصحبته .

كوكـــس : يمكن هذا أن يكون ، يمكن هذا أن يكون ، بل إنه
سوف يكون ، وانى مكرم ممنـون ، بخدمتك ،
ياسيدى « كيللى » ، أنت وعصبتك .

بـريت : لقد طال انتظارى عشرين عاما وأنا آمل أن أدعى إلى
قـدح من الشراب على حسـاب الحان يطلبـه لى
« كوكس » ، ويحسن بالمرء ان يحتجز لكى يدرك
ما يتمنى . فما رأيك يا « تارلتن » ؟

تارلـتن : لم أجد مثلا لهذا في مدى طيلة عمرى

استباحوا مصرفي دون رضائى رغم أمرى
أخرجونى من حمى الحمام مقسورا بجَـرّ
مثلما جئـت وليـدا بـدء أمـرى
دونما بضعة ثوب ساتر بطنى وظهرى
(تضحك الساقية)
ماعدا (فوطة) حمام على العورة سترى

السـاقية : خوذة أو عمامة ؟

تارلـــتن : (فوطة) . . . ان تخفضى النظرة تدرى

نهبوا المصرف ، أصلوا أهله سبا بنُـكر

جلدوا إلية « اليوت » بلا أبسط عذر

بعصـــاه جلـــدوا العاجز نالـــوه بضر

رفضوا لبسى ثوبى ، شفعوا سوءاً بقهر

وسقونى الخمر ، لكنى خيار يوم صَرّ

بـــيرن : حقا انك كنت بارداً كالخيارة فى يوم بارد .

ماكـــين : أوشكت أن أحيص من عصابة المغير ،

ألقيت نفسى مارقا نحو المسدس المزوى كالاسير ،

ففوت استعداد « كيللى » فرصتى وانقلب المصير .

نيـــد : لا شك فوتّ عليك فرصة وحَسُنَ المصير .

جـــريبل : أرجوك ، ياسيد « كيللى »

اليـــوت : ياللمتعطلين الاغرار !

جـــريبل : أرجوك ، ان تعيرنى صمتك ، ياسيد « اليوت » لأبلغ بكلمة

بـــيرن : اللهم حفظك ، انظر يا « نيد » ها هو ذا كاهن ! . .

نيـــد : من أين اصطدتم هذه الفريسة ، يا « دان » ؟

دان : أتى يتحفنا بموعظة ، فاستحسنت الاحتفاظ به لكى تستعرضه .

بيرن : ما رأيكم في أخذه معنا إلى الغاب والاحتفاظ به بين حيوافاتنا الأليفة ؟

نيد : من أنت ؟ ما اسمك ؟

جريبل : اسمى « جريبل » .

بيرن : « جريبل » ، أهكذا قلت ؟ القس « جريبل » ؟

جريبل : (ببرود شديد) : « جريبل » . ياسيد « كيللى » ، ان صاحبك هذا . . .

هارت : اسكت .

بيرن : « جريبل » ، انى أرثى لحالك .

ماذا يقول الاسقف ؟

اذا رآك مسرفا في سورة الشراب عند « كوكس »
وعشرة السوء التى اصطفيتها ، من السكارى والذين
مرقوا عن سلطة القانون ، وكان واجب المهنة يقضى
بأن تكون في مجتمع للأمهات

لكنك هنا ، تسىء لاسمك المنمق العريق هذا
« الجريبل »

قد رنحتك الخمرة المشعشعة ، مقارفا العصاة من آل « كيللى » الآثمين .

جـــريبل : (مخاطبا بيرن) : أنا لا أعير شتائمك بالا ، (قاصدا بالحديث نيد) : انني أود أن أتوسل اليك ، يـــا « كيللى »

هـــارت : لقد قيل لك أن تزوى وجهك .

بـــيرن : كب قدحا في فمك ، يا « جريبل » .

اليـــوت : لا مبرر مطلقا لهذه المضايقات المتواصلة الحلقـــات للاناس العاجزين عن مبادلة الاساءة .

بـــيرن : ليسوا اناسا بل قسس ، أو قل: قسس محترفون .

اليـــوت : إنلك تعود للجاج كَرَّة أخرى .

دان : (مشيرا إلى اليوت) : من هذا يا « نيد » ؟ انه ليس مصرفيا ، أم انني مخطىء في تقديرى ؟

نيـــد : يزعم انه مدرس . ولا يميل الينا بأية حال ، ولذلك جرجرته إلى هنا .

بـــيرن : قد مزقت كفله جلدا في المصرف . وتلك هى الطريقة الممكنة الوحيدة لمعالجة المدرسين الجانحين المعاندين .

هـارت : مارأيكم بجرجرته إلى مدرسته ووضعه في الفلقة على مشهد من الصبية ؟

اليوت : كفى هذه الوتيرة من الهراء ، لقد ضقت ذرعا بها .

نيد : بل تنعكس الآية ، أيها الديك الهرم ، هل تتصور أنا لم نضق نحن ذرعا بك ؟

دان : لندع الصبية يتولون تأديبه ، ليستقضوا منه بعضا من ضربه لهم .

بيرن : والله ، ان هذا لعين الصواب ، فلنفعل ذلك ولسوف تذوق طعما من الواقع الأليم ، يا « اليوت » ، لسوف تَنْحنِي وتلمس مقدمة قدميك .

اليوت : (هائجا مذعورا) ، لا ، أجيروني يا « بريت » . . . يا « جريبل » . . . يا « رتشاردز » . . . لا . . .

المتسكع : لقد هزلت ! مابيد هؤلاء حيلة.

كأنه قد استجار بالكاتبين الستة الخيرة في محكمة قاض القضاة.

نيد : لا ، يا « جو » ، لقد وجدتها . أعرف الآن ما نصنع به . لسوف نكرم الصبية . سنعلن اليوم اجازة عامة. استمع جيدا يا « اليوت » إمض إلى مدرستك وأعلن لصبيتك ان اليوم إجازة تكريما « لنيد كيللي ».

اليــوت : لن يمكنني فعل ذلك . ليست بيدى أية سلطة لإعلان اجازة مثل هذه . ولن أتسبب في ايذاء نفسي .

بــيرن : لا نبغي لك حالا خيرا من الإيذاء ، وإنك لأهل له.

نيــد : أنا أخوِّلك السلطة . لم لا يمتع الصبية بيوم اجــازة. هل معك ورقة يا « جو » ؟ ضع له نص الاعلان.

بــيرن : (يكتب) : « بهــذه الوثيقة يعــلن أن مدرســة (جيريلدرى (مغلقة يومنا هذا احتفاء بمقدم عصابة « كيللى » . » — وقعها ، يا « كيللى ».

نيــد : (يوقع متباهيا) : هاك إمضائى على هذا بخط يدى، يا « اليوت » ، تقدم ، تسلم الاعلان (يسلمه الورقة) اقرأ هذا على مسمع من الصبية ، ثم اصرفهم. سآتى لتفقُّد المدرسة بعد حين واياك ألا تصدع بما أمــرت به.

اليــوت : (يقع في حيرة شديدة (: لست أدرى ما أنا صانع. لسوف تكون هذه سابقة سيئة للإخلال بالنظام.

بــيرن : حسن اذن ، وليختل النظام! . .

تارلــتن : كفى ، بحق السماء يا « اليوت ». خلِّ حيرتك فــى الأمر ، ولجاجك الذى لا طائل من ورائه . لن ينالك

من جرّاء تنفيذ الأمر أى أذى . لست الوحيد الذى صار عرضة لهزلهم.

اليــوت : لن أجبر على أن آتى شيئا من هذا . انى امتنع .

دان : (يمسكه من كتفيه) : بل اصدع بما تؤمر.

بــيرن : (يفعل مثل « دان ») : بل اصدع بما تؤمر.

(يشد « نيد » إحدى ذراعى « اليوت » كما يشـــد « دان » ذراعه الأخرى ويهرولان به إلى الباب).

بــيرن : (صارخا بعده) : ستجلد فيما بعد ، يا « اليوت ».

بــريت : لكم تبلغون شأواً بعيدا في تهييج المواقف حين تضعون ذلك نصب أعينكم ، أو ليس كذلك؟

نيــد : لن ينسى الصبية الاجازة ، ما حيوا.

بــريت : ولن ينسى « اليوت » كذلك.

جــريل : أرجو أن تكون الآن مستعدا للاصغاء إلى، ياسيــد « كيللى »

هــارت : صه ، شل لسانك!

نيــد : شعشع الخمر لهم ، يا « كوكس » أكـــثر ، وأدر

أقداحها ثانية بين الندامى .

بـيرن : عجّل ، والا نهبت الدرج.

كوكـس : (مداريا اضطرابه) : لن أعجب أن يصبح مزحك جدا ، يا « بيرن »!

رتشاردز : يخيل إلى أن السيد « اليوت » سيرفع شكوى مجلجلة ضد الشرطة لتخليهم عن الحفاظ على كرامته.

نيـد : (كمن استفزت روح المقارعة لديه) : أو في نيتك أن ترد له اعتباره؟

رتشاردز : ولم أكلف نفسي عناء رد الاعتبار لشخص مثـل « اليوت »؟

بـريت : ما رأيك يا « كيللى » لو انفض الجمع الآن؟ لقـد نلتم مأربكم وتلكئى هنا بعد هذا الوقت قد يثير ريب زوجتي فتعتقد أنني موجود في الحانة ! . .

ليفنـج : بل لقد ارتكبتم كل الموبقات التى استطعتم اليها سبيلا ، حاشا قتل النفس التى حرم الله.

بـيرن : مازال في الوقت متسع لاراقتك ، أيها (المحبرة).

نيـد : كأنما جئنا هنا ننشد بضعة من قصة لعبرة أو طـرفا من الخبر

أو أننا ننشد بضعة . . . من طَرد ومرّح دعابة ، ولن
تلوموا فعلنا ، بل هل يلام من قهر ،
ترضية لمن قهر ؟
قد رسمت حكومة البلاد أننا . . حِدنا عن القانون
خارجين . . ترضى بذا قناصة الأمن الغجر
واننا لخارجون ، يسرنا بأننا كذاك نعتبر ـ
من طغمة قناصة زحافة الى سفر
من يضمرون بغضنا ويوعدونا بالخطر.
لكننا لم ينف طردنا من ساحة القانون أننا من البشر
برغم أنا نشبه (الدنجو) نعيش مثله بين الصخـــور
والحجـــر ،
واننا نُقنص أو نرمى اذا بدا لنا أثر ، إذ لُحنا للنظر.
وتزهق العزلة فردا واحدا اذا هجر
لكنها ماشملت عصابة الا غدت أقسى وأدهى وأمر.
ونقطع الوقت بجد القول لا نرضى بهزل أو هذر
فلا نناجى شجر اللبان أو نعوى إلى وجهأُالقمر
كالباحثين عن كنوز التبر في غيب الحفر

أو مثلهم من يعملون في انعزال ، في نشاطات أخر

» ومن تُضلِ أهلهم قبعة » من جهدهم عند الظفر.

وليس تَبْنِي الببغاء عشها في شعرنا وتستقر ،

لكننا تنتابنا جميعنا نفس الشجون والفكر

تظل في رؤسنا تدور ، لا ينتابها توقف ولا خور ،

فليس نهذى خالطين واضحا بغامض من الصور

من جيشان النفس من فرط الكحول والخدر ،

لكننا نرى وجوه بعضنا رتيبة نملُّها ولا مفر

فليتكم جربتم حياتنا ، شقاءنا بذاتكم كمن تأذى وشعر

هي اختفاء في ثنايا الغاب لا نشهد الا شجر اللبسان
أو جلامد الصخر

إصاخة السمع الرهيف حينما تنقصف الاغصان أو
ينساخ الشجر

وحينما ينعق الغراب ، . . أو تنساب أصوات أُخر
في هدأة الليل البهيم منذرات بعناء وبِشَر

تمضي بنا شهورنا مملة بطيئة تمطّ ساعات العمر

وكم تثور سورة من التوجس الشديد والحذر

وجامح من الشعور ينفجر

لكى يزاح حائل من الشجر

يحول دون فسحة البصر ،

تنوى بأن تسحقه بقبض كفك لكى تنثره فيما نُثر

أو تنزعن رأسك لا تبقى عليه أو تذر

تقذفه على غراب مسكتا نعيقه اذا انتشر

واوحشتى من وجه « جو » ووجه « دان » ، ووجه « أسطفان »

ومسحة الصخر وسيما شجر اللبان

واوحشتى من وجه « جو » ووجه « دان » ، ووجه « أسطفان » .

اذ لا جديد في الصور ، لحقبة طويلة من الزمان

دان : ولن تجدوا واحدا أبدا .

في كل تلك الأميال

من التـــلال

سوى آل « كيللى » المخرجين من حمى القانون .

هـــارت : أو سوى قناصة الامن المقيتين يعدون خطانا

يقفوننا خلسة في الغاب كالصياد اذ يقفوا الطريدة ،
ويقيمون كمن يرقب وحشاً جن من عطش شديد
ورد السبخة كي يطفىء غِلّهْ فاذا السبخة فخ شد رجله
واذا الصياد ينجيه لكي يحسن قتله

نيـــد : (يتجه بالحديث إلى « بيرن » الذى يستغل انشغال « نيد » بنجواه فيحاول هو أن يتسلل والساقية متخذا باب الحان الخلفي سبيلا) :

ارجع يا « جو » إلى أين تسول لك نفسك أن تذهب ؟

بـــيرن : نبغى أن نذهب لامتاع النظر بمشاهـــدة الأزهار ، والتمعن في دراسة الطبيعة .

نيـــد : لا آذن لك بذلك .

بـــيرن : كفاك تحكما ، يا « نيد » !

نيـــد : لدينا الوقت لهذا . .

بـــيرن : انك تنسى ان احدى المضايقات التى تنغص وجودى معك هى اصغائى إلى نبرة صوتك . ألا يحق لى أن أنعم بالسكون ، والطمأنينة ، وبصوت ساقية رخيم يتردد في مسمعى كزقزقة عصفور في الصباح الباكـــر أو كغرغرة زجاجة آتية من ناحية الغاب .

الســاقية : على كل حال ، فأنا لست خارجة معك . إن توددك وملقك يوحيان الى كأنك قبّلت حجر تحقيق الرغاب ، وليس الاختلاء بك بمأمون .

بــيرن : أنا لم أستلم حجر تحقيق الرغاب قط بغير الإجــلال المتناهى والورع الشديد .

الســاقية : أنت تحسبنى اذن حجراً ، أو ليس هذا هو اعتبــارك لى ؟

بــيرن : يامنية النفس ، لأنت والله عندى الشعلة التى تنشــد كفاى دفئا بها .

الســاقية : خلّ كفيك لنفسك .

نيــد : اضرب لها موعدا ، يا « جو » ، وعد في ليلة أخرى . همنا الملح الآن هو مقابلة ذلك الشخص المحرر فى الجريدة — لقد فاتنى اسمه — نعم « جيل » ، وبعد ذلك ننصرف . من يدرى لعل جبانا ذا حيلة قــد انطلق يطلب النجدة .

رتشاردز : من ذا يسول له حمقه فعل ذلك ؟ ! . .

دان : انت مثلا ، لو لم نشدد رقابتنا عليك .

بــريت : لماذا تودون مقابلة « جيل » ، يا « كيللى » ؟

نيـــد : معنا له مادة ينشرها في جريدته ، نبذة كتبها « جو »

بـــيرن : كتبتها بنفسى . . . تحفة فنية رائعة !

تارلـــتن : هل هى قصيدة ؟

(لا يجاب عن السؤال ، الا أن رجال الادغال يبدون محرجين) .

بـــريت : ماذا ، يا « كيللى » ؟ هل مهزلة أخرى ؟ ما الـــذى تريدونه أن ينشر في جريدته ؟

تارلـــتن : ستروج جريدته فتنفد كل اعدادها في يومها ، على أية حال . ماهى ؟

نيـــد : انها مجرد خبر ما .

هـــارت : انها قصة حياة « نيد كيللى » ، اذا شئتم ان يـــرضى فضولكم . ان « كيللى » يعتقد انه يستطيع ان يبرر موقفه من قناصة الأمن.. ،تحدثوا كما يحلولكم عن المآسي التي حلت (بأيرلندة) ولكن انتظروا حتى تقرأوا عن المآسى التى حلت « بنيد كيللى » ، وبعد ذلك احكموا .

دان : انكم تجعجعون ، ولكنكم أول من ينفض يده عندما تطل المتاعب

نـــد : وهكذا ، فان قناصة الأمن أبناء الحرام ، قد اساءوا

إلى اساءة بالغة ، وأنا لا أبتغى الا الانصاف من أى امرئ كان . انكم تستمعون إلى ادعاءات قناصة الأمن فتنطلى عليكم تلفيقاتهم . ولكن متى أتيحت لي أنا فرصة لأطرح القضية من وجهة نظرى ؟ . .

نارلـــتن : لكم أنا متلهف حقيقة لكى أعرف كيف أجبرتك اساءة الشرطة اليك أن تنهب مصرفي ، وتجرجرنى من حمامى كما ولدتنى أمى لكى أفتح لك خزانة النقود .

ليفنـــج : ستكون معرفة السبب في غاية ما يروق ويعجب .

بـــيرن : وكذا ستكون أنت في غاية ما يروق ويعجب ، اذا أودعناك صندوقا من الزجاج ، واتحنا للناس فرصة التفرج عليك برسم قدره ستة بنسات .

ماكـــين : يا « ليفنج » . . لكم تلقى بنفسك إلى التهلكة .

جـــريبل : ياسيد « كيللى » ، من فضلك ، اذا تطرقنا إلى هذا الموضوع نفسه ، أى موضوع سمعتك ، فيـــوجد شيء . . .

هـــارت : اسكت .

بـــيرن : يا « جريبل » ، أيها الثرثار العجوز ، اذا اردت شيئا من الشراب ، فانفذ اليه بلا وجل، استحم فيـــه انقع نفسك به ، انغمس في حمياه، ثم اذهب ثملا

مترنحا إلى مجلس الكنيسة وقل لهم لتذهبوا إلى الجحيم.

جـــريبل : (بنبرة جادة) : أنت انسان خفيف الظل مسل، يا « بيرن ».

بـــيرن : اللهم أعني وصبرني . يا (جريبل) لا تدخلني ضمن الذين يرجون الخلاص على يدك من اتباع الكنيسة. فجرأتك على عمل ذلك لأجلي لا يناسب جبلّتي .

جـــريبل : ياسيد « كيللى »

نيـــد : هذا الثور الخصى الذى القى النيرُ عليه معكوسا ، يبدو أنه أعلف مالا يناسب كرشه، لذلك ظل يفهــق في اتجاهي بين حين وآخر. ماذا دهاك ، أيها الخورى أوقف خوارك.

هـــارت : لقد انذرتك ، يا « جريبل ».

جـــريبل : ياسيد « كيللى » ، ان تابعك ذاك قــد اختطــف ساعتي.

نيـــد : من اختطفها؟

دان : « ستيف » ، الغبي.

هـــارت : لقد اختطفتها فعلا ، وسأحتفظ بها . لقد أثار الكاهن أعصابي.

جـــريبل : تلك الساعة لها قيمة عاطفية بالنسبة لى ، لقد ظلت معى مدة طويلة.

بــيرن : هل أهدتها احدى عشيقاتك السابقات.

جـــريبل : اذا شئت الحقيقة — نعم. فالامر كذلك ، بصورة ما . . .

نيـــد : أعد الساعة ، يا « ستيف ».

هــارت : تنفذ أوامرك على حينما تكون ممتطيا جوادك ، أما وأنت مترجل الآن فلن أذعن لأمرك . انى أريد الساعة.

نيـــد : سلمهـــا.

هــارت : لن أسلمها.

نيـــد : (يصرخ فجأة) : أعد ذلك الشيء اللعين لصاحبه ، والا نسفت مخك البليد بالرصاص.

دان : أعد الساعة ، يا « ستيف » .

هــارت : عجبي يا « آل كيللى » . لعنة الله عليكم أجمعين ! لا قدرة لكم على أن تنسوا ملوك الطرقات السالفين ، مثل « بن هال » و « باور » والجرىء « الصاعقة » . انحنوا للسيدات ! قبلوا الاطفال في نضرتهم كالزهرات العبقة !

ازحفوا في حضرة الكهان ، الرعاة أصحاب الثراء الطائل،

وتمنوا أن تعدوا في جياد القــوم أصحاب المروءات الشهام،

« آل كيللى » من جيــاد القوم أصحــاب المروءات الشهام ؟! . .

اطمئن يا « نيد كيللى » ، ليس تجرى من دمــاكم قطرة ليست تعاب

لست يا » نيد » سوى فدم غبي ، وكفاك!

ضحكة للناس في السر اذا واجهتهم،

ضحكة للناس في الجهر اذا دارت قفاك.

نيـــد : تفوه بمجرد كلمة واحدة أخرى، يا « ستيف » ، زد كلمة واحدة فقط ، وستجد حنكك اللجــوج وقد شلت حركته ، أمداً طويلا. هل تنوى أن ترد إلى الكاهن ساعته ، أم لا؟

هـــارت : (مستخذيا ، وملقيا بالساعة إلى « نيد »):

اصنع بها ما شئت ، لقد اخذتها على سبيل الدعابة.

نيـــد : سلمها إلى السيد « جريبل ».

هـــارت : (ملبياً الأمر) : الأيام بيننا يا « جريبل »، وسأظل لك متذكراً.

نيـــد : ستتذكر رجلا هو خير منك ، صموداً ثابتاً عنـــد كلمته أيضا.

جـــريبل : أشكرك ، ياسيد « كيللى ».

نيـــد : ليس اتباعى لصوصاً ، فاطمئن.

تارلـــتن : يبدو لى أن مجيئكم إلى « جيريليدرى » كان جـــولة مجردة للاقتراض . فما رأيكم اذن باستحلال مصرفي؟ وبنهب سرجي؟

نيـــد : كم أنا آسف لنهبي سرجك ! أما المصارف فهى مما لا يهم .

وليس للسرج شأن . . . إلا إذا شد على ظهر فرس

والخيل ، كل الخيل مما لا يُهِم

سلني عن الخيل ، دلالا ، بها وبالمصارف،

وكل دلال حرامى بلا منازع

وانني كذلك. . .

ففى بضعة أعوام قليلات تقضت، ما قَلّ ما هُشت

من الجياد،

عن مائتين اثنتين.

رتشاردز : اضافة إلى مصرفين حتى يومنا هذا تعاملت بهوشهما نوعاً ما.

بـــريت : كدت تبدأ تحدثنا عن « يورا » ، يا « دان » .

نيـــد : أمر « يورا » كان سهلا ، وتجربة مبسطة مقدمة لما صار هنا ذا اليوم. . .

ما تكلفنا سوى أن نصل المصرف نحدو عربتـــين بسكينة،

وسرقناه وعدنا بالغنيمة ، تعبر الخيل بنا قلب المدينة ، معنا « سكوت » المدير ، معه زوجته بالحلل الكاملة المثلى مزينة،

وكذا الاطفال يهوون ويعلون على مركبة الخيل الثمينة. وكأني بهم قد خرجوا ليودعونا

ويرونا عائدين ، غانمين ، ساليمنا.

دان : برغم أن الأمر سهل ، مثلما اسلف يحكيه رئيـــسي والرفيق

كنا على الأهبة أن نطلق من سلاحنا نار الفناء والحريق

حين مررنا على موكب دفن عائد يسعى على طــول الطــريق
أودع التربة مسكيناً عجوزاً قد أبى بعد هجوع أن يفيــق
وكان من مروا بنا.
بين ركاب على خيل عجاف يمتطيها معدمون باجارة
وأناس ركبوا في عربات مزريات موغلات فــي الحقــارة
وسراة زفهم في مركبات العز موفور جلال وإمارة
ثم سرنا في الطريق ، ومررنا :
بعقيلات يلوحن بألوان المناديل الجميلات المزينة
وسراة يخفضون بالتحيات الرصينة ، قبعات العــز والجاه الثمينة
ويخفض « كيللى » رأسه ردا على تلك التحية ،
وكذا يبسم « سكوت » يلبي غمزة الجنب بــراس البندقية ،
ولا يدرك من في الجمع فعلتنا كُنهاً ،
سوى أنا بدَوْنا قد خرجنا نطلب الترويح والنزهة .

وحق الله لو علموا بما لابد أن يدروه في القرية ، عند
نهاية الرحلة
بأن المصرف المرزوء قدسرق. وان مديره رهينة لتكمل الحملة
لكانوا قدموا في الحال للديدان لحسم مغيرة الادغال
في حفلة .

تارلتن : لابد من أن اقابل « سكوت » في فرصة مناسبة —

« ان المصائب يجمعن المصابينا » . لقد خيل لى ، ياسيد
« كيللى » ، انك لا تشن حربا على النساء . فما رأيك
بفعلتك بحرم السيد « سكوت » ، خبرني ؟ فما ليس
منهُ بدّ أنها قد تملكها الرعب والذعر الشديد ، فأخذها
رهينة مع زوجها والبنين لا شك أنه قد أخرجها عن
طورها .

بيرن : (وهو حردان من » نيد » ، يبدو مهموما حانقا ،
بعد حادثة حرمان » نيد كيللى » له من الاختلاء
بساقية الحان) .

هذا ان كان قد أبقى لها طورا تخرج عنه !

نيد : السيدة لم تبال بما حدث .

بيرن : أحسبها قد كانت تخال أن لكل فرد من مغيرة الغاب
نابين شاخصين مثل ما لخنزير الوحش . وأن مفاجأتها
برؤية « كيللى » وأنه لا يختلف شكلا عن البشر قد

هيأت مناخها النفسى لتتهافت معانقة له . فما ذلك الا مثار للنشوة القصوى ، لتحوم الانثى شادية حول الذكر الكفوء كالعصفورة المتيمة .

نيـــد : وافترض أنها فعلت كل ذلك ، فهل تنهش الغيرة فؤادك ، يا « جو » ؟

بـــيرن : بل انك تتخيل أنها لابد كانت بانية عشاً لها في لحيتك ، لو أنك تنازلت فجدت عليها بنصف نظرة .

تارلـــتن : كل النساء سواء . . . حتى لكأن أشدهن رصانـــة ، وأكثرهن رزانة ، لا تتورع من أن تتودد إلى انسان فيه مس من الشيطان ، وعليه منه مسحة .

بـــيرن : ولكن المرأة الذواقة ، اذ اوقعها سوء مصيرها فـــى حانة مزدحمة تلتمع فيها عينا « جريبل » الموبختان من جهة ، وتهددها بالفضيحة نظرات « ليفنج » الباردة ، من جهة أخرى ، فلا تستطيع أن تجد الفرصة لابداء مشاعرها الحقيقية .

الســـاقية : وارحمتى لك يا « جو » ! وواتقطع قلبى ؟ ! .

بـــيرن : لاشك أن لشئون العمل حرمتها الواجبة ، ولكننى إنسان ولقلبى على حق .

نيـــد : أين « جيل » ؟

المتســكع : فَلَّمِّى تجده .

بـــيرن : ليس الشقى بقملة .

كوكـــس : لا أكاد أرتاب في هبوطـــه علينا وشيكا ، ياسيـــد « كيللى » ، فقد اعتاد التردد على الحانة قرابة هذا الوقت من النهار كل يوم .

رتشاردز : ان يسمع أنكم في المدينة يبحث عنكم ليحوز سبقا صحفيا اذ ينشر قصتكم المثيرة في صحيفته .

نيـــد : ان لم تسقه المقادير إلى هنا بعد فترة وجيزة ، فسنضطر إلى الخروج لاقتناصه كما يفعل أكلة اللحوم الآدمية :

ماكـــين : أيها الهازلون ، ان فيكم لطفاً وفهماً مرحا للحياة .

بـــيرن : للحياة ؟ أى أنواع الحياة ؟ ياحبيبى . . . !

في غـَدٍ يرَىْ طرفك النعسان ذى الغور القريب

أنا طيف قد بـــدا يسبح مشـــقوق الجيوب

أغمضى عينيك يا خـــير ملاك وحبيـــب

آن أن أغفو محمولا عـــلى سحر الغيـــوب

نيـــد : يكفيك يا « جو » ، سكراً .

تارلـــتن : لِـمَ لم تلحقكم الشرطة بعد مقابلتكم لموكب الدفن؟ يبدو أنكم لم تودعوا الشرطة غيابة الزنزانة في « يـــورا » كما فعلتم هنا ، أم هل فعلتم ذلك بالشرطة هنـــالك أيضا ؟

نيـــد : كان قناصة الامن يقفون أثرنا ليوقعوا بنا في كل مكان – لعنة الله عليهم – ولكن « يورا » لم تكن اذ ذاك فيها قناصة امن .

رتشاردز : كان الشيطان منعما عليكم بحسن الطالع إذن .

نيـــد : لسنا ممن يتشبثون بتعليل النفس بحسن الطالع ، ولكننا نتسم بصدق الحدس وبعد النظر فنتحكم . بزمـــام المبادرة . أما انتم يارجال الأمن فوسيلة تفكيركم تدنت فصارت احذيتكم ، ونحن لا نتذرع عند التفكير الا بعقولنا .

دان : كانت كأنها غارة « بن هال » على « كانوينداراً » تكررت ثانية

لكننا لم نتخذ تلك المدينة مركزا

ففى محطة « ينجز بند » لقينا مركزا مناسباً مقارباً سلسلة الجبال .

فمن هنالك استعرنا العربتين عنوة .

وكان « جو » محتجزا هناك ، نحو ثلاثين من الرجال .
في صحبة الفئران والبق ، في مخزن المحطة
وذاك في أثناء نهبنا للمصرف الكريم .
وكانت الشرطة في البعيد ، على مدى أميال ، ونحن
في المدينة ،
المبعدين عن حمى القانون ، كما ترون ،
من بعد قتلنا أولئك الثلاثة الشرطة ، في الممــر في
« سترنجبيارك » .

رتشاردز : « كينيدى » ، و « لونيرجان » ، و « سكانلون »

نيـد : يالك من حفاظة .

دان : وهكذا فيستميت الشرط ليوقعوا بنا . يراقبون مـن
يصادقوننا ، ومن يصادقوننا عليهم لنا عيون . وكل
واحد من الشرط ، يود أن ينال ، من آل « كيللى »
هدفاً .
نحن هنا ، نحن هناك ، بل اننا نكون ، في لحظـة
واحدة ، في بقعتين .
وليس يدرى أحد أين نكون فنحن طلقة من الرصاص
في الدغل .

بل نحن خبة الحصان، وركضه، ونبحة الكلب الذى عوى،
وابن السبيل الشارد ،
يوقد ناراً عندترعة ـــ وقد يهيب من يهيب، : « تطلعوا
فآل « كيللى » هاهـــم حتى ليعتقل الشرط ، ظلالهم
، حين تجارى سيرهم من الوراء ، في نوبة التفتيش .
وتارة يقفون إثر وزغ ، عدة ساعات لانه ، بـــدا
مريبا في تصرفه ،
ومدع قد يزعم ، أنه رأى مشبها بنا ، لكنه ما كان
منا مطلقاً .

رتشاردز : بحق ابليس الذى يقود خطوكم ، فأين كنتم اذن ؟

هـــارت : تود أن تعرف ؟

دان : أبلغ الشرطة جاسوس جرذ ، أو انه جحش من البشر ،
بأن قومنا ، عصابة المطاردين ، قد رجعت إلى « جريتا »
حيث تقطـــن ،
وحيث حصنها الحصين ،
وعند ذاك قال آخر ، وأغلظ القسم ، بأن يسوّد الإله
وجهـــه ،
بصفات العار والشنار ، ان لم نكن في « وولشيد »
قد أوينا نستكن ،

فـــذاك حيث آل « بيرن » قـــد ألفوا التردد ، هم واصدقاؤهم ،

فينبرى قناصة الامن على جناح السرعة ، مـــوزعين لاعتقالنا ،

في « وولشيد » أو في « جريتا » ، علّنا نوجد في ايهما.

وحالما ينهون ركضهم ويصلون حيث يبتغون ، يعرض في وجوههم ،

« كلب سلوقي » قعيد منهك يقول : لاهم في « جريتا » ولا في « وولشيد »

وقد روت لى امرأة ، بأنها رأتهم ، في « وانجراتا » ذات فجر ماطر ،

حين عبورهم في أحد الأنفاق حتى سكة الحديد .

وينبرى قنصاصة الامن بلا روية ، يبلون ما عـــلى خيولهم من كل سرج وعنان ،

حثا بلا توقف لـــ « وانجراتا » يهرعون .

عند وصولهم ، يصعدون الطرف في سلسلة الجبال ، في « واربى »

وبلـّها يحك كل رأسه من فشل المسير والمصير .

ولم يفكر احد منهم بأننا كنا في « يورا » آمنين .

تارلـتن : اذن ، ورنى ، قد خدعتموهم

ماكـين : وخدعوهم ها هنا ثانية .

رتشاردز : لابد أن مبادرتكم كان مفعولها على خير ما يكون عند حلولكم بأولئك الفتية المغفلين من شرطة ممـر « سترنجيبارك » ، أو تقرونني على ذلك ، فلم يكن نداً لكم يا آل « كيللى » النجباء ، « كينيدى » و « سكانلون » و « لونرجان » .

نيـد : خسئوا ان يكونوا لنا أنداداً .

جـريبل : بالله يا « كيللى » كيف تقدرون ، أن تكونـوا دائما متسنمين ،

جرف الفناء ذاته ؟

فزلة واحدة تكفى لأن يلقى بكم للهاوية ،

وليس تطمعون أن تمد نحوكم يد تقيل عثاركم ،

وإن تهووا فلن يقصر المـدى وأنتم نحـو الحضيض صائرون .

نيـد : النشوة التى تعرو الذى يهوى إلى الحضيض عارمة ،

وليس يستطيع أن يدرك كنهها كاهن مثلك .

فالركض بالخيل سريعا مثلما ينماط عرض جيـــل يشتاق نحو سفحه ،

أو أن تهوش الخيل اسراء بها في سدفة الليل البهيم ،
وحولك الكلاب تنبح ، وطلقات النار ، وصرخــة المـــلاك ،

موعده بالويل والثبور ، وبالمنايا الزرق والفناء .

وتأخذ الاصوات تخفت ، وتبعد ، ونحـــن ننـــأى راكضين العاديات ،

وعندما نبلغ مأمناً ، نوقف خيلنا لتسترد النفس .

ونصغي ، لا نسمع صوتاً حولنا ، الا الجياد تضبح ، جيادنا .

فات المطاردين ثانية ، أن يلحقوا بنا

وليس حولنا شيء سوى الدغل الحبيب ،

دغلنا الكائن الذى نعرفه ظهراً وقلباً مثل أكفنا .

بـــريت : ان استحلال مدينة عنوة أمر مختلف نوعا ما ، ألست محقا فيما أقول ؟

نيـــد : لقد استحل «بن هال» المدن عنوة ، وكلهم فعلـــوا فعلته ، وأنا ـ

(تمسع جلبة خارج المسرح ، ووطء أقدام ثقال)

بيرن : « نيد » احترس .

نيد : (مومئا إلى الرهائن وهو يمسك بمسدسه واثبا نحو الباب) :

شدد الرقابة على هؤلاء القصّر يا « دان » .

(بينما يتكفل « دان » بأمر السجناء ، الذين تطرأ سورة من الهياج بينهم ويتملك الاضطراب صفوفهم ، فان « بيرن » — وهو متنح متجنبا الموقف كأنما لا يهمه من أمره شيء ، مع استعداده الكافي للقيام بالواجب ، اذا دعا اليه داع — يستند إلى الحائط الذى خلف حاجز المشرب بكل تهاون . « نيد » — وخلفه « هارت » مباشرة — يجثو على مقربة من الباب الأيسر ، وهو بكامل استعداده ليطلق النار ، يفتح الباب دفعا ، ويبرز ثلاثة رجال مندفعين إلى الداخل : « رانكين » ، متين البنية ، تاجر موسر ، عليه سيماء الأهمية (فلقد كان يعتبر زعيم « جيريليلدى » المرموق بين المواطنين) ، و « هاركين » ، صاحب مخزن يرتدى قميصا ذا أكمام ، ومريلة مما يتخذ البقالون ، ويبدو لصغر حجمه كأن

قد تآكل من عدوان العث عليه ، و « جيل » محرر الصحيفة المحلية . . . وبرغم أن الرجال الثــلاثـــة عزل من أى سلاح ، فيبدو عليهم طابع من يود أن يتصدى لشر أو أن يثير عداء . وعند دخولهم ، ينشأ مشهد من العنف والفوضى . ويموج السجناء متدافعين إلى الامام ، إلا أن « دان » بعد برهة من الارتداد المفاجىء ينهرهم قائلا ، : تراجعوا خلفا ! » فيكف الزحف)

بـــريت : (صارخا) : خذ الحذر ، يا « رانكين » ! انهم على أهبة أن يطلقوا النار بلا تردد :

رانكـــين : ما الذى يجرى في هذا المكان ؟

نيـــد : (صارخا) : ارفعوا ايديكم وسلموا أمركم ، ياكلاب لقد اتيتم توقظون الفتنة — ولأثيرنها عليكم شعواء لا يخبو لها أوار — ارفعوا أيديكم وسلموا أمركم !

رانكـــين : حقا ، يا « جيـــل » ، لم أصدقك فهاهم أولاء آل « كيللى »

نيـــد : نعم ، هاهم أولاء آل « كيللى » ، فماذا يروق لك أن تصنع اذن ، أيها الابريق المهشم ؟

جيـــل : هيا بنا اذن ، لننجو بنفوسنا من هنا ؟

بـــريت : تلبثوا واهدأوا ، أيها الاغبياء ! أنا واثق أن ايديهـــم لن تمتد اليكم بأذى .

(تغشى جمع المحتجزين انتفاضة تمرد عاتية حينما يحاول الرجال الثلاثة أن يلوذوا بالفرار . إلا أن « بيرن » يتسلق حاجز المقصف ويعزز موقف « دان » في صد المتمردين . يحاول « هاركين » الإفلات من ربقة كل من يتصدى له ، الا أن « هارت » يلقى عليه القبض ويطوح به ناحية « بيرن » الذى يتلقاه بدوره ويلقى به مسلوكا في عداد المحتجزين . يندفع « نيد » خارجا من الباب مطاردا « جيل » و « رانكين » .) .

نيـــد : (خارج المسرح) : اصطدتك ! قف لا تحرك ساكنا، يا كلب ! يا « ستيف » !

هـــارت : (وقد تخلص من « هاركين ») : أبشر ،أنا قادم اليك يا « نيد » ! .

نيـــد : » ستيف » ، انه يحاول الافلات .

(يندفع « هارت » خارجا من الباب قاصدا » نيد » . تسمع طلقة مسدس واحدة . يدخل « نيد » ، ويكوم

« رانكين » في الغرفة ، وهـو يهدده ملوحا لـه بالمسدس) .

كوكـس : (مغمغما) : يعلم الله من رموا .

ليفنـج : قتلة سفاحون !

رتشاردز : واجه الموقف بهدوء .

نيـد : (يهدد « رانكين ») : ماذا تريد ، قل لى، يامنحط، تريد هذا ؟

(ينخس جانب التاجر بالمسدس) .

هـارت : (يعود جرياً) : لقد أفلت يا « نيد » . أخطأتـه رصاصتى . لقد حاص الجرذ اللعين (يتوسل متحرقا وكأن النار قد أخذت تتأكله من الهياج) خلنى أجهز على ابن الحرام هذا ، يا « نيد » بالله لا تمنعنى مـن الاجهاز عليه .

جـربيل : لا !

نيـد : (يزج « برانكين » فيلصقه بحاجز المشرب) : أتيت ترجو قتالا . الآن تلقاه . تتوهم أنك قدير على قتال آل « كيللى » ؟ من ذلك القزم الذى لاذ بالفرار ؟

بـريت : لم يكن سوى « جيل » صاحب الجريدة ، ضالتكم التى تنشدون .

تارلتن : لا تطلق النار على « رانكين » يا « كيللى » . انه ذو حيثية مرموقة جداً في مجتمعنا .

هـــارت : أبركه على ركبتيه ، يا « نيد » وسأجهز عليه .

نيـــد : هيا اذن ، أجهز عليه .

(بينما يبدو أن « نيد » و « هارت » يوشكان أن يطلقا النار على « رانكلين » يتأزم الموقف بين المحتجزين ويسمع للاحتدام هسيس بينهم . يزحم « بريت »

« دان » بمنكبه جانبا غير مبال بمسدسه المصوب أفقيا على أهبة الانطلاق ، ويتجه قدما فيواجه « نيـــد » بجرأة وحزم) .

بـــريت : يا « كيللى » لن يكون اطلاق نار هاهنا ، لقد عبثتم مثلما شاء لكم عبثكم ، استحللتم المصرف والمدينة ، أسرتمونا واحتجزتمونا ،

ذهبتم وجئتم كما تشاءون ، ولا من مانع لكم ، عثتم فسادا في الشوارع ، ولم تخافوا البندقيات التى تكمن في الخفاء — يومين كاملين

بثثتم سلطتكم على « جيريلديرى » ، ولم يقـــف في وجهكم أحد ،

لم ترتفع يد ولم تنهض بندقية ضدكم .

وتستطيعون الذهاب مثلما أتيتم . « رانكين » أعزل .

لا تبدأوا اطلاق ناركم ، وإلا فإن ربي وحده، يعلم ما الخاتمة الوخيمة :

ان تطلقوا النار على « رانكين » ذا الحين ، فـــوالله لتطلقُن النار علينا كلنا .

نيـــد : وما الذى يمنع أن نطلق نارنا عليكم جميعاً ؟ فليس شيئاً ما نكلف .

الآن نحن ثلة من خارجين عن حمى القانون ، ودمنا مهدور

ونحن كالكلاب التائهة، تلك التى ليس لها مولى ليحميها.

رانكـــين : (معنفا القول ، بعد أن استعاد جرأته بعد الخـــوف الذريع الذى تغشاه) : هيا اذن ، صبوا على ناركم !

هـــارت : يا « نيد » أبلغه مناه .

دان : تشريفه بالقتل لا يجد ربه .

نيـــد : (يرعد في وجه « رانكين » ، ويرغمه على الركوع)

ابرك ، وازحف !

لم اندفعت إلى هنا تشن معركة ؟

(يرتج على « رانكين » . ويتجه « نيد » بسوره غضبة نحو « هاركين » صاحب المخزن التجارى) .

أين الفتى الآخر الشجاع ، ذاك الذى أتى يثيرها شعواء في وجه آل « كيللى » ؟

(يجرجر « دان » « هاركين » للمثول أمام « نيد »)

بريت : اتركوهما ، لم يأتيا مسلحين .

نيد : (مخاطبا « هاركين ») : هل بلغ الوهم بك ، بأنك ما أن تحرك اصبعك ، أو أن تفوه ملقيا قولا على عواهنه ،

حتى ترانا قد تهافتنا أمامك مثل أوراق الخريف ؛

لقد أتيت قاصدا أن تلتقى بنا ، ألم يكن ذلك مانويت ؟

ها نحن أولاء ترانا ماثلين . فما الذى تأمرنا أن نصنع ؟

رتشاردز : (لهاركلين) الرجاء ، الهدوء . .

هاركين : (مرعوبا) : لم نرد شرا بكم . بلغنا أنكم ، استحللتم المصرف عنوة . جئنا لكي نرى ما تصنعون . « جيل » الذى أتى بنا إلى هنا .

بدا لنا ، أن الحضور هاهنا ، البعض ، من واجبنا .

بـــيرن : وحالما رأيتمونا هاهنا ، بدا لكم أن من واجبكم ، أن تغادروا بلا إبطاء .

بـــريت : يا آل « كيللى » انني مخطركم بان « جيل » قد انبرى في طلب النجـــدة ضدكم . خير لكم أن تمتطـــوا جيادكم ، وان من أنذركم قد أعذر !

نبـــد : « جيل » الذى جئت أبغيه لنصرتنـــا

قد انبرى يطلب « القناص » يأسرنا

دان : لن يبلغ منجديه قبل رحلتنا

نيـــد : « رانكين » قم ، قم ، فليس اليوم موعدنا

غـــداً قـــريب لمنظـــور ونـــظـــــار

اليـــوم تنجو بجلد كـــدت أسلخـــه

فليسلم اليوم إذ قـــد سلم البارى

بحثت بالجهل عن حتف وجئت هنـــا

مثل القـــذيفة تلـــقى دون انـــذار

بـــيرن : اذا عزمت مرة أخرى أن تذعر آل « كيللى » وتنفرهم ليلوذوا بالفرار فأحضر معك مدفعا يا « رانكين » ، وليس مجرد نفخة بطن من التظاهر والادعاء الباطل .

فإن السيطرة على موقف والتحكم فيه ليس مجرد اجتماع
من اجتماعات مجلــس « المقاطعة » .

هـــارت : أليس خيرا بأن تمضى ؟

نيـــد : بلا عجل

دعه يثير علينـــا سائر البــلـــــد
ويستحث رجال الأمـــن تدهمنـــا
فليس نــــداً لنا ـــ حمالـــة العـــدد
لا يحسنون سوى زحف البطون دجى
ويطلقون رصاص الغدر من رصـــد
ليس المصارف والقناص من خطـــر
ليس الصحافي عند الروع من احد
فكلهم ضدنـــا شـــر سواسيـــة
هم الخفافيش في الارهاب واللدد
لا يحرصون على الإنصاف ان برزوا
ولا يلاقوننـــا في النـــور بالعـــدد
الا كما يحمينْ « رتشاردز » صاحبه
« رانكين » من خطر المغوار ذىاللبد

هم ناظرونا بشر يبتــوه لنـــا

فلننتظـــر ولنبيّت ردنــا لغـــد

دان : كان « مورجان » وقد أبصر للشرطى ظلا قادماً

حطه الفانوس مرسوما على جنب خباء غائمـــاً

انزوى يرقبه في ظلمة المكمن حتّى يستقر قائمـــاً

ثم تشدو البندقية . . .

بالذى راق لمن يدرك معـــنى العـــدل لحناً صارماً

رتشاردز : كنت في نجوى مع نفسى ولم يمض علىّ بضع ساعة،

عجباً يا آل « كيللى » ، عجباً من لطف ماتبدون من

زيف الشجاعة

أنتم أربعة جردتم من قوة أو من مناعة ،

ماعدا أسلحة النار بأيديكم ، وما فيها براعة .

ضد هذا الهيكل الفدم تماديتم رقاعة

لم يقلد من سلاح ، قشة ، أو بعض عود ، أو يراعة ،

ربما فاه بقول لو تقبلتم سماعه .

وقفتم كالرجال وليس منهم . . .

أذللتم « رانكين » ، رعتموه ، سلبتموه قوة الكلام ،

سلبتم المصرف من نقده .
هكذا وحدكم لم تستعينوا بغير سواعدكم .
وغير البندقيات ، والتهديد بالقتل .
كان خيرا لكم لو لذتم بأكناف الفرار ،
غير أن العجب أغراكم بأن تبقوا ، وتمنوا « رانكين » بانهيـــار .
وهو تأكيد على أنكم في الروع خُواض الغمار ! . . .

نيـــد : (مهددا « رتشاردز ») : أنت يا « رتشاردز » أيضا ،
هل تريد الآن أن تمنى ، بذل ، وبرعب ، وبعِــيّ وانهيـــار ؟
انت تدرى أنني — ياحامى الأمن — بتأديب حمـــاة الأمن دارى .

رتشاردز : انني ياصاح دارى .
أنت بدر القبة الزرقاء ما أنت هلال في السّرارِ .
لمت « رانكين » الذى قد نسى الأمر فألقت به رجلاه إلى هذا القرار.
جاء ، اذ جاء ، كمثل الريح مدفوع المسار ،

ثم لما ذكر الأمر أخيراً ، لات حين الادكار ،
هـُدَّ قلبا مثل ريح هدأت بعد مثار .
هل أريد الآن أن امنى بذل ، وبرعب ، وبعـى
وانهيـــار ؟
ذاك يا « كيللى » سؤال لا يزكيه قرارى .
اسمى « رتشاردز » ، لا « كينيدى » ، لا «سكانلون»
ولا « لونرجان » ، لا تدارى
من يكن مثلى ، و « رانكين » وما ناء بأوزار ثقال
وكبـــار ،
وله ذاكرة ليس عليها من غبار ،
لا يمنى نفسه من آل « كيللى » بأمانى قلال أو كثار .
أنتم في الروع — من ينكر — خوّاضُ الغمار
من يلاقون عـِداهم دائما دون وقاء أو ستار ،
كمنوا بين الشجيرات البديدات الصغار
ثم غالوا ثُلَّة الشرطة ، في شعب « ستر نجيبارك » في
ضوء النهـــار

نيـــد : وفدوا يبغون شراً ، فطوتهم بالردى كف الدمار ،
وستبلى أنت أيضاً بدمار وخسار وعثار .

ســيرن : خلصونا ، أتركوا الفتنة ، ياناس تنام .
قد عرانى من أحاديث (سترنجيبارك) والقتلى السآم .
نظف النمل بقايا الدم فوق العشب والشرطة فــى
الاجداث ناموا .
انسوا ما قد فات ، هل يجديكم هذا الكلام ؟

نيــد : سأنسى عندما « رتشاردز » ينسى ،
وهل ينسى وقد ألــف النزاعــا ؟
فليــس الشمس محــرقة هــواه ،
ولا الأمطار تمحــو له انطباعــا
ولا يأتى عــلى مــاقى نهـــاه ،
دؤوب النمل ما اجتمــع اجتماعا
ولكــن الــرصاصة إن تدو . . .
« تداو . . . رأس من يشكو الصداعا »

جــريبل : أصغ إلى ،
هذى المدينة ، سوف تتركها وقد أثقلت بالنهــب
الضمير وناء حملا ،

لكننى أرجوك لا توقره قتلا ، فوق ماقد صار قبلا ،
دعه وشأنه ، كن لهذا النصح أهلا .

نيــد . : « جريبل » أنت سكران .

جــريبل : ان تشأ تضحك منى فاضحك . . . فلا لوم عليك لا عتــابا ،

فهو خير لك من إضمار قتل النفس لا ترجو متابا .
عندما تضحك في المقصف لا أحسب للشر حسابــا ،
لا أخال القصف من فعلك يطويها جبالا وشعابــا ،
والبكاء الصاخب المشئوم والإعــوال مما قد أصابــا
والدم المهــراق يروى الارض أو يصبغ كفيك خضابا
يا « كيللى » أرجعت لى الساعة فاحترت وما حرت جوابا
فيك خير يرتجى ؟ أم فيك شر ينذر الانسان والارض عــذابــا ؟

نيــد : يدرى بــذا الأمر « رتشاردز » ،

ولــيس في الامــــر خــيرة ،

فإما الحياة وإما الــردى

يمــوت هــو وأحيــا أنــا أو

أمــوت أنــا ويحيــا هــو

يعيش الشرطة الشطار

أو يحيا « مغيرو الغاب » من آلى ،

رتشاردز : وعلى من تراهن ؟

جبريل : في الوطن الأول ، في (انجلترا) ،

حتى الغياض ، والحقول ، والنهر

وكنائس (النورمان) ، واللبلاب أو صلد الحجر ،

في كل هذى ما يشبع الحس بالجمال والنظام .

تلك تقاليد تأتت وتسامت بالعمل ،

بالحب ، والصبر الجميل صافعا وجه الخطر ، . .

(واستراليا) بلد العنف المسيطر الشديد

ترابها بذاته معذب

يجأر غاضبا في وجه ضوء الشمس

سهولها فجاج قد بدت مشققة .

ومثل تلك الارض قد طوت برملها

شر الثعابين التى تصمى الضحايا من خلال الرمل وهى

لا ترى

يتعذب الانسان ، يجأر غاضبا ، ويقتل

فهْمي لهذا الموطن الجديد:
من خلال الحب والعطف الشديد ،
لم يعد فهمي له بأنه ذعر مبيد ،
كذا فهمت آل « كيللي » . . . انه فهم أكيد.

بيرن : يبدو أنك ماعدوت بما فهمت، طقوس أدعية الجنازة والصلاة
وذاك أقصى مايود بأن يكلّف فهمه من مثل شكلك في غباه.

تارلتن : يا « جريبل »،
في الأمر أكثر مما سردت فيما تقدم.
اترك حديدة الركاب برهة، في وهج الشمس أو خزان بندقية،
واقبض عليها تحرق كفك عند لمسها
بهذه الطريقة ، تلهب « استراليا » لبّ الانسان:
تلهبه حرارة تفوق ما يقدر على حمله البشر ،
يارجل ، (استراليا) هي التحدي
بكل مافيه من الضراوة ،

بكل مافيه من المدى الطويل في اتساعه
بكل ما فيه من اللهب ،
يدفع الناس ليهرعوا نحو الحياة كالدواب
تغذّ بالركض إلى منابع المياه :

فبينما يهيب بالناس مهيب : « هيا إلى مناجم الذهب »
يهيب آخر : « هيا إلى ما بعد تلكم القمم » ، وراءها !
وراءها ! شدوا الهمم .

نار الفريق في حنايا الغاب ، فيه الاشتعال ،

يبدأ في الذهن كما يكون بدؤه في قمم الجبال .

نيــد : يكاد ما قيل يكون ، أكثر صدقا بقليل

يأيها الكاهن ! (أستراليا) ، أرض بها يقدر أن يركب خيلا الرجل

بــريت : أو يهوش خيلا الرجل ، تقرنى فيما أقول !

المتســكع : هات لى كوبا من الجعة ياساقي الندامى .

نيــد : هاكم رجلا يعرف شيئاً عن استراليا — لبّ طلبــه يا « كوكس » .

بــيرن : متى كانت آخر مرة شعرت بها بأن (استراليــا) تلهب ذهنك كما تلهب خزان البندقية يا « ليفنج »

ماكـــين : إنه يلتهب الآن ! ..

بـــيرن : كمثل برميل القمامة، يحتدم ببطء ولكن اشتعـــاله مضمون أكيد.

جـــريبل : كم تركض الخيل بكم في ذى البلاد الحارقة

وكلكم صنو « ابوللو » ضاربا ومارقا كالصاعقة ،

يركض خيل الشمس في جو السماء مارقة.

واضيعة افتخار فارس الهيجاء ! واضيعة الرشاقة!

واضيعة الجلال والفحولة!

في ذلك العنف القبيح ، فاقد الاحساس . . .

في . . . شعب « استرنجيبارك» ، بـــل واضيعـــة الرجولة!

فى هذه المقتلة الوحشية،

هذى التى كدنا نراها الآن رأى العين في »جيريليدرى».

بيـــد : ما كنت أنوى قتل « رانكين » كنت مازحا .

(يربت على ظهر « رانكين »).

هات يا « كوكس » له كأساً من » البراند

الســـاقية : وارحمتى ، بالمسكين كله ممزق مهلهل حطام.

جــريبل : أعتقد أنك كنت لابد قاتله .

قتلت من قبل ، ومن بعد لتقتلن ثانيه .

تظن ما تفعله هزلا مجرداً للهزل يفعل ،

وذاك عندما تهبط عصبتك ،

على مدينة ،

كأنها الصرصر هبت فوق مركب الجياد ،

بنا تُدوّم ، دائرة ، دائرة ، لا تنثنى أو تقف .

لكن صرصر الفناء لا تشعر أو تحس ،

تفنى جماع ما بنى الانسان أو تهلك ما زرع ،

ويقف الموت الزؤام وقفة معتدلة

وسط صميم الصرصر الساكن لا يريم .

قبل بدء الهزل ، أو اثناءه ، أو بعده

رجع صدى لطلقات النار من سلاحكم

صدى لقتل النفس والجريمة .

نيــد : تدعو الذى نفعل قتل النفس والجريمة .

تغثى لما تقول نفسى ، يتغشانى الدوار و (القرف).

لست هنا بواقف موقف مجرم متهم أمامك،

أو أمام أى واحد على الثرى من البشر .

بـــيرن : « ليفنج » قد أقام محكمة وحاكمك .

ألفاك يا « كيللى » مجرماً ، وجرمك .

ألم تؤد ذلك الـــواجــب ، يا « ليفنج » ؟

ليفنـــج : لم التحرش بى في كل فرصة تلوح لك ؟

أنا لم أقل شيئاً .

بـــيرن : فيك سيماء الثعبان ، ومصابرته ، وحسن نيته ! !..

جـــريبل : ما تفعلون لا يسمى غير قتل النفس والجريمة ،

ليس له اسم آخر .

كان بامكانك أن تعمل ، ان تركب صهوة الجواد

تتسقط الآثار في مناجم الذهب

تنقب الغابات ، والجبال ، أو ما بعدها الصحراء ،

مكتشفا جزيرة خضراء ،

مفيدة للناس في هذا المحيط اللاهب ،القاحل واليباب.

أن تختار في الارض سبيلا واحداً من ألف واحد

تريح في اتخاذه دمك

من سورة التمزقات والقلق ، تغدقها عليك (أستراليا) ،

من ثورة التمرد المقيت تضفيه عليك (ايرلندا) تراثاً باقياً ،
أو من مرارة الشعور من معتّقات الذكريات
بأن من كان أباك مجرم قضى مشردا عن تربة الوطن ،
من أي شر آخر ، يسلبك الهدوء والمنام .
لكنك اخترت طريق الشر والشقاء ،
طريق قتل النفس والجريمة .

هـــارت : اخرس ، ـ خسئت ـ اقفل فمك .

جـــريبل : « كيللى » ، اليك توسلى ،
ليس إلى صبيتك الأغرار أغبياء الطيش في الشوارع
ليس لهارت أو أخيك
أو « بيرن » ، ذا الشيطان ذى المهازل ،
المائع الهزيل لا يعلم ما المصير
ساعده يحيط بساقية ، ورجله تسعى به على طريق الهاوية .

بـــيرن : صدقت ، يا أخي ، صدقت لست أزعم ،
بأن انني طاهرة ،
تصلحني ، وقد تردني إلى الصراط المستقيم .

تارلـــتن : محتمل تصلحها أنت اذن ، وقد تردها إلى الصراط المستقيم .

بـــيرن : (إلى الساقية) : كيف ترين الأمر ، ياحبيبتى ؟
من يصلح الثانى أأنت أم أنا ؟

الســاقية : لو كنت قائمَ ماعون من حديد لا نسلخ القائم مــن مكانه أسفل الماعون برِما بشدة هذرك وتدفقه .

بــيرن : أنا أتهيب التقرب من قائم ماعون من حديد ،

نيــد : ترى، يا « جربيل » ؟ نحن في وداعة الحمام .

من ذا الذى أرديته أنا ؟ لم أرم الا ثلة ، ثلاثة مــن شرطة لا يحسبون . ذلك لا يعيبنى . فلم يكن في الأمر من محيص : من أن يموتوا أو أموت .

كأننى صدت ثلاثة من أكلب الوحش (بأستراليا) كم صاد مثلى أكلب « الدنجو » ، كثير آخرون .

رتشاردز : لن تفلتن » كيللى » من المأزق من بعــد الوقوع في الشبك .

قل ما تشاء ، لكن بالمرصاد لك :

ثلاثة موتى من الرجال ، سيقفون موقف القصاص والحشر يكذبونك ــ (سكانلون) و (كينيــدى) و (لونرنجان) .

جــربيل : « كيللى » ، لم يعْدُ « رتشاردز » الصواب ، فى قوله.

فأنت فينا ، ها هنا ، تضحك تارة ، تمزح تارة ،
لكن قبل أن تجيء ها هنا ، قتلت انفسا ،
وبعـــد أن تغادر المكان من هنا لتقتلن مرة أخـــرى
وتجرمن .

نيـــد : لا يخف من آل « كيللى » بعض سوء أى انسان على وجه البسيطة
إن تخل عن أذانا . . . وتركتنا وشأننا .
انما الشرطة مازالوا يودون أذانا ، ويسدون علينا السبل في كل مكان .

رتشاردز : لن يكفوا ، سيظلون يسدون عليكم طرقات الشر في كل مكان.

تارلـــتن : أبداً لن يستطيعوا أن يكفوا . . .

دان : ضالة الشرطة بالذات بأن نؤذى وأن نطارد .

نيـــد : لم يخلوا سبيلنا قط من بادىء بدء.
حينما ارصد « فتزباترك ـــ دان »، قاصداً ايذاءه .
فجلونا وجهة الغاب نتخذناه مقاماً.
فلو كف « فتزباترك » كف القذارة.

عن فتياتنا آل « كيللى » ، لما صرح الشر ما بيننا.

رتشاردز : عين الهراء ما تقول والكذب .

دان : بل انه الصدق الصُّراح .

نيــد : « فتزباترك » أراد « كيت » لنفسه
وسجلت فاتحة المشاكل . . . جميعها .

رتشاردز : بل كانت البداية .
عندما جئت إلى هذا الوجود ،
بل، قبل ذاك عندما ، جيء « برد كيللى » أبيك ، المجرم الطريد
من أرض « ايرلندة » إلى هذى الجهات
لقتله مالك مسكنه .

نيــد : ألم تقل، إن رجال الشرطة قناصة الأمن المحنكين :
تربصوا بنــا ، وأرصدوا لنا ، لأن « رد كيللى» العجوز
كان طريداً ، قاتلا ، جيء به من ارض (ايرلندة) إلى هذى الجهات ؟
ولن تقول ، بأنه ما كان للشر أثر

حتى أتانا « فتزباترك »

متوددا لأختى « كيت » ، مبددا للوقت عابثـا ،
متسكعا متعطلا .

ولن تقول ، بأننا في حين أفلتنا أنا و « دان » فـى
الغياض منكم

أسكتّ غضبتك ، يأيها الخنزير ياجبان بأسر أمنا .

أين هى الآن ؟ وما مصيرها ؟ في سجن « ملبورن »
الذى أودعتها غيابته .

صببت جام الغضب الملوث على النساء .

ساء ما فعلت .

رتشاردز : بل قبل ذاك بكثير ، عشر سنين دأبا

قد اتخذت الغاب وجهة ومستقراً ومقاما

صحبة « باور » الطريد

وفي طوال ما حييت من سنين

هشت الخيول والبقر

لم ترع سلطة تنفذ القانون في مصلحة البشر .

نيـد : « هشت الخيول » ما الخيول يا أخا البقر ؟

طردتنى ، شردتنى ، جعلتنى في نظر القانون كالوباء والخطــر

لكننى مازلت أتحداك ، لو كنت القضاء والقدر .

رتشاردز : لم تصر في نظر الشرع طريدا ، لنهبك الخيول

لكن لما جنت يداك ، في قتل ثلاثة من الرجال الخيرين

« سكانلون » و « كينيدى » و « لورنيرجان »

نيســد : اضطررت وصحابى . . . لقتلهم

طاردونا في الغاب . . سلاحهم ضد سلاحنا

لكنهم لم يفلحوا ، اذ كنا نحن السابقين

في ضغطة الزناد .

رتشاردز : خرجوا لاعتقالكم ، لا لقتلكم.

نيســد : وساء فألهم ، لم نعتقل ، أم هل تأتّى لهم اعتقالنا ؟

وذاك ما آل اليه ، انذاركم والوعيد .

كم آخرين غيرنا سارت خطاهم مثل سيرنا .

آل « كلارك » قتلوا الشرطة مثلنا .

كان صنيعهم مثل صنيعنا ،

لينذروا الشرطة كى ، يجتنبوا طريقهم ويبعدوا .

بوسعهم أن يمكثوا داخل « ملبورن » ولا يزعجوا
يحمون تلك الترهات الناعمة ، من ساكني المدن ،
ويتركون الغاب يرعى نفسه بنفسه .

دان : قسماً بالله ان الغاب يقدر على حماية نفسه .

تارلـتن : هيهات أن يقوى اذا . . . كان في الحمام موقعه .

بـريت : كم تخيلت دائماً ، انكم قلدتم آل « كلارك » ،
في تلكم الفعلة في شعب « سترنجيبارك » ،
وليتكم لم تفعلوا مثيل تلك الفعلة الشنعاء .

دان : آل « كلارك » . . . كانوا رجالا مثلنا .

نيـد : لم أقلد آل « كلارك » بما أتوا من صنيعهم .
لكنني اضطررت أن أحذو حذوهم ،
ألقن الشرطة درساً قاسياً يفيدهم .

جـريبل : هذا الذى تقوله من الكلم
وكلما يحفز فيك دافع القتل المصر والعدم
مجردات طاغيات حدها الجنون ، فالقتل دم
كم جثة تثوى بلحد القبر رهناً للعفن
من بعد ما كانت سوية

كانت الجسم الذى تحضنه ، قرينة في هدأة الظلام
بمنتهى عذوبة الغرام .
بل كانت الروح التى في ذاتها تذوب ، تفنى ،
مثلما تفنى مياه الجدول المنساب في بحيرة ،
يلفها صفاؤها ، يضمها هدوءها ، وينطوى الزمن ،
ويدا الزوج المُسَجّى كانتا ، تصارعان العالم الخشن
تنتزعان للعيال لقمة .

نيـــد : لم تصل كفى بريئاً بأذى .

جـــريبل : ألن يحين الوقت أن ترى :
ان رجال الأمن من سميتهم « مصائد » ، نبزتهـــم
ولم تهاود « قناصة الأمن »
ناس من البشر ؟

نيـــد : ليسوا من البشر . أحسبهم « مصائد »
وكل مازال معلقاً بيننا سنهتدى لحله ، نحن وهم على
المـــدى .

رتشاردز : تلك اذن حقيقة تكفى الفطن .
لا تعدم الشرطة حيلة

لقمع « كيللى » والرفاق ، في قابل الزمن .
فنحن ندرى صنفهم .
ويعلمون ما الذى ينتظرون ، عاجلا أو آجلا .

دان : ليس سوى الكمين ، أو أن ترسلوا تجريدة
خمسين شرطيا لكى يقابلوا أربعة
لكن دون ما تؤملون ،
خرط القتاد . . . فحصلونا أولا ! . .

رتشاردز : لعلنا نفعل . .

جـــريل : « رتشاردز » كم تهمزهم ليركبوا رؤوسهم ويستسيغوا الاندفاع .
تنخسهم فليس يلوون على شيء كثيران الصراع
ليس الذى يجرى بثأر قبلى بينكم ، يجوز أن تحسم فيه حدة النزاع ،
أنتم يا شرطة ، أنتم يا مغيرة الادغال
كأنها حرب تخصكم سجال :
فآل « كيللى » فئة انقلبت ضد مواطنيها ،
وانتم ارادة الشعب التى لا تنثنى تلقى تحديها .

حتى وان أصدرت الأمة أمرها اليكم لتتصيدوهم
عقوبة لهم وثأراً منهم .
فالأمر أمرها في آخر وأول
فلستم بذاتكم بطرف في المشكل
بل أنتم الاداة لكن لستم بالفيصل

رتشاردز : بل اننا لطرف ذو ثقل في المشكل ، فهؤلاء قتلوا رفاقنا في العمل

جـريبل : حتى ولو قد فعلوا ما فعلوا بسيء الطوية ،
عليكم أن تلتقوهم بالحنان الجم والروية .

نيـد : حسبك لا تنبس بذى الشفاعة البخراء يارزية
بقـدر ما نالهم من الحنان ، من الذين قبلنـا ــ آل « كلارك »
ننيلهم بكل جو د شفقة
بقدر ما جادوا هم من الحنان ، على الذين قبلنا ــ آل « كلارك »
ننال نحن منهم ــ فتحة حبل المشنقة

جـريبل : تدرون ما مصيركم ، ثم تصرون على ألا يفوتكم بسوئه .

نيـــد : قبل الذى يبغون أن ينفذوا فينا ، لابد أن يمسكونا .

جـــريبل : لم يفتهم آل « كلارك » ، أمسكوهم وشنقوهـــم . وكانت تلك نهاية البادرة اللطيفة لتحدى المجتمـــع كله ، بقتل البسطاء من رجاله الذين كانوا أداة محركة فيه . لماذا لا تقلعون عما أنتم مقارفون يا « كيللى » ؟

بـــيرن : لقد فات الأوان

نيـــد : هل هى محاولة لارهابى ؟

جـــريبل : ليست هذه محاولة لارهابك . . . ، بل هى محاولة منى لأوعز اليك وأدخل في روعك الغر المخدوع شيئا من التعقل وبضعة من الاتزان . هل سنحت لك يا « كيللى » فرصة للاطلاع على ما نطق به « السير ألفرد ستيفن » قبل اصدار الحكم على آل « كلارك » .

نيـــد : لا يهمنى ما نطق به . الحقيقة أن آل « كلارك » كانوا أغبياء ، اذ مكنوا الشرطة من أنفسهم .

جـــريبل : آل « كلارك» تمكن الشرطة منهم ، ثم صاروا بعد رتق فتقا.

و « نيد كيللى » ـ مازال . . .حبلا على الغارب . . . حرا ، طلقا.

و « بايزلى » — قضى معلقاً ومات شنقا ؛ و «ديفير »
— قد فاز بالاعدام حكما حقا ؛

و « جارديز » قد ناله السجن سنين : عشرا وعشرين،
شغلا شاقا ؛

و «جلبرت » — أردته بندقية تدوى طلقا ؛

و « بن هال » — عاهلكم ، يقطعها سبلا ، ويغـــزو
طرقا ، أردته بندقية تدوى طلقا ؛

و « باو » و « فورديس» — نالهما الاعدام حكما
حقا ؛

و « أوميالى » — أردته بندقية و « بيرك » مثل حتفه
تلقى ؛

و « جوردن » و « دن» طالا على المشنق واستدقا
وحرما حركة ونطقا ؛

و « دنلفى » — قـــد لقى الاعدام حكما حقا ؛ و
« لورى » — أردته بندقية تدوى طلقا ؛

و « فين » — قد ادخل السجن سنين يشقى، و «فولى»
— سنى سجن عدة تبقى ؛

و « مورجان » ذلك البهيم الاشقى ، من يغتـــلى
أثرة بسوئه ويبقى ،

في شخص «هارت » دون أن يتقى ، أيضا وفـــى
أخيك حاز السبقا ،

و «بل سكوت » ـ حليف آل « كلارك » ، قاتليه
غيلة وخرقا ؛

وفي الختام . . . آل « كلارك » الحمقى ، كمثلكم
هم إخوة أشقا ،

ما فرقوا ، إذ علقوا جنبا إلى جنب وماتوا شنقا ،

في سجن « دارلنجهرست » : ظاهرة كالذهب المنقى
باطنه فاق المرارة زوقا ،

منذ بنته حجرا كف الجناة المبعدين شرقا ،

نيـــد : قل ما تشاء ! لا أبالى بمن شنق

فلست الا مثبتا ، بأننا على الصواب ،

في خوضنا معركة البقاء ، ضد مصائد الفناء.

جـــريبل : لست على الصواب ! آن الاوان كي يسود الأمـــن
في هذا الوطن .

ما أكثر الشقاء ! ما أكثر الحطة والاذلال والمهانة !
وما أشد الرعب في جو البلاد المشمس الصحو البديع !
وكم تفشى العبث الطائش ، بعده ، القتل عمـــداً
والجناية !

الموت للبرئ ، والموت للجانى على السواء ،

الموت للشرطة يدخلون على الوحوش الضارية ، أغيالها
تحدياً ،

والحزن ، واليأس العميق ، للأمهات الثاكلات
وللأيامى واليتامى ،

وكل هذا علام ؟ على لا شيء ، يا « كيللى » ، على
لا شيء.

ماذا الذى تكسبون ، من كل ما تتجشمون ؟

هل تعيشون عيشة الأمراء؟

بل تعيشون كالضوارى الطريدة.

نيـــد : هل ترانى أبدو كإحدى الطرائد ؟

جـــريبل : يخيم الرعب والإجرام في قلبك .

هـــارت : أف لهذا الكاهن المهذار ، أسكته يا « كيللى » !

بـيرن : صن المواعظ للذين همهم سماعها ؛

أما أنا ، فلابد أن أوفيك عهدا نسيته ، بالامتناع عن المسكرات .

نيـد : دع الكاهن كي يهرف ياصاح بما يعرف .

جـريبل : شظية مشعلة من مستدق الحـطب

قد تحرق الغاب فيغدو مارجاً من لهب .

وهكذا : جرائمكم ستؤدى بكم إلى القتل عمـداً وسفك الدماء ،

فيسود وجه الأرض مما جنيتم . . . ،

ويقودكم سفك الدماء العامد ، إلى الموت شنقا وفاق الجـزاء .

نيـد : لى فرس سباقة تفوق نار الغاب ما سرت مع الرياح ، لن يلحقونى راكباً في الوادى والبطاح .

جـريبل : في كل مرة ، تركب صهـوة الجواد .

في حملة جامحة يـدفعها العنـاد ،

تشارف الشنق المحيق ،

يأيها المسكين ، يا صديق .

نيــد : لعنة الله عليك.

أتظن أني لست أدري ما مصيري كله، يكفي بأني مدرك ما أفعل.

جــريبل : دمك المشبوب نهر ، رهين مجراه إلى النكبة، بل سوء المصير.

نيــد : أعرف عن دمي، أفضل مما تعرف .

دمي أحبه ، فهو دم بوصف (ايرلندي) يشرف.
جيء به بدون أدنى ثمن ، عدة آلاف من الأميال،
عبر بحار بالفناء تقذف.

في مركب الجناة ، في نفيهم عن البلاد يصرف.

وها هنا عتقه ، عبر السنين ، القيد والسوط دمــاء يرعف.

ورفسة الشرطي واللعنة والتنكيل حقدا ينزف.

دمي دم ورثته عن والد وفاوه لا يوصف،

مات وفي قبضته حر السلاح يهتف.

ورثته عن ام حسن لم تنل ، غبراء ربك مثلها مــن توصف،

في سجنها الآن « بملبورن » الدموع تذرف.
وقد يكون في دمى ملح أجاج مقرف.
فى سفرة النفى خلال البحر يغليه هواء صائف
وقد يكون في دمى من عضة القيد حديد في الصلابة مسرف
ومن حياة السجن صخر وحصى لا ترأف
اثغ ثغاء ليس بى ما تبدلن أو تضعف.
تظننى طريدة يؤمل الشرطة باصطيادها أن يحتفوا.
وذات يوم سأصيد و بل آل « كيللى » سيصيدون وآلى أعنف.
أرجو بأن تستطيع صبراً فترى طرائد الشرطة فى مصائدى ترتجف.

تارلتن : ان كان هذا كل ما تؤمل؟ فانني سأنصر الشرطة لا أتردد.

كان « جارديز » شخصا عاقلا، فاستعر واحدة من حيله.

طلق الشر ونم نوم البيات

مثلما تعمل في بعض الفصول ، بضعة من مسبتات الكائنات

انتبذ منزل أمن وسلام ومنام،

في الأعالي في « كوينزلندة » اعتزالا للأنام .

في « كوينزلندة »ـ

رجال الشرطة بل « قناصة الأمن» كما تدعوهم

بديل الشوارب ينمو في وجوههم عشب يعـــيرونه كل اهتمامهم.

دان : قد اقتفوا أثره إلى هناك ، واحتالوا في القبض عليه، ماذا جنى فائدة من اجتنابه لهم؟

نيـــد : نال « جاردينر » عفواً في النهاية.

لماذا لا ينال عفواً آل « كيللى» ؟

رتشاردز : لثلاثة أسباب وجيهة:

« كنيدى » و « سكانلون » و « لونيريجان» .

نيـــد : تباً لعفوهم.

فلو أردت العفو كنت نلته . سوف أذيع القصـــة المستمرة.

ستطيع القصة لكن نشرها لن يعجب الشرطة دون شك،

سوف اشهر بهم . وأستطيع أن أنال العفو من دون عناء،

بوسعهم أن يمنحوني العفو أو أن يمنعوه ، كلا الأمرين في عيني سواء.

كلاهما يرضيني .

لكنني سأطبع الذي أعرفه ، عن قوة الشرطة، عن انصافها،

وكل ذاك كي أُشهر بهم.

ماكين : هل كان ذاك مادعاك بأن ترى «جيل» ؟

نيد : أردته أن ينشر القصة في صحيفته ، قصة آل «كيللي» و «قناصة الأمن» بحذافيرها . ولسوف يؤثر نشرها تأثيرا كبيرا . لنا أنصار كثيرون يدعمون قضيتنا، ولكن نشر القصة سيضيف جمعا كبيرا كاملا إلى عدد أنصارنا . سيعلمون السبب الذي من أجله أودعت أمي في غيابة السجن، وكفى بذلك هدفا . لقد دون «جو» القصة بكاملها.

تارلستن : اذن «بيرن» هو محامي قضيتكم ، أليس هو كذلك ؟ ألا تعتقد بأنه سيكون ميالا للتعصب للقضية بعض الشيء؟

ماكين : يزعم أن «بيرن» هو الذى يدبر الخطط لغاراتكم هذه. يدبجها كتابة مسبقا ، يحلل الغارة بكاملها على الورق قبل البدء بها. فهل هذا سر نجاحكم فى الافلات دائما من الوقوع في المآزق؟

فيد : لا يهم مطلقا أن تعرف كيف ندبر خططنا . ولكن الذى لا مراء فيه أن «جو» يملك عقلا نيرا .

بيرن : أى ، نعم ،

هذا أنا أمامكم ، شخص ذكى المعنى ،

فحل كأكرم الجياد ، اتخذ الغابة وجهة ،

يخطب ود مهرة وحشية ، ما طوعت ظهرا لراكب

تلقب الحرية الحمراء ، يولدها مهارة فحولا ،

بيض العيون تصطفى ركوبة ، لآل «كيلى» الأكرمين .

كان منالى قصبات السبق ممكنا ، أثناء سير العرض في الميدان ،

وبعد كسبي السبق والفخار ، أمضى لرعى العشب في المروج ،

بين مهارة الحظيرة ، مصطكة الركبات ، تلكم الصدفاء ،

من طول ما قد أنست وألفت ، تعجز أن تحيد عن جادة السبيل

لكنى شمست قافزاً ، فوق السياج المزدهر .

فربما أكون ، أبغضت في حلبة السباق ، طابعها الممل اذ تدور دونما انقطاع

وقد أكون ، عفت شكيمة اللجام ، وساءنى المهماز .

وقد سئمت القزم القميء ، لابس الحرير ، لو أستطيع قذفه من فوق صهوتى .

يركضنى مجارياً كوكبة الجياد ، بين الحواجز .

ليفنج : صنعت بنفسك خيرا كثيرا ، ألست محقا في قولى ؟

بيرن : أنا ، على الأقل ، لست (مجبرة) ، تنتحر الذباب اذ تؤم باطنى .

لكن ، حمداً لله خالقا ، ها أنت ماثل ، يامسخ ،
محبرة .
قد كان ممكنا بأن أكون كاتبا موظفا في مصرف ،
وكان ممكنا بأنني قدمت ، أو بين السطور ، جثتى
تصلبت ،
في دفتر الحساب كالتابوت .
وكان ممكنا أن قد قضيت عمرى المديد ،
أجمع أرقاماً ولا أعرف ما جملة ما جمعت .
وكان ممكنا بأنني علقت حول عنقى ، قرينة ومنزلا ،
وعملا ،
وقد غرقت في قرارة الحياة .
والله ، يا « ليفنج » ، ربما قد كنت أنت ذاتك ،
أو حتى ربما ، يمكن أن قد كنت ، بالمثابرة ، على
أشدها ،
« اليوت » تلك الآلة البليدة الصماء ،
أرسخ الدروس بالعصا ، على مؤخرات صبية الكتاب ،
ويعلم الاله وحده ، لغير أجر اليوم أكسبه ، لم فعلت
ما فعلت .

نيــد : لا أدرى ، أأعلن الاجازة للطلاب أم لم يعلنها ؟

دان : لن ينسى « اليوت » ما عاش ، عبثنا به .

بــريت : بل انه لن يتجاوز عن فعلتكم أو يسامحكم ، سحابة حياته .

تارلــتن : كنت مستعدا أن أبذل ورقة بخمسة دنانير — لو لم يحل القحط والافلاس بوجودكم أيها الاشقياء فلم تتركوا لى حتى ورقة واحدة — لمجرد أن أسمعه يبلغ صبيــة المدرسة بأن « نيد كيللى » قد أعلن اليوم اجازة .

بــيرن : اذن ترى يأيها « المحبرة » ، بأننى يمكن أن قد كنت أنت ، أو كنت « اليوت » السخيف

أو ربما كنت « جريبل » — وكنت أستطيع أن أثغو مثله

محييا جماعة الكنيسة — يا اخوتى الأحباب والاعزاء ،
وكنت أستطيع أن أكون واحدا من الكباش ،

أطوف ثاغيا على بيوت التابعين ، ممن أؤمهم عنــد الصلاة ،

أشرب فنجانا من الشاى هنا ، آكل الكعكة هناك ،

وكان بالامكان أن أكون ذلك الكبش الخصى ، أبارك
الاعراس،
أثغو لكل نعجة تجلى إلى خروف.
وكان بالامكان أن أنظ :
(بعاء) !)بعاء) ! تبا لكم يا آل « كيللى » السيئين ،
لكننى ربأت بالنفس ولم أسف.
اخترت أن أغوص في الخطيئة. وذاك خير مايروقنى .
تغمرنى مشعشعة — من حان كوكس — تغنى بهــا
النفس وتقرف،
لا أنثنى مصطحبا للساقيات اللاهيات، ممن عرفن لذة
الحياة ..

السـاقية : اسحب تلميحك.

بـيرن : ما كان قصدى أنت بالذات ، فلا تنزعجى.
قفى هناك ذاك حسبى وكفى!
لأنت كالبدر الكبير الأحمر ،يتوق مدى رانياً منجذباً
بشكلك البديع ،
فقبلينى أو فانى ، أغرق في نفسى وأنتهى.
(يتعانقان).

رتشاردز : يبدو لى أنكم لا توجهون كل اللوم إلى الشرطـــة، أستطيع أن أؤكد ذلك نيابة عنكم.

بـــيرن : ليتك لا تقاطع.

أنا بأعلى طبقات الوجد مدا صاعدا،

وأنت في ذاتى تعكر الفناء في الحبيب ، يا أخطبوط !

يامنتهى سوء العذاب !

اغرب عن وجهى . تحدث إلى « كيللى »،

حجتنا في كل ما يمت للشرطة بسبب.

رتشاردز : لا تضطهد الشرطة أحدا . يخونك التعبيير ، أيها الفتى ، حينما تطلق على ما تزاوله الشرطة أداء للواجب، اسم الاضطهاد . ولن تكون موفقا في أن تسمى ذلك بأى اسم غير العدالة والانصاف، وتتأكد الشرطة من أن كل مخالف للقانون يوقف أمام القضاء ويحاكم .

دان : هل كان قناصة الأمن يترصدون لاقتناص آل « كيللى » في شعب « سترنجيبارك » ، أو لم يكونوا؟

المتسكع : والله كانوا !

رتشاردز : أنا لا أقول بأنهم ما كانوا يبحثون عنكم. ففى مصلحة العدالة ، فعلا ، كانوا يترصدون لكم.

نيـــد : اذهب إلى الجحيم مع عدالتك ؛ فإنها عمياء ، كـــذا يقال ،

وانها عمياء دون شك . عمياء مثل فرس جاحظـــة العينين حولاء النظر .

عمياء كالثور الخصى ، اصابه العته ، ينطح كل ما يصادفه :

كل عمود قائم ، وكل جذع أثر لشجرة ، مرتبكا لا يدرى وجهته ، واواهما ،

وبعدها يخجل ثم ينفر ، من أى شيء تم عن صلابة ، أو أنه حقيقة راهنة اعترضت طريقة في الظلمة الحاوية السوداء ، في عماه .

كأنما حق لكم هدر دمائنا وصيدنا ، لأننا اغتلنـــا ثلاثة من الشرطة :

« كينيدى » و « سكانلون » و « لونيرجان)

ولن تكلفوا نفوسكم ، بأن تعودوا للوراء ، بفكركم ، ستة أشهر ،

لتعلموا بأننا قد كنا مجبرين ، أن نقتل العداة .

كان علينا أن نعد للقتال ما استطاع جهدنا وأن نقاتل الشرط ،

انى ثقفناهم ، بلا هوادة .

لأن ذاك الجرذ اللعين « فتزباترك » ، أصاب معصمه طلق رصاصة

ووجه الملام ، لآل « كيللى » الأبرياء .

شاركنا الجلوس حول نارنا ، وذاق شرابنا ، وقد علفناه طعامنا ،

وظل بابنا ، حسب اعتيادنا ، منفتحاً له مثل انفتاحه ، لذادة الأغنام أو حمالة العياب ، أبناء السبيل .

لم نعتبره غير واحد من أهل دارنا ،

أنا و « دان » والبنات ، كذلك امنا — المرأة التى خطفتموها من هنا ،

من جانب الموقد حيثما اعتادت تعد الشاى «لفتزباترك» لتمسح البلاط والاحجار ، أو تبلى وتندثر ، في سجن « ملبورن » الرهيب .

كم ليلة ، اعتاذ أن يطرقنا الشرطى « فتزباترك » مرتديا بذلة مهنته ،

وكم تسامرنا معه ، أنا و « دان » ، وكم بذلنا الرحب والسعة .

عيناه كانتا تخالسان الفتيات النظرات ، ولم تكن نظرته « لكيت » بريئة طاهرة كنظرة العدالة التى يمثل باردة عمياء .

كم مرة كان يند خاطر أو خاطران ، على لسان « كيت » عن الشرط !

نحن تستعيد لمحة عابرة قصيرة أيام كنا نازلين بيتنا ، غير مشردين :

قد غرنا اللعين « فتزباترك » ، أتى الينا الفأر ذات ليلة محاولا يوقف « دان » يعتقله ، بتهمة قد لفقت باطلة تدور حول سرقات الماشية ؛ تعلة شاء بها التهديد كى يحظى « بكيت » !

الرجل الذى انزل بيننا في بيتنا ، وذاق عيشنا وملحنا ، ذاك « اليهوذا » القذر

ما همه يبيع رفقته ، يهوى على فؤاد أم ، يفرغه ، من محتواه .

لأجل شارة تزين ساعده ، أو أنه يحظى بوصل من
فتاة ، تحتقره .

رتشاردز : ولهذا أطلقتم النار على « فتزباترك » ؟

دان : لم نطلق النار عليه .

نيـد : ماهانت الأمور مثلما تصور الجبان ، يمضي بمن
شاركني الاخوة .

بدون أن أهز ساكنا ، ولم يكن يحمل حتى ما يفوضه ،
بالاعتقال .

وبينما كان النزاع والشجار بيننا محتدمين ، جر مسدسه
وانطلق السلاح خادشا معصمه اللئيم .

رتشاردز : أؤيدك على أن حبكة القصة محكمة ، إلا أنها كاذبة
بقدرما هي هزيلة .

نيـد : لم ، اذن ، حسب تصورك ، لم نرده بطلقة ؟

كان بوسعنا بدونما صعوبة نرديه كالثعبان ، يستأهل
الردى .

لكننا لم نعترض سبيله ،

فلم نرد أن نشنها حربا على الشرط ،

شئنا بأن نعيش مثلما نحن عليه . لذاك لم نقتله .

لم نعترض سبيله ، لكنـــه انبرى معبرا عن الوفـــاء والجميل .

مستصدرا لكل واحد من اهل بيتنا ، تفويض قبض واعتقال .

لم يستثن حتى الوالدة ، لذاك زجت سجنها

أما أنا و « دان » فقد فررنا وجهة الغاب بجلدنا ،

ومن هنا تبدأ قصة الانصاف والعدالة ! . .

رتشاردز : هل أنت طامع بأن أصدقك ؟

تارلـــتن : أتح لهم فرصة يارجل . .

نيـــد : لا يستطيع . . . الشرطى ! . .

حال عناده تظل دائما كما هى .

كنت غلاما يافعاً ، ما جاز عمره أربع عشرة ،

غرر بى لامتطى ، مهر مهرج .

وبينما المفروض أن تكون ، نظرة الانصاف والقانون :

أن صبيا لا يعى حقا وباطلا أكثر مما قد تعى قـــبرة بريئة ،

نطقت المحكمة العادلة الحنون ، بغير ما تصور الواعون :

السجن أشهراً ثلاثة لخارق القانون .

أى صبي يختلى بالعنفوان ، يجن بالخيل وبامتطاء صهوة الحصان ،

يترك فرصة تفوته ما سنحت له بذات مرة من الزمان .
ستضحكون وكفى مما جرى ، لكنهم ما ضحكوا لفعلتى .

لأننى من آل « كيالى » الآثمين سلفاً :

نحن الذين كم تصب فوقنا التهم ، بلا مبرر

فإن يضع حصان ، لأحد الرعاة الموسرين :

فآل « كيللى » أخذوه . . وتنفر المهرة نحو الغاب عندما

تشم ، في الهواء ، من خيل البرارى ريح فحل :
فآل « كيللى » أحرزوها .

بعض العجول عندما تعرض للتفقد تبدو قصيرة ، وقد تتيه بقرة :

فــآل « كيلـــلى » – مغيرو الوسمات فوق البقـــر المسروق – كذاك نوصم

هم سبب للتيه والقصر ، في عالم البقر ، تعجبوا فكل شر نحن صانعوه .

عيوننا شريرة تصيب كل ما ترى بالعين و الحسد .

فإن نر الدجاج ، لا تبض ،

وحيثما سارت بنا الطريق يفسد « الغلال » ، يأكله الدباء والجراد .

رتشاردز : إذن هى – الآن – الجراد ، قاتلة الشرطة في شعب « سترنجيبارك » :

« كينيدى » و « سكانلون » ، و « لونيرجان » .

نيـــد : ما كان قصدنا أن نطلق النار عليهم . البادئون ، كانوا هم .

انقضى « لونيرجان » خلف مكمن وشاء أن يقتلنى بناره .

ونحن ما شئنا سوى إنذارهم .

بـــيرن : هذا هوالصدق الصراح .

فلم نكن نقصد قط ، ان نطلق النار عليهم ، لكننا اضطررنا .

جــريبل : اضطررتم . لسوف تضطرون دائماً . وتحسبون أنكم أحرار
لانكم في الغاب تخلدون للمنام لكن نومكم نهب الكوابيس المؤرقة
شرعتم قانونكم لذاتكم ، بئس القوانين قساوة
الحرية التي يتيحها لكم أقصى صنوف الهزء والسخرية.
فأنتم مكرسون منذورون ، للقتل والجريمة .

رتشاردز : اركبوا خيلكم حيث شئتم ، إلى اقصى مدى وبأقصى سرعة .
حبل العدالة حول اعناقكم .

نيــد : حيثما تذهب يا « رتشاردز » فاجث حيث شئت ، ستحس شيئاً بارداً ، كالصخر ، في القذال في قفاك ، تلك رصاصة . « رتشاردز » تعال إلى سلاسل الجبال واحصل على رداك .

هــارت : لابد من تلقين ذا الكاهن درساً قاسياً ، « يصلحه » .

ماكــين : لن تفعلوا ذلك ، إننا نعارض ! .

بــريت : ماقاله الكاهن معقول وفيه موعظة ، أتركوه وشأنه .

قصده ، يا « كيللى » أن ينذركم — أمعنت تفكيرا بأمركم —

هل تعلمون ما الذى سيهوى بكم .

بـيرن : قشرة موزة .

نيـد : من الذى أوقعنى ذا اليوم ؟ « رتشاردز » أم « رانكين » انظر اليهما ، يأيها الرجل .

بـريت : « جريبل » سوف يوقعكم .

ان لم يكن بنفسه ، فالمبدأ الذى يعتنقه ،

بل الرجال كلهم ممن يؤمنهم ، بكل خوفه من خطر الدغل الرهيب ،

هم الوف من رجال بسطاء ، يخشونكم ويبغضونكم أو أنهم بكل ما في الأمر من بساطة ، لا يـدركون كنهكم ،

أما أنا فأحبكم ، يا آل « كيللى » ، لم يمسنى منكـم أذى ،

لقد تغيرون على حظيرتى ، وتنهبون فرسا أو تسرقون ماشيتى .

وسوف أطلق رصاصة عليكم كمثل إطلاقي لها تجاه
صقر غير قاصد لصيده .

ولن تغيظونى ، ولكن قد تسلونني .

فما حصان واحد أفقده ؟

وما الذى يهمنى مما جرى في « سترنجيبارك » ،

ان كانت الأمور ، قد آلت إلى ما آلت إليه .

فلا محيص أن تحاربوا .

لن تعدموا أنتم والشرطة وسيلة لتصفية الأمور بينكم .

بـــيرن : آمل أننا سنستطيع .

بـــريت : لن يترك الشرطة وحدهم لحمل عبء التصفية :

ان الرجال البسطاء بعدهم ، هم الذين سوف يدفعونهم
بلا انقطاع ،

هم الذين سوف يوقعونكم عند ختام المعركة — من
أمثال « جريبل » وأمثال « ليفنج » .

ليفنـــج بالله خلونى بعيدا لا تزجونى بذا الحديث .

المتســـكع : بل اقطعوا رقبته ! .

بـــريت : لا تعر هذين بالا ـــ ولأنهم لا شك يحسدون ، حرية أنتم بها منعمون ،

ويحسدون ، هذا التبختر الذى تبدونه على ظهـــور الخيل في ركوبكم ،

و « بيرن » محسود على نعمته بالغانيات ،

لسوف يبغضونكم بحسب ما أنتم عليه ، وسوف يهوون بكم من حالق .

وأنتم لن تستطيعوا تركهم وشأنهم . وذاك ما يزيد كل الطين بلة .

وحيثما تمضوا تلاقوهم وتغضبوهم ،

أكنت أنت ، أم يكون « بيرن » ذا اللسان المصلت ، أم يكون « هارت » ؟

ذا الأحذية الضخمة والتمرجل .

أعمالكم تسومهم سوء العذاب ، لأنكم تدرون أنهم يقلونكم ويبغضونكم .

« ليفنج » سوف يبـــذل الجهد لكى يهوى بكم ، توقعوا ذلك من كل « ليفنج » .

فهو مثال الرجل المهادن البسيط ، ألا ترون ؟ وانه على بساطته ، ليس بلامع الذكاء ،

يكفيه أنه تهمه الوظيفة التى بها يكلف ، وانه صاحب دار وعمل ،

وهمه يرعاهما معا ، وليس يبغى فيهما تدخلا .

لكنكم لم تتركوا سبيله ، ارهبتموه ، ذكرتموه .

أن رجالا مثلكم ، وأن رجالا مثله اللدة أعداء .

أدخلتم ، أيديكم في جيبه ، وكم يهم المال مثله ،

قد بذل الحياة من أجل اكتسابه ، وحاشا أن يغفــر ذنبكم .

وتنفرون عائدين وجهة الغاب مقركم ، لكنه يعــود صوب الدار .

وكم يحس أنه غدا في منتهى الحطة والقماءة ، فحاشا أن يغفو ذنبكم ،

لكنه سيحرث البستان ، يقلب أرضه وينتظر ، متى

تهوون وتقبرون .

بــيرن : لكننا لسنا بديدان .

تارلـــتن : تلك هى بعينها المصيبة .

بـــريت : أنا بذاتى ، لا أرى بأنكم قد تسخطوننى ، ولا أرى بأنكم قد تغضبون « تارلتن » ،

فهو امرؤ محنك وواسع الخبرة في الحياة ، لم يتخذ من عمل المصرف الا لعبة.

كذا « جريبل » ذاته لن يحمل الغل أو الحقد عليكم أبداً .

لأنه يعيش فى حلم جميل ، يأتيه نوره

من خلل الكوى الملونة الزجاج ، ومن خلال الأمل المنشود أن آل « كيللى » يهتدون .

لكن « ليفنج » امرؤ ما أن يقاسى الألم ، حتى يظل ذاكراً لأثره .

كذاك « اليوت » ، مسختموه معزة ، في مشرب عام على مرأى من الجميع ،

كذا جعلتموه معزة أمام صبيته ، في المدرسة :

لن ينسى بغضكم طوال عمره . وليس سراً أمـــر « رانكين » :

الرجل المرموق في المدينة ،

جاء كمن يود أن يلقي فيكم خطبة ، محاضرة : هدمتم حياته ،
جعلتم المسكين يجثو راكعاً ، جعلتموه ضحكة للحاضرين .
كيف ترون الرجل الشجاع ، يحس نحوكم
حين تجرونه من غفوته وتحطمون أعصابه على رؤوس الشاهدين ؟

هارت : كيف تحس الآن ، يا « رانكين » ؟

رانكين : دعني وحالي لا تنغص عيشتي .

كوكس : لقد تلقى صدمة أزعجت أعصابه .

نيد : أرح له أعصابه بقدح من (البراندى) آخر .

(يبعد « رانكين » القدح المقدم له بحركة رافضة من يده) .

بريت : دع الرجل — دعوا الأناس البسطاء
فانهم مثل الذئاب لا يروقهم الصيد إلا بالقطيع
يبغون صيدكم وهم جماعة لينشبوا الأسنان في لباتكم ، حناجر الجناة .

هيا اتركوا « ليفنج » واتركوا « رانكين » واتركوا « ايلليوت » ،

حتى « كوكس » اتركوه وحاله ،

فان تكلفوه ، يصب خمراً زائداً عما سلف ، يسمه لكم .

كوكـــس : المستعان الله ! هل أسمهم ؟ حاشاى فعل ذاك .

مقدمهم عليّ كان مقدما سعيداً في يومنا هذا .

أضفوا على هذا المكان مسحة من الحياة الطلقة الممراح .

المتســكع : والله لو الفيت طفلا عاجزا وليدا ، يمتص سدادة قنينة ، لما تراجعت بتاتا ان تسمه .

نيـــد : ياصاحب الحانة ، يا أخى ، املأ الكؤوس ثانية

ثم أدرها ساقيا هذا الندى على حساب آل « كيللى »

المتســكع : مرحى ، مرحى !

نيـــد : (يستخرج من جيبه أوراق نقد) : سأريكم ما الذى ساصنع .

نحـــن على وشك أن ننهى آخر دورة مـــن دورات الكؤوس .

يؤسفنا فراقكم فسنعود إلى صميم الغاب ثانية .
يسرني أن أدفع الحساب ، عن الشراب .
(يسلم « كوكس » النقود) . هاك النقود ، يا أخي .
كي لا تقول إن آل « كيللى » ما عاملوك بالتي هي أحسن .

كوكس : شكراً لك . ما كان ما يدعو إلى دفع النقود ،
وانني متأكد مما أقول .
ومادمت قد أصررت إلا أن تسدد الحساب ،
فانني ليس لدى غير إزجاء الثناء ، على الشهامة والرجولة في خير مثال .

نيد : « كونستابل رتشاردز » ، « جيريليدى » تعود اليك ثانية .
عد إلى زنزانة التوقيف حيث شرطتك ، أخرجهم .
اذهب إلى المصرف واطمئن ، ان لم يسرقه أحد .
وقم بنزهة ان شئت لا تخش مكدرا .
« جيريليدى » تعود اليك ثانية .
« رتشاردز » —

رتشاردز : نعم ؟ . .

نيـــد : تقدر أن تكتب محضرا عما جرى وما اقترفناه هنا :
قل للذين يرأسون عملك ، بأننا عثنا بكم ، ثـلاثة
أيام بطولها .

رتشاردز : سأكتب التقرير دون شك .

نيـــد : لا ريب عندى أن ستكتبه .

بـــيرن : يا « كونستابل رتشاردز »—

رتشاردز : وأنت ماتريد ان تأمر به يا سيد « بيرن » ؟

بـــيرن : اذا رأيت من تشك في ذواتهم ، أوقفهم ، اعتقلهم
مهما تناه حذركم من مغيرة الأدغال ،
لن تصلوا لغورهم .

نيـــد : هيا بنا يا أخ « جو » . لن تدرى في أى حين سوف
تساوره الشكوك فيعتقد ، بأننا مغيرة الأدغال . ! . .

بـــيرن : في هذه الغرفة أشياء أربعة ، أبغض أن أفارقها .
احدها هذه (الروم) البديعة ، والثانى « الكونستابل
رتشاردز » ،
والثالث صديقى العتيق « ليفنج » هذا المحبرة الناطقة ،

أما الأخير وليس الآخر فهو القمر الأحمر ، قمــر الحب ، المتهادى باطلالته هناك من خلف المشرب .

السـاقية : عد لى ثانية حينما تصبح شخصا محترما .

بـيرن : واأسفاه ، لم أعرفك في سن الثانية من عمرى . في ذلك السن كنت طفلا محترما جدا .

نيــد : كدت أترك الكيس المزدهر ورائى ، بما فيه ، ثلاثة آلاف دينار !

هيا بنا ، أيها المهرجون ، والا لعدت لايداع المبلغ في المـصرف .

دان : على بركة الله ، يا « نيد » . بادر يا « ستيف » .

هــارت : على مهلكم سأشرب ما تبقى في قدحى .

بـيرن : إلى اللقاء يا حبيبتى .

بـريت : سأخرج لوداعكم .

نيــد : ابق حيث أنت ، لا يبرح أحد مكانه

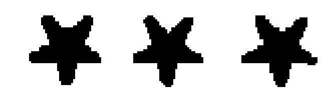
وأنت يا « رتشاردز » اذا دسست انفك خارج باب الحان ، سوف اقتلعه بطلقة واحده لاحتفظ به فــى قنينة .وأنت أيضا يا « ليفنج » ، لا أريد أن أرى متطفلين ، يختلسون النظر ، يراقبون أين نذهب .

ولا أريد من يقلد الأبطال ، يطلق طلقة خلف ظهورنا.
ابقوا كما أنتم وحيث أنتم ، حتى تتأكدوا بأنكم لا
تسمعون أبدا حسا لوقع خيلنا ،
وبعد أن يهدأ ثائر الغبار .
وبعدها فأنتم أحرار تصنعون كل الذى يحلو لكم .
وداعاً ، ياسيد « جريبل » .

جـــريبل : وداعا ، يا « نيد كيللى » .

(يغادر آل « كيللى » المكـــان

ينزل الستار



الفصل الثانى

المنظر الاول

(في كوخ بين سلاسل الجبال ، وفي احدى ليالى شهر يونيه (حزيران) ١٨٨٠ ، وذلك بعد عام وأربعة شهور من الاغادة على بلدة « جيريلديرى » الريفية . الكوخ المهلهل البناء ، والمكون من غرفة واحدة والذى تتخذه العصابة مسكنا تختبئ فيه ، أثاثه في فوضى ، قذر ، منعدم الترتيب . تنتشر الملابس القذرة فى انحائه ، والمواقد في حالة سيئة ، على المائدة أطباق أكل لم تغسل بعد الاستعمال ، البندقيات والمسدسات بادية للعيان هنا وهناك ، وتتدلى ركوة غلى ، كما يتدلى تنور مخيم ، وهما يتأرجحان من سلسلتين مهببتين سوداوين فوق المدفأة المفتوحة المدخلة من ناحية الحائط في اليسار . « ستيف هارت » ، بنفس منكسرة ، ينظف المائدة بعد وجبة المساء . ينقل أطباقا ثلاثة واحداً بعد واحد ، لغسلها بالماء الساخن عند النار ، ثم يجففها ويمسحها ويصفها على المائدة .

ينفتح الباب في ناحية اليمين ويندفع « بيرن » اندفاعة مزعجة ، وعندئذ يسقط منه على القاع عود متين من حضنة الحطب التى دخل بها).

هـــارت : (مذعورا غاضبا) : لينسفك الرصاص القـــاتل المردى

ألا تقدر يا « جو » تدخل الدار ، بلا قصف ولا رعد،

لقد أفزعتنى حتى كأنى وثبت من جلدى .

بـــيرن : بحق (يسوع) أن تهدأ ، أن تبقى فوق الرأس شعراتك

وهيا التقط العود الذى زلزل من ذاتك .

هـــارت : أذعرتنى ذعرا شديدا ، ياصديقى .

بـــيرن : عندما تدهمنا الشرطة فعلا ، لن يظنونا سوى (قناغرا)

كل كياننا غدا تنطّطا ، ما ان يجيئونا لضبطنا ،

حتى نكون قد نفذنا من حنايا الغاب واثبين .

هـــارت : صرنا (قناغرا) ، بلا مراء . لكننا جلودنا قيمتها أكثر من معظم جلدها

ألفا جنيه قيمة لكل جلد مفرد ، (ونحن أربعـــة)

وحق ربنا يجدر صيدنا ،

بالأكلب السوداء ، تعدو خلفنا تقتص اثرنا .

(يجلس عند النار ، كئيبا مهموما)

بـــيرن : (يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو قلق) : وتلك نفس القصة القديمة ، تعيد لى القرف .

فلنفترض أنهم قد أجزلوا المكافأة ، بعد «جيريلديرى»
وبلغت ألفى جنيه ثمنا لكل رأس .
ماذا يهمنا في كل ما يزايدون ؟
فلسنا نساوى الآن في المبيع أكثر مما كان سـعرنـا القديم .

هـارت : بل إن ما نساويه بالجنيه مبلغ كبير .
ثمننا قد صار آلافاً ثمانية.

بـيرن : وقبل أن يقضى علينا قد يكون مبلغا أكبر مما قـد ذكرت.
إن تقع الُجلّى التى ما انفك « نيد» لاهجا بذكرها
سيجمعون أمرهم جميعهم على كفاحنا ، وحين تغدو استراليا ذاهلة ،
فإنهم سوف يزيدون الثمن ، مضاعفا. دعهم عـلى أسوأ فرض أن يضاعفوه
لن يلحقوا بنا من المكروه ما يؤملون ،
لله ما أفضل أن يظل سعر المرء دوما في ازدياد.

هـارت : المبلغ المقرر الآن كبير ، ليس يستهان به.
ما أكثر الذين يحلمون بكسبه.

بـيرن : أهلا بهم يجربون حظهم. عندئذ فآل « كيللى » يبتغون نفقا في الارض يختفون، لن تقدر الشرطة أن تنبشنا من التراب ، ولن تدلهم على مأمننا كلابهم سود الاهاب خطومها فعل الخنازير تدس في الثرى، تتسما لوقع خطونا.

هـارت : (باستخفاف) : غدوت تهذى مثل « نيلد ».

« كل شيء ممكن الا بارضنا » كذا يقول: تلك الكلاب السود اللقيطة لها عيون قد تستطيع أن ترى حيث يكون طائر قد نبش التراب خلف دودة ، لها أنوف قد تشم، حيث تكون نملة قد وطئت أرجلها فوق صفاة ، جلمد من الحجر،

فآل « كيللى » يركبون، متن الهواء بلا مراكب بلا جياد ، ولا يخلفون بعدهم أى أثر.

بـيرن : لا أرتضى بلوغ مثل القول هذا مسمعه،

فقد غدا ، قائدنا ، في هذه الآونة الأخيرة، معرضا لسرعة الغضب.

هـارت : أين تراه قد ذهب؟

بـيرن : يجوس في الغابة باحثا عن النمور.

قناصة الأمن ومقتفى الأثر . . . أو أنه مخاتل « أم
قويق » في تلافيف الشجر ،
أو أنها تخاتله. فاليوم ما انجَسه وما أشر .
لاسيما في موسم التلقيح والسفاد بين أنثى وذكر.
هــارت : التلقيح والسفاد . . . بين أنثى وذكر ؟ ! ..
هذا الشتاء بين قُر ومطر ؟!
بــيرن : اليوم طير ذاهل ، وهكذا أنا.
في هذه الليلة يبلونى ذهول ونى.
فقد أكون في العراء فترة أنعب مثلها ، أختار وحدى
غصنا.
ذاك اذا طَلّق بالى فكرَة وشجنا.
قد تعتريني غبطة توحى بسعد وهناء،
اذا أقمت وأنا ، كالحجر الصابد علىمتن الأشم مذعنا ـ
ألف سنة.
حتى اختلاف الجو لا ألحظه ، أسَيئا أم حسنا.
لو كنت مثل « نيد » واهما،
لكنت في الخارج في الغابة عنده ومثله أبدو مهاجما،

وكنت مثله صوبت بندقيّى إلى . . . لا شيء مطلقا،
أفجوه مداهما،

وآمر اللاشيء أن يرفع ساعديه ، مستسلما،

ولكنى بشر ، لا خشب ولا حجر ،

وعقلى ليس محصورا على التفكير بالشرطة لا تشغله
خاطرة أخرى ،

ففى الدنيا مجالات وأشياء سَمت قدرا .

بعد أن أبعد أميالا خلال الغاب من هذا المكان

والمدى يقصر عن عزمى وعن شوط حصانى

هذه الليلة ألقاها فتاة الحان . . . بل « فاتنة الدنيا
وحسناء الزمان »

وردة في شعرها يا « ستيف » تدعو للقاء الارجوانى
ثغرها أكمل ما سوى للتقبيل بض اقحوانى .

هـــارت : يالك من منفلت طلق سعيد

منطلق أنت إذن ؟ وها هنا أنا وحيد

ما أطول المدة مذ لاقيت انثى ذات حين ، هل يعود ؟
أنا هنا في هذه الحفرة تثقلنى تهاويم القيود ،

ثور هوى في سبخة وحوله الكون يميد ،
ينتظر الغربان أن تهبط كي تنوشه وحتفه أكيد .
اعتدت ان تخرج لا تعبأ بالحدود ،
و « دان » يقضى طيلة النهار هذا اليوم مثلما يريد
و (الغرة) الصغيرة الحسناء كم تأتى هنا للقاء «نيد» ،
أما أنـــا ، متى ، متى تكون لى والحب بعض مـــن وعود ؟

بـــيرن : « دان » في الخارج يا « ستيف » ليستكشف أخبار العدو ، حذرا ،
لا ليستكشف ما زرت عليه متع النسوة أو ما زررا .
ما الذى يدعو لكى تتذمرا ؟
أنت تحظى بالخروج قدرما نخرج حقا كافيا مكررا .

هـــارت : صدقت ، لكن ليس لى خليلـــة صغيرة تحيل صابى كوثرا .

بـــيرن : لسوء الحظ ، لن أقدر أن أدعو ساقيتى التى أهوى ،
تجىء اليك كى تغمر ضراعك والأحزان والبلوى .
ولكن « نيـــد » قد يقرضك (الغرة) إن تسأله للسلوى ،

فقد ضاق بها ذرعا — كما يروى .

هـــارت : اختك الحسناء ترضيني خليلة ، بعدما خلفها «شيريت»
من غير خليل .

بـــيرن : يغلب الحسبان ان تصفيك الود احتفاء بك شهما ولطيفا
بالسيلقة ،
لم لا نخطب منها الود من غير وساطة ؟

هـــارت : حسنا ، يا « جو » فقد أتبع نصحك .
فأنا أحرص على أن أعرف عن « هارون شيريت »
أمورا ،
هي تدريبها ، ولا شك سترضى نقلها عنه إلى .

بـــيرن : إن « شيريت » لا غبار عليه .
ليس من همى أن يختار عن أختى بديلة ،
فهو مازال صفيىّ ورفيقى .

هـــارت : ذاك من أوجه أسبابى لكى أفصح بالحب لأختك .

بـــيرن : ثق فأختى ليس تدرى عنه شيئا ،
إنه أحرص من ان يطلع المرأة سرا .

هـــارت : أنت موهوم ، فقد حدث فى الحان فتاتك

وبذاك السر قد حدثتنا أنت بنفسك

بـــيرن : لم أقل ذلك اطلاقا بتاتا .

إنما قلت بأن قد سمعت أنا لأمر جلل كنا نخطط .

وأنبرى « دان » وشايعته أنت تجزمان :

أن « هارون » الذى أبلغها سر الذى كان يدبر .

هـــارت : ومن أين لها أن تعرف السر سوى منه ؟

وليس لنا صفىّ بين كل الناس لا نكتمه سرا ســوى « هارون » .

« فهارون » بلا شك التلغراف ، جهاز البث والارسال لا غيره .

بـــيرن : في كل أنحاء المدينة يلهجون بذكرنا ، يتساءلون . .

ويعجبون . . . أنى ذهبنا ، وماذا نحن صانعون

وأين مظهر أمرنا في كرة أخرى تراه أن يكون

فاذا تناهى ما أشيع إلى مسامعها ، لم تتقولون

ان الـــذى أفــضى اليهـــا بـــه « هارون »

إن الإشاعة في عموم الناس طبع وحديث ذوشجون .

هـــارت : ولكنه يتعاطى الشراب ، في ذلك الكوخ رث البناء .

بـــيرن : ربـــاه ! واضيقاه !

وذلك الحان مرتاد لكل فتى مثرثر كغراب الشؤم هذار

ماذا يصير اذا ما زل مقولـــه وأهرق السر جما أو بمقـــدار ؟

وما الذى ضرنا من أجل هفوته ان كان زل بـــلا قصد واصرار ؟

هبه أراد افتخارا أو مكابرة بأنه بخفانا عالم دار :

هذا جزاء رخيص عن صنائعه من أجلنا اذ نلاقيه بإعذار

جاسوسنا في رجال الامن مجتهـــد وكم أتانا بأسرار وأخبار

وذى مجازفة تودى بعاتقة — كما ترى — دون تحذير وانذار .

هـــارت : أى أمرئ مشابه « هارون » في استعداده

يفضى بلا تحفظ بسر عصبة كآل « كيللى » الآمنين صحبته

جزاؤه المودع في انتظاره أوفر من إعذاره

عن زلة النفخة والتبجح ، لدى غوانى الحان والساقيات ثمانية آلاف دينار .

بـيرن : شكك والريبة قد فاقا الحدود !

هـارت : بل ما أشدها سذاجتك !

فالفأر لا تدرك كنهه ، الا اذا رأيته ، لحما وعظما ماثلا لناظريك .

بـيرن : إن هارون زميلي وصديقي ،

ذهبنا سواء إلى المدرسة ، وزاملته في العمل ،

ولولا رفض « نيد كيللى » لكان الآن خامسنا ومن أفراد عصبتنا .

هـارت : آلاف ثمانية ، من الدنانير

له خير وأبقى من قرين خارج عن حرمة القانون .

وآمن جانبا أيضاً وأسلمه .

بـيرن : « هارون » ان يخذلني أو يخن ، فلن يبقى فوق الأرض معنى للثقة

وسوف أولى ثقتى كفى وبندقيتى

مفجرا رأسى الذى أوت به سذاجتى ،

وذاك أقصى ما يؤاتى قدرتى

وسوف آتيه بكل نية صادقة وفرحة

ان الحياة قدر لا ترضيه رغبتى .

هـــارت : يا « جو » هل ركبك الجنون ! . .

فما « هارون شيريت » واياك ؟ لأنت أسمى وأكرم .

بـــيرن : « هارون » لى عصفورة السعد التى تزقنى بالأكل في صحراء تيهى هذه .

يحمل لى الخبز يعيد لى أخبار بيتنا وأهله وكل ما فيـــه وحوله .

يعيد لى ذكرى الغلال ، القمح مخضرا مع الربيع ،

ومذهبا في وهج الصيف ودفئه .

وليس « هارون » طريدا من حمى القانون ، آخـــر حلقة تشدنى إلى الحياة .

وفوق كل ما مضى ، لقد ترعرعنا معا في ميعة الصبا المقدسة .

هـــارت : اذن ، أحضر البندقية ،

وأطلق النار على نفسك خير البر عاجله .

ان رفيق ميعة الصبا المقدسة ، خوّانها ، هيهات أن يوثق به .

لِم أراد أن يكون خامساً لنا ؟ حبا لنا ؟ أم أنه يبغــى النقـــود !

لِم يحوم حولنا ؟ من أجل ما نلقى له من الفتات.

تبا لمن أزعجتنا به رفيق ميعة الصبا المقدسة ، تبا لك ،

المال ما يسعى اليه دون شك أو مراء .

واعجبي من سخف الطريقة التى تشدك به .

بـــيرن : يسعى لسانك في فمك ، كحية تنساب في جحرها .

هـــارت : أواه ، يا « جو » لا تـُشطن بك الظنون .

فليس قصدى كالذى خيل وهمك المأفون .

بـــيرن : القصد ما أردته بـــلا مـــداورة ، تقصد أننى سوف أخونكم .

أنا أخون « نيد » ، والله يا « هارت » لتستحقن الرمى بالرصاص .

هـــارت : (بفتور وتبرم) : قد قلت اننى لم أقصد الذى خيل وهمك .

وأنت تحكى لى كلام الرمى بالرصاص ،

قد تندم . كلانا يستطيع الرمى بالرصاص .

بــيرن : (ضجرا ملولا) : « ستيف » ، إنى آسف ، فمعذرة.

لقد بدا لى صدق قصدك الحسن .

لكنها طريقتك ، تجرى على علاتها . ولن يفيــدنا النزاع .

لقد سئمنا ديدن النزاع ، والشجار ، والمناقرة ـ كأن ذاك كل همنا .

وكل ما نزاول ، بل ما فعلنا كلنا ـ منذ نهبنا البنك في « جيريلديرى » ،

بل كل ما يبقى لنا لنفعله ، معتكفين بين هذه الجبال ، في سجننا مع ذواتنا ، منعزلين .

لقد سئمت هذه الرتابة المخيمة ، لقد سئمت منطــق المناقرة .

كما سئمت هذه العشة والجبال .

وقد سئمت كل هذا المعرض اللعين . رباه ، ماأخوى الحياة ،

فارغة ، قاحلة ، صخرية ، كل حياتنا .

فنحن أربع من الشجر ، ذاوية يلفها الغروب .

هذا المساء بعد شرب « الشاى » بينما كنت تنظف الصحون ،
صعدت في متن الجبل ، جلست فوق صخرة المطل مشرقاً أراقب ،
أدخن الغليون ،
وكان » نيد » قد مضى يجوس في شعب الجبل ،
سلاحه في كفه يبحث عن لا شيء —
والله لن يقدر خصمنا يلقى لنا هنا أثر —
لكن « نيد » قد تعدى غاية القلق ، في فترة الترقب الشديد هذه ،
بل فترة الالحاح والايذان أن يحل الخطر البعيد ،
وقد بدا يسترق الخطو ويدنو حذراً ،
كهدأة الصمت التى تخيم قبل تصبب المطر ،
وهل يظل « نيد » جالسا منتظرا وهادئا ؟
وأنت تدرى كيف صار « نيد » مرهف الاحساس في الآونة الاخيرة .
جلست في المطل ، أدخن الغليون ،

ويعلم الاله وحده ، مقدار وحدتي هناك .

تمتد حولي في القريب والبعيـــد ، على مدى أميال ،
وحشة الفراغ ،

وحيثما صوبت ناظرى تمثل لى موحشة شجرة اللبان ،
تغشى المتون واحدا فواحدا ، أمواج تلك الشجر التى
تغرقنا ،

فشجر اللبان من أمام ، وشجر اللبان في الخلف وراء
ظهرك ،

تمتـــد حتى الشرق في المدى ، وتتلاشى شعلة مـــع
المغيب ،

فلا نرى بيتا ولا اشتعال نار عندما يخيم الليل البهيم ،
واشوقنا إلى خوار البقرات ، في المستراض بجـــوار
البيت سائمة ،

واشوقنا إلى نباح الكلب والعواء :

على مدى الاميال تمتد الشجر ، وعندما يغادر النور
غصونها

كأنما الشتاء يخلف الخريف ، وعندما ينسدل الضباب
ويطمس الوديان لا يبقى لشكل أثرا ،

سوى المتون السود تلك الضخمة المنعزلة المستوحشة ،
وهذه الغصون فوق رأسي المثقل بالشجون ،
ليس بها وريقة تخف أو تهز ساكنا ، تطل فوقي في سوادها المقيت .

الارض هذى موطن لشجر اللبان ، وطنها من قبل أن نأتى هنا .

وسوف تبقى موطنا لها من بعد أن نزول من هنا .

كانت ومازالت لها المنبت منذ سالف القرون ،

كم تنشب الجذور في الصخور ، وتلبس المتون مسحة مجللة ،

وتحفظ الميعة منعا للجفاف واليباب ،

وتلتوى الاصابع الخضراء تمسك الحياة ثانية ،

عندما تلهبها النار وتكتسى السواد ،

وتستمر في النمو — لا تموت ،

والآن ، بينما ، نُعْوِلُ أنت وأنا في ظلها ، تظل تنمو دونما انقطاع ،

كم عادنى التأمل العميق ، في أمرنا ،

أربعة من الرجال وحدهم ،
في كل هذه الأميال من اشجار هذى الغابة المنشرة ،
والبندقيات لنا منتظرة ، في أى يوم نجترئ ، أن نخرق النطاق .

هـــارت : عرضك للأمور ، بهذه الطريقة اليائسة الحزينة ،
يبدو كأنما تظن أننا لم نحظ مطلقا ببارح الفرص ،
وشارد الحظ السعيد ، كمثل حظ « بكلى » . . .

بـــيرن : حسنا ، اذن ، صدرى أنا منقبض . . .
وهذه الليلة انني اضيق بالغاب على أية حال
أشعر أننا في الغاب مسجونون .
لكن في غد أغير الرأى وأقلب البغضاء حبا وحنانا .

هـــارت : يا « جو » ، أنت شريك غريب اطوار .
لست بصالح للعيش في الغاب .
ولست مدركا لم انضممت الينا .

بـــيرن : إننى في التيه مثلك لست أدرى .
لكننى أظن أننى لم أنضمم اليكم بلا سبب .
من أجل « نيد كيللى » التحقت بكم . . .

هــارت : أنا أيضا ، من أجل « نيد كيللى » التحقت بالعصابة
لو لم يكن من أجله . —

بــيرن : لو لم يكن من أجل « نيد » لكنت أنت والدا لعشرة ،
أما أنا فربما كنت ، مطران « ملبورن » . ولات حين
مندم . . .

لاننا اخترنا الذى صرنا اليه ، وحدنا ، بمحض مـا
نريد .

وليس « نيد » بالملوم .

هــارت : (مصعدا كضمة نفسه لكى يعبر عن فيضه) :

ماذا ترى عما جرى في المعبر المشئوم في «سترنجيبارك» ؟
هل نحن — أنت وأنا — مقترفا الفعلة تلك ؟

من الملوم ، عما جرى في ذلك المكان ؟

من الذى أردى بطلقات الرصاص ، الشرطة الثلاثة :

« كينيدى » و « سكانون » و « لورنجان » ؟

بــيرن : اسمع في صوتك رجعا من صدى « رتشاردز » ،
أحس قلبه المثقل بالهموم ، ينبض في جنبك ،

كأننا مازلنا في « جيريلديرى » ،

وصوته مازال يدوى مثلما يخور ، ثور خصى :

« كينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » .

هـــارت : « رتشاردز » في الحاحه كان محقا ومصيبا ،

« بكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان »

قد صحت الفتنة من منامها ،

فقتلهم أدى لأن نصبح كلنا ، من طرداء الـــشرع والقانون ،

« فكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » — لا البنوك . —

الحافز الذى يدفع بالشرطة في أعقابنا

يصحبهم قطيعهم من الكلاب سود الاهاب

« فكينيدى » و « سكانلون » و « لورنجان » — ومعهم « نيد » الذى قتلهم —

هم الذين في الختام

سيدفعوننا في المسلك المحتوم .

بـــيرن : لكن لا تقدر أن تلوم « نيد » .

وربما صح أن يكون ، « نيد » العلوم . لكن لات
حين لوم .

هـــارت : (باندفاع عاطفى) : لكن من يلام غير « نيد » ؟
هل أنت من قتلهم ؟

بل هل يوجه الملام لى ؟ وأنت تدرى جيدا بـــدون
لبس أو غموض

بأنه قال لنا إننا لسنا بحاجة لقتلهم ، بل ننزل الروع
بهم .

وعندما جئنا الخباء ، كان فيه اثناهما ،

« لورنجان » و « ماكنتيار » ـ والسافل الذى أفلت
من قبضتنا ـ

وعندما يلمس « لورنجان » مسدسه ، ليس لغير ان
يريح كفه عليه ،

يغدو الذى أتاه من تحرُكٍ مبرراً « لنيد » :

يرديه مقتولا ، كما نوى قتل البقية جميعهم بدورهم :
ويدخل الخباء « كينيدى » و « سكانلون »
معتقدين أننا لم نبلغ الحد ولم نَعْدُ المجون

بـــيرن : (مهموماً) : بالله لا تحك عن الذى جرى .

لا تنبش الذى ثوى تحت الثرى .

هـــارت : ما الذى يمنع أن نبدى بل نعيد ما جرى ؟

فهل قتلت أنت « سكانلون » لما انقض يبغى الشجرة ؟
أما أنا من أجل « سكانلون » فلن أشنق أو اجرجرا .

وهذا أيضا دمه اراقه « نيد » وأهدرا .

من الذى أطلق ناره على « ماكتتيار » لما خطـــف الحصان

وفرلا يلوى على شىء أشد من جماح الخيل والحران
هل كان أى اثنينا ، يا « جو » ، أم كان مطلـــق الرصاص « نيد » و « دان » .

بـــيرن : لم تطلق الرصاص أنت ؟
لقد بدا لى أنك اشتركت .

هـــارت : حتى إذا اشتركت ، ما اصبته وما قتلته .

لم أدر من هول الدماء والصراخ حينذاك ما فعلته .

قد طاش حلمى والصواب وأنت مثلى . . .

وعندما أصاب « نيد » « كينيدى »

ووقع الجريح أرضاً سابحاً في دمه المراق ،

يجأر مستغيثا ، وضارعاً مسترحما ،

رميته أنت رصاصا ، وأنا جاريت فعلتك ،

خلفه رصاصنا على الثرى ممزقا :

لكننا أنا وأنت ، لم نقصد الذى وقع ،أو ننْوه . . ؟

بيرن : « ستيف » لا تعد ذكرى الذى وقع ،

حاولت جاهدا نسيان كل ما جنت يدى . . .

لكنها وصمة قابيل التى لا تنمحى ،

موسومة بالنار في ذهني وما زال أوارها يمضنى ،

ندبتها ما برحت في العقل موقدة .

بالله حدثنى حديثا آخر غير حديثها .

هارت : لا أستطيع أن أكتم الذى اريد قوله عن « كينيدى » ومصرعه .

كان على الثرى يحتضر في نزعه الأخير ،

وعند ذاك ، أصليته أنت رصاصا من مسدسك

وهكذا أنا فعلت مثلما فعلت أنت .

فما الذى دعا إلى إطلاقنا الرصاص ؟ . لأن « نيد » أمرنا أن نطلق الرصاص .

كنا مسيرين ، للاشتراك في إراقة الدم ، جماعة قبلتنا موحدة .
لكي يضيع دمه ما بيننا ونحمل الجرم معا على السواء
والآن نحن في صميم الجرم مغموسون — حتى رقابنا .
ويقع الاثم علينا وجريرة اغتيال « كينيدى »
نيابة عن « نيد » بل من أجله . . .

بيرن : كلنا شركاء فيما حصل .

هارت : جميعنا ننوء بالجرم معا ، نعم جميعنا معا في وهدة الجحيم ،
وكل ذاك ، سببه « كيللى » لنا .
فقد يكون اضطر أن يلجأ للرصاص ، يطلقه عليهم —
فلست ملقيا بالا إلى الشرطة أو مصيرهم ، وليكن الجحيم
قد حفروا لحتفهم بظلفهم —
لكنني يقض مضجعي أن يقع اللوم علي وعليك ،
وأخوا « كيللى » هما اللذان قارفا الآثام دوننا .

بيرن : أنا نفسي الآن لا يهمني كثيرا أمر الذين أرديناهم برصاصنا . فلقد ماتوا وأسدل الستار على حياتهم .

وهم أحسن حظا — في نظرى — من ذلك الشـقى
« ماكنتيار » الذى أفلت من يدنا ليقع في سوء المصير .
إننى أفضل لو كنت « كينيدى » ينزف دمه عـلى
الثرى مما لو كنت « ماكنتيار » قابعا منزويا في مأوى
حيوان « الومبت » خائفا يترقب إيقاعنا به .

هـارت : مصدر اختفائه هذا ، اذا صدقت الرواية ، نبذة كتبها
والمح بها إلى ما حصل .

بـيرن : يروى بأنه قال : « دهمنا « نيد كيللى » والآخرون
اليوم ونحن متخففون من سلاحنا عزل . وقد اردى
« لورنجان » و « سكانلون » رميا بالرصاص . أما
أنا فاننى مازلت مختفيا في مأوى حيوان « الومبت »
حتى يجن الظلام . وأضرع إلى الله أن يكلأنى بعنايته
ورحمته » .

هـارت : أؤكد لك أن يده كانت ترتعش أثناء كتابة تلـك
الملحوظة .

بـيرن : ولِم لا ؟

فشدة الخوف طغت على بصيرته ،

لم يحتمل وطأتها ، فكتب الذى كتب

مخففاً من همه الثقيل .

رباه ، لابد أن يكون بعضه لنا مجاوزا كل الحدود

هـــارت : لكنه خصص في ملحوظته ، من الملوم ، كان منصفا .
وقال « نيد كيللى » الذى دهمنا .

بـــيرن : « ستيف » مهلا . . .

قال في ملحوظته : « دهمنا « كيللى » وآخرون »
لا آخرين غيرنا ، وغير « دان » .

ولم يحد أيضا عن الصواب ، فيما أتى به .

فاللوم واقع على الرؤوس الأربعة .

ليس على « كيللى » بمفرده ، وإن يكن « كيللى »
الذى قاد هجومنا .

فنحن كنا عارفين سلفا ما فعلته عصبة « الكلاركس ».

وقبل ذاك ، كم دار فيما بيننا النقاش عن فعالهم .

وكنا ندرى أننا سوف نهاجم الشرطة ، كعلمهم بما
أرادوا يفعلون ،

وكان عزمنا ننقضّ فجأة عليهم، وكنا ندرى أنهـــم
سوف يقاومون ،

وكنا ندرى — حسب ظنى — أننا نعمد أن نقتلهم .
وحملنا سلاحنا ، كان لعلمنا بأننا لابـد أن نلجـأ
لاستعماله . . .

فأمرنا غدا : « لابد مما ليس منه بد »

إما سكوت مطلق إلى الأبد ، أو أننا ننطق بالرصاص ،
وقد نطقنا بالرصاص . لكننى أظن أننا لم نعد أن نكون
أغبياء ، أغبياء ، أغبياء . . .

ولات حين مندم ولا رجوع القهقرى .

هـــارت : حسب اعتقادى ، ليس ما تقوله ضربة لا زب .

بـــيرن : ماذا تريد أن تقول ؟ هيهات لا حيلة في اليد .

ان الممر طافح يغمره سيل الدماء ، ولست أنت وأنا
بقادرين على أن نوقف النزيف .

دعنى أرح للقاء الساقية ، حبيبى .

هـــارت : أصغ إلى ، « جو » ،

البث دقيقة ، لابد ان تصغى إلى ،

بالله لا تمض ، ولكن اصخ السمع دقيقة إلىّ .

بـــيرن : (متعجلا ، وهو يستعد للمبارحة) :

هيا إذن ، ماذا تريد أن تقول ؟

كلّ آذان إليك مصغية .

هـــارت : صبرك . . . لا تكن مستعجلا .

المرء لا يقدر أحيانا يحدثك .

بـــيرن : خيرا إذن ، فما الذى تريد أن تقول ؟

هـــارت : ما شئت غير أن أحدثك .

بـــيرن : ان الحديث دائما لم ينقطع ما بيننا .

وتارة أملّ ، من كثرته ، لو أن ربى خصنى بنعمة الصمم .

فما القضية إذن ، بعزة الجحيم !

هـــارت : كل الذى يهمنا يدخل في القضية التى نرزح تحت عبئها .

وأنت تدرى كيف تجرى عندنا الامور ، وأنت تدرى أنها سيئة وشر ،

بل أنت تدرى كم تضيق حولنا في كل حين ، انشوطة الشرطة ،

يدنون نحونا بلا انقطاع .

ثلاث مرات يكاد حظهم ، يوقعنا في يدهم ،
وقد قبعنا حيث نحن منزوين ،
تصلهم أخبارنا ، لأن واحدا يكشف سرها لهم ،
ونحن في هذى الجبال نختفى ، بل إننا منتظرون نرتجف

بيرن : أدرى بهذا كله . فما الذى تظن أننا نقدر على فعله ؟

هارت : يا « جو » أنت وأنا رفقتنا لا تنفصم ،
الست صادقا فيما أقول ؟ بلى فنحن رفقة مؤكدة .

بيرن : لا شك في رفقتنا . ونحن في ذا الهم مغمورون دفعة واحدة .
وقط لم أقصد مطلقا بأن أكدرك .

هارت : إن الذى تقوله حق فنحن رفقة .
في الهم دفعة واحدة ، إذن فلا بد أن نكون رفقة وفية . . .
فلا أنا من أخوى « كيللى » ولا أنت كذا .
فالأمر واضح دقيق
أنا وأنت من جهة ، و«نيد» و « دان » من جهة .

شخصان « كيلليان » ، واثنان آخران

بيرن : ما قصدك ؟

هارت : قصدى لا شيء ، ولكنى أردت أن أضع الامور في النصاب .

« نيد » و « دان » عروة لا تنفصم ، يمتطيان صهوتينا لا يباليان ،

على يديهما تم اغتيال فتية الشرطة في « سترنجيبارك » في الممر .

ونحن — أنت وأنا — ننوء بالجرم الذى اقترفه « نيد » و « دان » .

نحن اللذان سخرانا كادحين ، لينعما بجهدنا الجهيد ، واستأثرا بالخير كله من دوننا .

وعندما تجثو مدينة تحت سلاحنا ، ونكسب الخيرات

من العظيم بيننا وصاحب الآيات المعجزات ؟ لا شك أنه « نيد » بلا نظير . كم ينثر النقود حوله ، كأنها نقوده وحده ، ليست نقودنا وحقنا ، مشاركة — وكم يهيب بالشراب ، يغدقه على ندامى « البار » من علية

الرواد فيه ، ونحن نبدو كصغار القمل صئبانا حرمنا نعمة الكلام .

بل إننا كلاب « نيد » الحارسة

بـــيرن : لابد أن يكون ، لكل عصبة زعيم .

هـــارت : بل إن « نيد » يجنى ثمار ذهنك المدبر الخلاق .

بـــيرن : بقدر ما يكثر « نيد » مما يفيد من بنات فكرى ، يقل في ذاكرة الشرطة ما يصيبهم من خطرى .

هـــارت : لنفترض يا « جو » أن قد حل مكروه « بنيد » ، فما العمل ؟

بـــيرن : ستغرق الفلك بنا ، جميعنا .

هـــارت : لكنك العقل الذى به تدار دفة السفينة

ويستفيد الركب من افكاره الرصينة

بـــيرن : لا تنس أن « نيد » قلب الطاقم النابض بالحياة

ما إن نجده ضاحكا حتى يكاد ضحكنا جميعنا

يزلزل الجنوب ، يقصف الضلوع في أجسامنا ،

وإن يقطب الجبين ، نهب للروع أسودا عابسين

حتى لنسلخ اللحاء جلفا ونُعَرّى شجر اللبان هاتكين
سترها .
يكفيه أن يأمرنا بأن نغير —

هـــارت : حينذاك تفعل المعتاد .
تصادم الشرطة من أجل عيون « نيد » ،
من أجله نحارب ، من أجله نسقط في معارك الفداء ،
من أجله نطيح في الطريق للفناء، من أجله نَرِمٌ بـــل
نسعى إلى العفاء
لنفترض أن مكروها يحل بالفتى ؟
فقد يكون الخير في ذاك لنا .

بـــيرن : لا يجروءُ المكروه أن يدنو من أمثال « نيد » :
من رجال القدر المنتصرين دائما .
يقول « نيد » إنه ينوى أن يلبس درعا حينما
يكيد للشرطة في إغارة قادمة كيدا محتما ،
لكنه ليس بحاجة للدرع ، إن حظه يكفيه درعا مـــن
عراه محكما

هـــارت : مسألة فيها نظر ، لكن « ليس تسلم الجرة كل مرة »
وليس في الرهان عما قلت ما يطمئن المراهنين .

بيرن : هو في كثرة ما يبقى يجوس في العراء
في العالم المكشوف حيث الحظ سيء ، والحدثان ممكن . . .
كالصخرة الصلدة ، بل كالشجرة ،
أو أنه تمثال شخص ماثل للأعين .
ولن يصيبه الا الذى كتب له ،
وذاك حينما تقضى مهمته ، وتنقضى من أجلها حياته ،

هارت : ما « نيد » الا مثلنا — مثلك أنت وأنا :
فقد يكون أى شيء سببا لأن تزل فرسه
وقد يخر من على صهوتها ، يلقى بذاك قدره ،
وقد تقيم الشرطة الكمين ،
وربما في ليلة من الليالى ، حينما يجوس في الغابة وحده .
يطلق مجهول مقذوفا ثم لا نكشف من كان الذى قد أطلق القذيفة .

بيرن : (متوعدا برزانة) :
لكننى مستبعد ، « ياستيف » ان تحث شيئا مثل هذا أن يصير ،

أم أنت مزمع ، مبيت له ؟

هـــارت : هل أنت دار بالذى يقدر « نيد » فعله ؟

في ليلة من الليال . بينا يكون في سراه ، في مثل ما هو عليه ،

قد يتوارى ويغيب ،

يهجرنا حين نكون في أمس الحاجة ، إلى بقائه .

بـــيرن : رأسك حوض طافح بالسمك الملون الجذاب

يعجُّ أفكارا تشع كلها لطافة تسفر كى تعانق الهواء .

هـــارت : والله ان « نيد » يحيا لأجل نفسه كُلّيةً . . .

وفي الختام ، يخذلنا ، ولا يفى لنا .

بـــيرن : أغثيت نفسى ، أنت لا تطاق .

هـــارت : لعنت ياهذا . . . أنت عارف بأنه مجنون

بـــيرن : بل هو عاقل مثلى وما به جنون .

هـــارت : بل إنه مجنون ، وسوف يؤدى بالجميع للجنون .

ونحن في قرارة الخندق قابعون ، والشرطة العطاش للدماء حولنا يَطوّفُونْ

وأكلب الأثر ، تشم ريحنا وتقتفى لاهثة آثار خطونا

وليس نأمن الذى يخوننا ، « شيريت » أو آخر غيره ،
وقد يكون « دان » ، لكى يصون جلـــده ويأمـــن
العقاب

ينبىء عنا فرقة « الشرطة » — وما الذى يفعله « نيد »
إذن ؟

في حين لايقدر أن يفعل شيئاً ، غير أن يغادر المكان ،
ويقصد الشمال راضخاً مساويا سطح الثرى

بل إنه يكفيه أن يترك ذا المكان ، مقتنعاً بغيره بـــلا
اختيار ،

وكل همه أن يستأنف القتال . لن نستطيع أن نناوئ
القارة (استراليا) بأسرها ،

وفي ولايتى « فكتوريا » و « جنوب ويلز الجديـــدة »
الشرطة الركاب يبرزون ،

وأكلب الأثر سود الاهاب أنزلت جميعها تلهث بعد
دمنا من الأعالى في « كوينزلند »

أين المفر ؟ سدت الطريق في وجوهنا ؟

و«نيد» يبغى أن ينجز الامر الجليل المرتجى،يشهر نفسه
يروم شهرة في مثل هذى الفترة التى نعيشها

بـــيرن : (معبرا عن يأسه) : إذن ، فكيف تنتهى كل الأمور؟
كيف تكون الخاتمة ؟ ونحن نحيا كالوحوش ،
أسنان كل واحد منا تعض وتنوش كل أعناق الرفاق
الآخرين .

هـــارت : لا تبتئس يا « جو » .
ما قلت الا يالها من ورطة بها نقع ، جميعنا
لو حل مكروه « بنيد » . يا « جو » أنت تعرفه
لسوف يصغى لك إن تنصحه لكن ليس لى ،
أخبره أنه مجنون ، أخبره أننا لا بد أن ننفضّ ، والزمام
ما زال مرخى ثنثْيه بيدنا .

بـــيرن : ليكن ، مجنونا ، لكننا جميعنا في سورة الجنون مثله .
لم ابتدأنا السير في هذا الطريق ؟ فعندما ترتبك الأمور
أعيش تحت وطأة الكابوس ، ينهار كل العالم الصلب
أمام ناظرى
كفى ، أصابعى ، وهيكل الكرسى ذا ، والطاولة ،
وكوخنا هذا ، فليس أى شئ واقعا ولا حقيقة المسها ،
وكل شئ يستحيل شبحا ، ظلا بلا كيان
ومجمع الظلال مملوء مُدى ، خناجراً .

أريد امرأة ، أحتاجها .

ومن يضم امرأة كمن يضم عالم الدنيا ، ينزعه من وهدة الجحيم .

هـارت : (يسمع « نيد » قادما) : ها هو ذا الحين قادم . . . أخبره أننا نجزم أنه مجنون .

فالاختفاء ها هنا أو المحاربة ، كلاهما أخطر مايكون:

لا بد أن ننفضّ . قل له هذا الذى أقول .

بـيرن : بل أنت قل له بنفسك .

(يدخل « نيد » حاملا بندقية) .

هـارت : هل كل شئ هادى ، يا « نيد » ؟

نيـد : الليلة الصقيع في الخارج قارس شديد

(يقصد المدفأة ليحمى كفيه)

والله هذى نعمة وان تكن ليست بذات شأن ،

وإنه خير بأن يعيش المرء تحت سقفه ويلقى ناراً تدفئه ،

وليس ذا خيراً عميما ، ربما ، لكنما « البسم » تدارى عيشها

بما يقل عنه بالكثير .

وقد صنعنا ما يريحنا هنا على الكفاف ، رغم الذين يضمرون .
شرا بنا قناصة الأمن القساة .
ونستطيع المكث ها هنا ، في دعة ، وآمنين ، عدة من السنين .

هــارت : نمكث ها هنا رهن الركود والعفن .

نيــد : هل أنت يا « ستيف » تميل للعفن ؟
خيل لى بأنني شممت عرفاً فاسدا عطن .

بــيرن : ان الذى شممته ليس سوى العرف النتن
من جوربيــه
ليس ذا مستغرباً ، فقلبه بطبعه ، في نعليه مرتهن .

نيــد : اخرج إذن وسر ، وانفض من داخل نعليك قلبك النتن
ان كنت شاعراً كمثلنا بأنه لا بد ينفضن .
لكم تهيم اذ تجول سارحاً بلا شجن .
ويالها من ليلة جميلة ، مقمرة وهادئة .
فمن مسافة على مدى عدة أميال بعيدة تقدران تسمع صوتا مبعداً ،

لقد سمعت « دان » آتيا ، في الدرك الاسفل في العقيق
كان نائياً ،
وعثرت فرسه فصاح زاعقا ، وقد يكون في سراه ثملا

هـــارت : هل الذى سمعته « دان » مؤكداً ؟

نيـــد : على العموم ، ما كان من سمعته « الملكة فكتورية) .

بـــيرن : إذن ، فهذا الحديث قد ذكرني ، أنا خارج .
تسمح لى ، يا « نيد » ؟

نيـــد : هل أنت يا « جو » ذاهب الى الفتاة الساقية ، ثانية .

بـــيرن : الحلوة اليانعة . الخمرة المعتقة ، في الدن قرناً كاملاً .

نيـــد : إذن خذ « ستيف » معك . فرِقة الهواء قد تنعشه وتنفعه

بـــيرن : كذاك قد تنعشه وتنفعه ، ساقية ناضرة . . .

هـــارت : لست على استعداد ، فالطقس لعين قارس ، أشد مما
أحتمل .

نيـــد : سوف يكون الطقس طلقاً دافئاً ، في حين ننفض ونثوى
في « كوينزلند » ، ألن يكون الجو يا « ستيف » لنا
ملائماً ؟

هـــارت : ما قلت ما تلمزنى به .

نيــد : أكاد أسمع للتفكير في الموضوع مــن ذهنك صوتاً صارخاً .

بـيرن : هيا بنا الى الركوب وانس الذى قيل وما يقال .

هــارت : اذهب وحيداً خلنى .

نيــد : اغتنم الفرصة لا تفتك ، فقد تكون هذه آخر فرصة..

هــارت : قد تكون ؟ ما السبب ؟. .

نيــد : هى فكرة عابرة طافت بخاطرى .

بـيرن : قد وسوست له بها « أم قويق »

نيــد : هل تنوى يا « جو » أن تلم عابراً بأمك ؟

بـيرن : لا ، لا تخف ، فلست أنوى ذلك .

مهمتى الليلة عاجلة ! أضف اليها فالمزار خطر . . .
في ليلة من الليالى ستغير الشرطة المتربصة ،
تكمن لى في بيتنا منتظرة .

نيــد : تبا لهم جميعهم !

لا يستطيع المرء أن ينزل عقر داره ، أو أن يلم عابرا
بأمه ،

مخافة الوقوع في شر الكمين .

هـــارت : يا « نيد » ان تشأ ، ألمم بأمك ، فلن يردك أحد .

بل إنهم سيفرحون ، أن يجدوك عندها .

نيـــد : « ستيف » خل الوالدة ، وشأنها . وصن لسانك الطويل في محله

من رأسك الذى قد لا يفيده الهذر .

فالشرطة الذين قد زجوا بها في غياهب السجن سيحيون

ليندموا على الذى جنوه .

قد تدرك الآن لماذا قلت : ذى الليلة قد تكون

آخر فرصة لكم لتقصدوا الحان وتشربوا

قر قرارى أن أكون حاسما ، أوقف ما نحن به من الخمول .

: سوف نحارب . . .

هـــارت : « جو » قل له .

بـــيرن : هذا الجنون عينه ، يا « نيد » .

نيـــد : لعنة الله عليكم أجمعين !

ستفعلون ما أريد ، أو أنني اترككم وحظكم :

لن تصمدوا وقتا طويلا وحدكم ، قلبت كل الرأى في الغاب
أو ان وحدتى . ثم توصلت إلى قرار .
أنا الذى أدرى بما أفعله . وأنتم لا تعرفون .

هـارت : أنا عارف ان السباق قائم ونحن فيه راكضون .
لكن لن ترى نتيجة السباق . فأنت لا تريد أن ترى خاتمة المطاف .
(يسمع ضجة عند الباب)
رباه ، يايسوع ماذا الذى أسمعه ؟
(يتواثبون ذعرا ، يقبض « نيد » بكفه على بندقيته ، ويشهر « هارت » مسدسه)

نيـد : ليس الذى أقبل غير « دان » ، ياللك من غبى !
(يدخل « دان » . قد سكر حتى ثمل وهو نشـوان مرح) .

دان : تحية يأيها المتكبرون !

نيـد : (يتجاهله ، ويصرخ غاضبا في الآخرين) :
والآن هل ترون ، لم أقول : إن علينا أن نوقف الذى نحن عليه عاكفون ؟

فنحن خائفون ، يخاف كل واحد منا خطى أصحابه .

هـــارت : أعلم أنا خائفون .

هذا الذى من أجله لابد أن نفر في الاوان .

نيـــد : انا لن أفر أو أريم ذا المكان .

دان : (هازلا متفكها) : عدتم تلتون وتعجنون ثانية .

بـــيرن : أين قضيت سهرتك ؟ هل كنت في مصنع جعة ؟

نيـــد : يا « دان » كيف سارت الأمور ؟ هل من خـــبر ، عن الخصوم المقتنفين بعدنا الأثر ؟

دان : صبرك حتى أروى الخبر . قابلت أثناء الطريق مشرف الشرطة .

قابلت « هير » نفسه .

نيـــد : لا لم تقابله ! أجداً ما تقول ؟

دان : أجل لقد قابلته . بل إننى أيضا تبادلت الحديث معه .

نيـــد : إذن ، فهل عاملته بما يليق ، من احترام منك منتظر ؟

دان : قلت له أين يسير ، وما الذى يعمله .

نيـــد : لله ما أجلفها معاملة ، لا لم تكن حقيقـــة جلفا كمـــا تقـــول ؟

دان : صدقني حقا إنني مازدت أو أنقصت في الحديث ، عما جـــرى .
ولم يفه بلفظة واحدة . . .

نيـــد : كيف جرى ما قد جرى ؟
وأين كان ، يا « دان » مشرف الشرطة ؟

دان : كان الجبان هائما ، قـــرب « جريتا » بعد أن ضل الطريق في الدغل .

هـــارت : وأين قد يكون الآن ـــ ربما تركته يقتفي أثرك . . .

دان : قد اعتلى شجرة من شجر اللبان . ألم تع ؟ قلت إنه ضل الطريق في الدغل ،
قرب « جريتا » ، يركض دائرا في حلقات مفرغة ،
يحاول الليلة أن يخرج من ورطته ملتقيا بنفسه . . .
وليس عنا باحثا .

بـــيرن : إذن « فهير » أرنب مثل اسمه وقد غدا كلبا سلوقيا يحاول أن . . . يصطاد نفسه .

نيـــد : ليستعن بأكلب البوليس كي ترد نفسه إليه .
ما القصة التي جئت بها عن الصحاب ؟

دان : ألممت عابرا بدار آل « سكيلين » . . .

نيــد : هل لا يزال الشرطة الانذال حائمين ، حول البنات ؟
تلك كانت غلطة ، الوغد « فتز باترك » ، من أجلها
أغتالهُم غداً .

دان : قد داهموا « كيت » ضيوفا ثقلاء .

نيــد : ما خبر « الغرة » ؟ أرجو أن تكون خير ما يرام .

دان : (الغرة) الآن بدار آل « بيرن » .

نيــد : مافعلوا « بكيت » ؟

بــيرن : بل إننى أعجب ماذا فعلت « كيت » بهم .

دان : صبرك حتى أروى الخبر .

نيــد : فلم تجد « هير » إذن بحانة الكوخ المهلهل البناء ؟

دان : بينا أنا في أوبتى اليكــم ،
قد أخذتنى غفوة على الحصان ، وقد جلا عن خاطرى
الشئ الكثير غير أننى مازلت ظامئاً وتائقاً الى الشراب ،
حينئذ صهلت الفرس وبرز الشاذ أمام ناظرى ، في ملتقى
الطرق الثلاث بعد « كوين » ممتطياً حصانه الضخــم
الكميت الهيكل .

نيــد : ياليت لى ذاك الحصان .

دان : والله قدتقت الى اختطافه حينئذ ، لكن خطف الخيل
سهل حين لا يحتل فارس من الشرطة سرجها .
أتيته عفواً بلا قصد ولا إبداء كيد أو مراوغة ،
لقد تطلعت ، وكان ماثلا أمام ناظرى .

بيرن : وما الذى فعلته بالفارغة ؟

دان : وتلك أيضاً قد شربتها .
صدقنى أنه كان أمامى ماثلا بلحمه ودمه .

نيد : لا بد أن تكون قد ذعرت منه .

هارت : تقصد أن يكون « دان » قد رماه بالرصاص .

دان : كنت كأننى هبطت من علٍ فوق الجبان هبطة مسددة.
وبينما كنت أفكر فيما يؤديه مغير الغاب حين يلتقى
بمشرف الشرطة وانه لا بد أن يقول : « عمت نهاراً،
سيدى » ،
ألفيت نفسى قائلا له : « عمت نهاراً سيدى » .
وقال لى : « بالله قل لى أيها الرجل العزيز ،
أى طريق « لحريتا » أتخذ » ؟

نيد : وهل دللته الطريق ؟

دان : قلت له : « أنا بنفسى ها هنا غريب » .

لكن هل حاولت أن تمر في ذى الناحية ؟ فقال لى : فعلاً لقد حاولت .

قلت له : إذن فهل حاولت تلك الناحية ؟ فقال لى : وتلك قد حاولتها .

ثم أريته ، المسلك الآخر قائلا : وذلك المسلك هل جربته ؟ قال : نعم .

وعندها قلت له : حسنا إذن ، أرجو أن تكون قد جريت ذى الطريق ، في قفا الخنزير ؟

بيرن : لا ، لست جاداً ؟

دان : ليتك يا « نيد » رأيت البسمة البلهاء ندت عن محياه البليد ،

دبت كثعبان سرى في شاربيه ، فأشرعا وتركزا . فلم يقل كلمة أخرى ،

بل وكز الكميت بالمهماز وكزة شديدة ، وخف لا يلوى على شئ ،

مخافة على حياته في الاتجاه الخاطئ ،

واشتد بي الضحك ، ولولا أنني لصقت بالسرج لدق
عنقي .

نيـــد : يا لك من محظوظ على حظك تغبط ، والله لن أبخل بالمال
لكي أمتع بالذي متعت به . لكن هل تظن أنه أدرك
من تكون ؟

دان : لا بد أن تكون نفسه قد أوجست له بمن أكون ،
لأنه قد خر نافراً مثل الشهاب الثاقب ، والحمر المستنفرة

نيـــد : إني أراهن بأنه ما زال حتى الحين نافراً .

بـيرن : وفي نفوره ، ملتفتا من فوق كتفه . . .
ليستبين ما المدى بينه وبين ذاك المارد الذي بدا له يلحقه
من الوراء .

هـــارت : ليتك يا « دان » قصفت عمره .

دان : أتى علي وأنا في حين غفوة . . .
وكان في مروقه كالبرق خاطفاً حتى ليسبق الرصاصة
المنطلقة أضف الى ذلك ، حسب أقصى ما علمت من نبأ ،
فالغاب كان مكتظاً يدب فيـــه مشرفو الشرطـــة
وو كلاؤهم ،

وفئة المفتشين، وكذاك الرقباء ، ومالا يعلمه إلا الله من انواع الأفاعى الاخريات

بقدر ما أخفت » هير » كنت منه خائفاً .

بـيرن : لقد أتوا ، وقد رأوا ، ونفروا نحو ديارهم مثل الأرانب

نيـد : ياليت شعرى اين خلفوا كلابهم قصاصة الأثر ، لو صاحبوها كنت يا « دان » وقعت في الكمين .

دان : قـد فاتنى يا « نيد » أن أنبئك ، أن الكلاب الآن في « ملبورن » في مهمة جديدة .

نيـد : هل نقلت الى هناك ؟ هل كلها قد نقلت ؟

دان : قد نقل القطيع كله ، كل القطيع الآن في « ملبورن »

نيـد : من أين جئت بالخبر ؟

دان : مصدره « كيت » . ولكن الكلاب ستعود ثانية ، كما تقول « كيت » ، قد نقلت الى هناك في مهمة جديدة، لكنها سوف تعود .

نيـد : سوف تعود للغربان والذباب .

دان : يقال إن هذه الكلاب ، سود الإهاب ليست فحسب تستطيع أن تقتفى الانسان في مساره . .

بل تستطيع أن تقتنى سحلية تسير فوق الصخرة الجرداء
وبعد أن تجئ ها هنا ، فلن تطول مدة اختفائنا .

بـيرن : ليقتفوا السحالى ، لينبشوا الجذور والديدان وليتشبثوا بها .
لكن ليقلعوا عن اصطياد الرجل الأبيض .

نيـد : لست أطيق مثل هذا الموقف المشين .
فأنا « كيللى » رجل أبيض من أستراليا ، لن أبقى مثلما أنا
تصطادنى سود الكلاب ، لم أحرك ساكنا .
فسوف يحدق الشرطة عاجلا بنا جميعنا .
تحفنا كلابهم كما تحف بَوْشا من طرائد الوحوش
يقنصها الصياد دونما عناء .

دان : لقد ألموا « نيد » بدار آل « سكلين » .

نيـد : ياليت « كيت » بعثت لى من يبلغ الخبر — وكان ممكنا أن تأتى « الغرة » بالخبر — كنا كسحناهم ولم يبق لهم أثر .

دان : لم يتغير منهم موقف « كيت » أختنا ، ولم يفيدوا من من جديد من لقائهم لها .
فأنت أدرى « نيد » من جميعنا بكومة التبن القديمة المحنكة .

بيرن : أية كومة تبن قديمة تقصدها ؟ تعني بذاك « كيت » ؟

نيد : سوف تجازيك جزاء قاسيا ووافيا لنبزها بذا اللقب.

بيرن : بحق رب الرحمة الرحيم ، لا تنقلوا ما قلته عنها لها
أخشى على جلدي من أن تسلخه ، وأنا حي .
ماهمني قتال « قنعز » مستأسد على أشده
له مخالب سود كأظفار أخينا « ستيف » ،
كما يهمني قتال « كيت » .

دان : يا « نيد » هل تذكر كرمة التبن وراء العشة المهلهلة ، في المرج قرب بيت آل « سكلين » ؟

نيد : لست بذاكر كومة تبن .

دان : في المرج حينما انطرح « جو » أرضا مع تلك التي من « بنلا » حضرت في ليلة الرقص ، أتذكر ؟

بيرن : بالله دعنا من حديث ليس منا ذاكر له

في تلكم الليلة كنت قد سكرت سكرة ملعونة

لم أدر من جرائها ما الفرق بين التبن والبنت التى كانت معى ،

قد ملأ العوسج كفى بشوكة .

نيــد : لا أدرى ما أصابكم فقد خرجتم عن صوابكم .

ماذا تفيدون من الحديث ، عن كوم التبن ، وشوك العوسج ؟

وما الذى يهمنى أنا بالذات ، عن كومة التبن التى عنها تثرثرون ؟

دان : لكن مقتفى الأثر ، من فرقة الشرطة ، بأمرها يعنون .

نيــد : بالله لا تقل لى إنهم قد عبثوا بعش الحبيب ، ولوثوا مثواى .

دان : هل أنت دار أنهم جميعهم في الكوخ يسرحون ؟

فمشرف الشرطة فيه ، ومعه ثلاثة من الكلاب السود ،

ما أنتن ريحها !

كذاك شرطيان .

فما أشدهم على البنات ، كأنهم ضراوة نار الجحيم الموقدة ، هم يعرفون أننا نأتي إلى البيت متى نشاء ، وليس يقوون على إمساكنا ،

والفتيات كلما استُجوبن لا يقلن شيئا ، و « هير » لا ينساه .

ذاك الحين عندما تابع « كيت » مراقب، محـاول* يقفو الخطى من بعدنا ،

وغررت به عدة أميال ، وتوهته ، فوق الجبـال ، وبلغت به ما ليس يدريه من المكان .

وبعد ذاك جلست تضحك فوق كتلة من الخشـب مقهقهة ،

ساخرة منهم وفي وجوههم .

هم غاضبون الآن واحتدامهم مثل الجحيم الموقدة . فمقتفو الآثار حائمون لعلهم يتنسمون خبرا ،

و« هير » لا يفتر ملقيا أسئلة وأسئلة : وأول الذين يسألون ، فتاتك المدللة ،

لكنها ليست تجيب بل تظل ضاحكة ، فينبرى مشدداً على خناق « كيت » .

قد أصبحت شغلا له وشاغلا ، وهكذا فالغرة الصغيرة
تفلت من شدة قبضته ، وتنبرى تهمس في اذن فتى
من مقتفى الأثر .

بـيرن : يا « نيد » احذر ، ياله من منافس خطير !

دان : تهمس في أذن الفتى الشرطى قائلة :

« في كومة التبن التى هناك حفرة فيها الشباب مختفون .

نيـد : وهذه تضليلة أخرى بها يورطون ، لله در « الغرة »
ما أشطرها !

دان : وينقل الشرطى — مقتفى الأثر — ما جاءه سراً من
« الغرة » إلى صاحبه « جونسون » وذا بدوره يهمس
بالسر إلىلى المشرف « هير » . ثم يبارحون منسلين
قد رسموا على وجوههم براءة الاطفال ،

وانعطفوا بسيرهم ناحية المرج كأنهم قد قصدوه
صدفه — ياللعجول السائمة تنسل تبتغى العلف — وبعد
ذاك اندفعوا بكل ما أوتوا من القوة نحو الحفرةالمرتقبة .
لقد وقعنا في أيديهم واشتفت قلوبهم

فكومة التبن كبيرة ، والحفرة المرتقبة ، طويلة ونفق
مظلم .

يصغون ثم يثبون ، وبعده يصغون .

ويسمعون نأمة في داخل النفق . ويقسمون :

« والله إن آل » كيللى » وقعوا في يدنا بلا فكاك »
وينبرى « جونسون » قائلا : اسمع حسهم يتنفسون »

بـــيرن : وجدتها ، وجدتها !

عرفت ما قد سمعوا . . ألا يكونون قد سمعوا صوت الخنازير التى تقبع في النفق ؟

نيـــد : هى الخنازير ، نعم .

دان : الخنزيرة العجوز السوداء .

يحفها من الخنانيص الصغار ، اثنا عشر .

هـــأرت : لاشك أن « هير » كان ينط فرحا مجنونا .

نيـــد : ياليتنى كنت هناك كى أرى وجهه في حالة فرحته .

دان : أصابهم ذعر من الدخول في النفق . ظلوا مليا عند فتحتـــه ،

يصغون ، إن آل « كيللى » يشهقون ، يزفرون في داخل النفق .

وبما أن « جونسون » العجوز لم يكن مشرفاً في فرقة الشرطة —

يقع الأمر عليه بالدخول للنفق ، لأسر آل « كيللى » المحصورين

ويزحف المأمور عابراً في النفق الطويل في الظلام ،

وتلتقى به الخنزير المحتجبة .

« فهير » في الخارج راقص من الفرح ، و« جونسون » في داخل التبن . . .

يصيح زاعقاً من الفزع ، ولا تسل عن القباع ،

دوت به الخنزير المروعة ، وجملة الرضع من صغارها.

وتعترى البنات سورة من شدة الجذل ، لا يستطعن دفعها .

قد جنت الخنزيرة المروعة ، لكن « هير » كان جنونه أشد من جنونها وأعنف .

وتفلت « الغرة » من قبضته لاجئة في بيت آل « بيرن » ،

وليس يقوى « هير » أن يلوم « كيت » ، فالذنب ليس ذنبها ،

ثم اكتفى بما حصل ، لكنه الآن مغذ ركضه وراء
دمنا ،

ومثله « جونسون » .

نيـــد : بنتان ليس غير ، قدرتا أن تخدعاهم دونما عناء .

هـــأرت : اخشى على « كيت » من الإفراط في اعتدادها بنفسها،
وحينذاك ، يجرها ذلك إلى طريق السجن مثلما ،

جرت اليه المرة الأولى .

دان : قد حاولوا سم الكلاب .

بـــيرن : من الذين حاولوا ؟

دان : « هير » وصحبه .

بـــيرن : لله ما أشنع ما يحاولون ، لكنني لست بقادر على
على التصديق .

هـــارت : لو استطاعوا سمنا جميعنا لفعلوا .

دان : لأنهم كانوا إذا جاءوا استراقا للخُطى ، يتسللون في
الظلام ،

كي يكبسونا ، في مقامنا ، عند أخواتنا ، أو عند
من نهوى قلوبنا ،

كانت كلابنا تنذرنا بمقدم الانذال . لذلك قد سم
كلابنا « هير » وصحبه .

نيـــد : أحسس أن خطوهم وراء خطوى في السباق ، قد
أوشكوا بى على اللحاق .

بل انهم يعترضون خطوتى على الطريق ، أكثر مما
قد يطاق .

سموا الكلاب ، وروعوا « كيت » وروعوا محبوبتى ،

اقدامهم تدوس أرض المنزل الذى تشتاق نفسى
لزيارته ،

ثم يجوسون إذا جن الظلام حوله بلى بلى يعترضون
خطوتى على الطريق .

يالهم نملا تخف لا تكل فوق صخرة حامية بحثاً عن
الغذاء !

لكننى والله لن أكون ، للنمل مأكلا .

بـــيرن : (كمن يبحث عن النمل) :

ما كنت أحسب أن يمتد بى زمن ، حتى يجئ زمان
فيه يقرصـــنى . . .

من معشر النمل فرد ليس يعدلـــنى ،

« هير » الذى قد اتى في آخر الزمن . . .

نيـــد : يا « جو » قد أحلت ما أقول نكتة ، لكننى لست بها زلٍ .
ولست ممن خلق ليلدغ ، لا سيما واللدغات من سمومٍ ناقعة .

بـــيرن : إذن ، فما العلاج الناجح من لدغات النمل ، هل تغرقها أم أننا نحرقها ؟

نيـــد : نحرقها ؟ ياليتنا نحرقها ياليت لى نارا أشبها
واحفر الأخدود في طريقهم أكبهم في قعره ،أحرقهم جميعهم ،
وليس أبقى منهم « أبداً » ، ياليتنى .

بـــيرن : لله درك ، فتى به تفخر أمه ان الذى يشبه أمه فما ظلم .

نيـــد : أمى في السجن فخلها حيث هى .

بـــيرن : مهلا ، يا أخى ، هون عليك !

نيـــد : لا يصلح التهوين في الامور مطلقا في هذه الظروف

بـــيرن : حتّى وان كانت بنية ، ساقية في الحان ؟

نيـــد : مازلت تبدى من ضروب الهزل والعبث ، ما قد تقضّى وقتهُ

وحان أن تدرك أن عهدها جميعها قد انتهى .

لقد نهزت والغواة ما كفاني قسمة ، وقد شببت الآن
عن طوق العبث .

اصغ إلى ، قد انتهى المزاح ، بل تمت اللعبة ، بل قد
اسدل الستار .

هـــارت : كما انتهى عندك كل ذاك ، فعندنا أيضا قد انتهى .

دان : لله ، يا « هارت » فما أسرع مادرت كما قد دارت
الزجاجة .

نيـــد : إذن اتفقنا ، نستطيع احراق النمل ونخلص . . .

بـــيرن : بـــل ، أحرق المطران في « ملبورن » ، كم أنت
مشحون كلاماً فارغاً !

محلقاً في الجو في دوامة من الكلم .

فليس موجودا هنا ما نستطيع حرقه ، انزل إلى الواقع
من علياتك المهومة .

واجل الغمام من دماغك ، واضغط عليه وســـط
قبضتك ،

حتى يصير بارداً صلبا كمثل كرة الثلج المصمتة ، ،
وبعدها ندخل في المناقشة .

فما الذى تعنيه حينما تقول : « هيا احرقوا . . . » ؟
هل أنت مدرك مقدار نفسك ؟ أم هل تريدها إغارة أخرى مكررة ،

وذات مظهر سمح مبهرج مثل الاغارات التى قد سبقت ؟

أم أننا نعيدها يوم « سترنجيبارك » في ممرها ؟

تبغى مزيداً من دم الناس على أكفنا .

نيـــد : اذن فأنت خارجى آخر . . . ؟

بـــيرن : بل انني غبي ، فدم مجرد

تمتعني نفسى مادامت على قيد الحياة . . . حين أكون في الدغل ،

احتضن امرأة ، بين ذراعى فتنسيني متاعبي ،

أو أنني أحضن جذع شجرة ، وآلف التراب —

وذاك يكفيني منالا طيعا مستعجلا .

أما الرجال العقلاء مثل شخصك الحكيم

فإن صمت الغاب في جلاله ، يوحى لهم بأن يعودوا حاملين خطة مدبرة ،

كى يحرقوا النمل ويخلصوا من شرها .

يا « نيد » أنت عائش في حلم وفي خيال .

نيـــد : بل أنت مخطىء ، فانني يقظان .

أنت الذى يعيش في حلم وفي خيال ، تطارد أنثـاك في شعب الجبل .

بيننا التلال كلها آيلة إلى السقوط في يد العدو .

كنا موفقين في كل غارة ، فما الذى يمنع أن نشن غارة أخرى ، لك الجحيم !

ألسنا يا « جو » آل « كيللى » عصبة لا تقهر !

شدنا لنا اسما ذائعا مجلجلا ، لن نستطيع أن نعــود القهقرى ،

اذن فلابد من السير أماما دائما . يكفى بأن نجبرهــم أن يصرخوا وينبحوا .

هذا اذا لم نستطع انجاز شيء مطلقا ، في كل غـارة ما يستثير الضحك دائما .

بـيرن : ظننت أنك انقطعت عن أن تمارس الضحك ،

نيـــد : فعلا قد انقطعت عن أن أمارس الضحك ،

لكننى مازال في جسمى النفس ،

دان : عما قريب سوف نندفع مثل عواصف الجنوب ،
وسوف نستولى على مدينة أكبر مما سبق ، كما فعل
« هال » في « باثرست » .

بيرن : لكم مللت « هال » .

نيد : الآن لم تعد « هال » كرامة تنفعنا .
إنا نواجه المصير وحدنا ، أمامنا من الأمور ما يفوق خطراً
كل التى واجهها من قبلنا . لقد ظننت أننا نقدر أن نعيدها .
لعبتنا القديمة بنفسها — لكن بنوع من مهارة تفوق ما اعتدناه في سابق عهدنا —
أن نستبيح المدن عنوة ، وأن نراوغ الشرطة ، ونقبل الهزل
يجىء مثلما تأتى به الظروف ، لكن تلك اللعبة القديمة المواتية
قد انتهت ، قد انقضى زمانها : والآن كل شىء قد غدا أصعب مما قد مضى ،

أصعب مما قد مضى ، وضاقت الارض بما قد رحبت في وجهنا .

قد أجبرونا أن نعود القهقرى ، وطوقونا بسياج حولنا ،

ليس أمامنا من مخرج سوى أن نطأ الاسلاك لا ترحمها أقدامنا ،

وننزع الأعمدة التى تشدها لعزلنا ، أما اذا انهرنا وفُل عزمنا

فاللعبة انتهت وآل للأفول نجمنا .

هم يحسبون الآن انها انتهت . ان السياج طوق الغاب لخنقنا .

لكن خاب ظنهم ، مازال فيوسع القدير ان يذلهم ، يغلبهم .

هم يعلمون جيدا بأنهم قد بلغوا في مستوى الكيد المدى :

لاسيما وأنهم قد أطلقوا السود لكى يقتنصوا بها بيض الجلود مثلنا ،

ورفعوا الأجر على رؤوسنا حتى غدا بقيمة الدينار آلافا ثمانية ،

هم يدركون جيدا بأنهم قد أبلغوا السيل الزبى ،

وهمهم ان يطبقوا على رقابنا اليدا . لكن هذا ليس كل همهم ،

بل انهم يبغون جعل الغاب موضعا مختلفا عما عليه عهدا ،

مطوقا ، ومستكينا ، مزدرى بصفة شاملة ثابتة وأبداً .

ليس به من يركبون خيلهم في وجه سلطة الأمن تمردا ،
وها هو الدور الذى نكشف فيه وزق اللعب وتنتهى المقامرة .

فيخضعوننا ويخضدون شوكنا ، ويصبح الغاب مسيجا ،

وليس في سلاسل الجبال فارس يذرعها على هواه نازلا وصاعدا ،

أو أننا نغلبهم ، ويجبرون مدركين أن يخلوا أرضنا لنا .

بـيرن : لكنهم لن يتخلوا عن سبيلنا . وكل من يقتله رصاصنا ،
سوف يقوم في مكانه عشرون في وجوهنا .

نيـد : لا . . . ، لن يستطيعوا .

إن لنا في الناس أصدقاء .

ومن هنا إلى مدى مائة ميل ، لن تجد امرءاً يحجم أن
يعيننا . .

لن يكون عونهم لنا بالنار والحديد ، أدرك ما أقول ،
بل بالأخبار ،

بالقوت والمأوى ، سوف يعيقون الشرطة حين
يزحفون نحونا .

لكنهم الآن يبدون كمن قد فقدوا بنا الثقة ،
وسيصبحون ضدنا ،

سوف يبيعوننا ، إنهم الآن يحاولون ،

لكن هيا واكسبوا لنا معركة واحدة مجدداً .

هيا بنا نلقن الشرطة درساً واحداً وحاسماً مجرداً ليبعد
الشرطة عن طريقنا وبعد ذلك نكسب الأنصار ثانياً ،
وتصبح البلاد ملكنا .

بـيرن : أهكذا بكل ذى البساطة الميسرة !

نيـــد : لا ، ليس مثل ذاك ، لا استسهل الامور ،

لابد من أن توجد الشرطة دائماً ، لكنهم لن يلحقوا بظلنا ، يطاردوننا

سيبعدون عن طريقنا كلابهم سود الاهاب ، وسيغضون عيونهم

حين يلاقونا على الطريق راكبين خيلنا ، من خوفهم رؤيتنا .

سوف يخلون السبيل رغم أنفهم أمام قومنا

بـــيرن : سنستطيع أن نفزع الشرطة .

واحداً ، ثلاثة ، أو عشرة ، لكننا لن نستطيع أن نخيف ، حكومة بأسرها .

ان الذين يبغضوننا هم أهل « ملبورن » الذين لم يرونا مطلقا ،

هى المصارف الكبيرة التى ترعى المصالح المالية المجردة ، هم الرجال البسطاء ، المعتقدون أننا نسلبهم مايدخرون ونعتدى على أعراض من يلون من بناتهم .

من الذين ابغضونا أكثر البغضاء في « جيريليدرى » ؟ « اليوت » ، « ليفنج » وذاك نملك الذى تريد حرقه

أولئك الذين لن تنالهم نار الغريق من ثنايا الغاب أو تضرهم .

لا تظن أننا في حومة الصراع وحدنا ففى البلاد غيرنا أكثر منا حول (بتشورت) كذا حول (جريتا) لا يريدون الشرطة يهمزون ويلمزون ، يتنسمون سرهم . بشئونهم يتـدخلون ، وليس هؤلاء ، مجـرد الذين يزيفون وسمات الماشية ، لكن منهم كثرة من الرجال الأمناء الطيبين

من الذين لم يزالوا يذكرون أن الشرطة ليس غيرهم هم الذين شردوا أسلافهم وأدخلوهم تيه « استراليا » لأن واحداً اضطره الجوع لأن يخطف أرنباً ، وآخر سطا على رغيف خبز مجبراً —

وكل هؤلاء أنصار لنا ، وغير هؤلاء آخرون « جاءوا بآخر الزمن »

لم يدركوا قط لم كان الجناة — بعد أن يتم سجنهم — في السير يضلعون ،

وهؤلاء همهم أن يشهدوا القارة كلها أرض الشهام الاكرمين ،

ويترك الغاب بها على سجيته .

فالمهر ، حين يحرن يحبه الناس لعنفوانه وشدته .

ومثلهم « بريت » ذلك الذى التقى بنا في الخان في « جيريلديرى »

وكل هؤلاء لا يعجبهم أن تدخل الشرطة عقر الغاب .

هـــارت : « بريت » قد نصحنا بأن نخلى الغابة نازحين ، إلى « كوينزلند » .

بـــيرن : لربما كان من الخير بأن نتبع نصحه .

نيـــد : (بالهم مثقلا يتهم الاثنين) :

انكم تحكون في أثناء غيبتى ، في غيبتى ، واعجبى ان لم تكونوا تفعلون !

بل انكم تتهامسون :

هيا بنا ولنطلق إلى « كوينزلند »

ثم تضيفون لهمسكم :

« ما نيد في كامل عقله » وتحسبون أنني مجنون .

كذا تقولون « هيا بنا ننجى نفوسنا ، نغتنم الفرصـــة في أوانها »

(منفعلا ، مهتاجا)

حسنا اذن ، نجوا نفوسكم بما عليها من عفن !

هيا اخرجوا ، هيا اتركونى باقيا بمفردى .

بـــيرن : انك تدرى أننا لن نتركك .

نيـــد : هل تحسبون أننى لست بدار بالذى ترددون ، أثناء غيبتى ؟

هـــارت : لسنا نقول أى شى ء

دان : بل إنكم تتحدثون .

نيـــد : (بهدوء متزايد) :

والله انكم ان تمرقوا ستدفعون ثمن المروق ، رقابكم .

تعتقدون اننى مجنون ، لاننى اطوف في الغاب بمفردى منشغل البال بأمركم ، وباحثا عن الحلول ،

بديل أن اقعد في الداخل بينكم ، أروى الحكايات ، وأشرب الشراب . . .

أو ألعب الورق ، كما ألفنا سالف الأيام .

لقد تقدمت سني بي أكثر مما تقدمت بكم سنيكم ،
وذاك كل ما حصل .

اصبحت أصفى روئية في نظرى إلى الامور .

أرى بأننا تزلق من فوق الثرى أقدامنا ،

كما أرى الشرطة تكسب كل يوم موقعا ،

أرى بأننا لابد من أن نستمر في القتال أو أن نكون في
عداد من عليهم العفاء .

بل انني أرى الذين يقتفون اثرنا قد لحقوا بنا .

دان : لقد عزمنا أن نواصل القتال .

نيـد : ماذا جرى لجمع « هال » حين استطاعت فـرقة
الشرطة

اللحاق بهم أثناء ركضهم ؟ تقاعسوا عن القتال ، ودخل
الرعب قلوبهم ،

تمزقت عصبتهم ، ثم عدوا مثل الارانب المستنفرة ،
قد استفادوا من خنوعهم فائدة ليس لها مثيل .

لو لم يهن « فين » و « دانلفى » ، ولم تطر نفسا هما
خوفا ولم يستسلما ،

فربما ما كان قد أصاب جمعهم أذى . وأنتم لماذا
لا تستسلمون ؟
القوا بأيديكم إلى الشرطة وعبروا لهم عن الأسف .
وخبروهم أنكم لم تقصدوا قط بأن ترتكبوا قتل رفاقهم
عند « سترنجيبارك » ،
قولوا لهم إن الرصاص انطلق بدون علمكم . قولوا
لهم إنى أنا قتلتهم .
قولوا لهم : إنكم ما سطوتم في حياتكم على المصارف...
بل انني أنا الذى سطوت ، فربما تجاوزوا عن شنقكم :
وخففوا الحكم إلى مجرد السجن مدى الحياة .

بيرن : إن الذى تقوله ضرب من الهذر .

نيد : ليس الكلام هذرا حين يكون ذا علاقة بعصبة في حلبة
الطراد

فحينما « فين » و « داناللفى » تخلفا وخليا صحبهما ،
فكل فأر لم يجرؤ ان يطل من فتحة جحره . . .
أسفر يصئى ملء صوته في وجه « هال » : ويالها
منية يمنى بها إنسان

خلفه صفوة صحبه ، وخانه المخبر والصديق ،

وأوقعت به وأوردته مورد الردى ، خمس وعشر من رصاصات العدا

حين عدا يحيص بين شجر اللبان ، عند ممر « بيسلا بونج » ، منبثق الصباح .

مازالت الفئران تصئى ، وصيد « جلبرت » صريعا بالرصاص مثلما يقتل كلب ،

أما « دان » الذى أرجىء حتى آخر الطراد ، فألقى القبض عليه وشنق .

وعند ذاك أسدل الستار ، خاتمة المطاف .

وذاك ما لا شك حادث لنا ، فلا عجب !

والله إنا سنلاقي حتفنا بمثل ما لاقوا به مصيرهم ان لم نهب للقتال .

فهل ترى يا « جو » ما أرى ؟ وأنت يا « ستيف » حقيقة ترى الذى أراه ؟

فان نفر ، فعلى عصبتنا العفاء .

فرصتنا الوحيدة التى تلوح بالأمل ، هى القتال .

هــارت : (متحمسا ، منبيا) : يا « نيد » انني معك .

دان : وأتمنى اللحظة المناسبة ، لأشفى الغليل من قصاصة الأثر .

نيــد : ستأتى تلك يا « دان » لك . . .

بــيرن : (وقد عرته هزة ، وقد كاد يبلع مباغ من استحض) ماذا تريد أن نفعل ؟

نيــد : معظم همنا قصاصة الأثر .

اذا خلصنا من فصيلــة الكلاب ، سود الإهاب ، سنستطيع أن نسترد النفس المحررا . . .

وبعده نوجه الهم لقهر الآخرين ، وننتهى من أمرهم .

لكن قصاصى الأثر ، لابد من أن يغربوا عن ربعنا .

لا يجروُ المرء على تحريك ساكن . هم يسجنوننــا .

يراقبوننا .

لا يستطيع المرء أن يركض مهره ، ولا يسير آمنا على الثرى ،

في موطنى هذا الذى أشعر أنى أملكه .

بــيرن : أبشر فهذا موطن حر وللاحرار .

نيــد : الخير ألا تستخف بالامور ، وترتدى ، للجد ملبه .
لا أشعر الليلة أنىأستسيغ الهزل واللعب .

هــارت : لابد من أن نستطيع الاهتداء إلى طريقة نخلص منهم
كلهم سوية ،

وفيهم مؤكدا ، تلك الكلاب ، سود الاهاب ، وهكذا
الأرنب » هير » ،

اذا تمكنا بأن نرصد للئام ، وفي الكمين يحصد الجمع
اللعين كله .

نيــد : من أرض هذه الصخور قد أذكيت بضعة من الشرر ،
وقبل أن أقضى تغدو لهبا مشتعلا .

بــيرن : هذا كلام مَن به مسٌ من الجنون !

نيــد : يا » جو » هل أنت معى أم أنت ضدى ؟ قرّر الآن
الذى تريد أن تكون .

أمرضنى الكلام .

بــيرن : (بفظاظة مفاجئة ، كمن قد هدّه الكرب الشديد) : لا
ابدا لن أفعله

قتلا على قتل مكرراً . لا لن تكون لى يد يا « نيد »
فيه .

هيا أرْدنى ، اذا أردت ، بالرصاص — فما الـذى يهم ،

بل ما الذى يهم ، الآن ، أى شيء ؟ لكننى لن أفعل الذى تود .

لكم ألفت ان تصّعد الأمر إلى حد المبالغة. بل ان شيئا في دخيلتك ، يصعده ،

وينبرى القاتل من قرارتك ، وحينذاك لا تكون الرجل الذى عرفته .

لقد بدا لى ذاك منك في الممر في « سترنجيبارك » ، وهذه الليلة يبدو سافرا لناظرى ،

ولست أبغى أن أرى نهاية المطاف . إنك يا « نيد » لمجنون بلا مراء ،

فما الذى تدبره ؟ القتل ! انه قتل الثلاثة ،

« لونرجان » ، « كينيدى » و « سكانلون » هـو الذى أدى إلى اعتبارنا من خلعاء الشرع والقانون ،
وحث كل ذى صحيفة بيضاء يغدو ضدنا ، والآن تبغى ان تعيد القتل ثانية .

قتلا على قتل مكوما ، ما عدد الذين تنوى قتلهم ؟ —

هـــارت : بل اصغ ، يا « جو » —

دان : إنه مخبل

نيـــد : يا « جو » —

بـيرن : (يندفع خارجا من الغرفة) : والله ، لن أعيـــدها .
واحيرتى لم فعلتها ؟

رباه . يالها من عيشة أعيشها !

(ينصرف)

دان : (مناديا له) : سوف تعود .

هـــارت : مع الشرطة ومع « هارون شيريت » !

نيـــد : (متثاقل مهموم) : دعاه يذهب .

دان : لن يتمادى في ابتعاده من ها هنا . لقد عرته مثل هذه
النوبة قبلا ، وهو قلب عنيد .

هـــارت : لكنه ماساء قط هكذا .

نيـــد : (في غيظ تشوبه الكآبة) : خلوُّه يمضى إن يشأ إلى
الجحيم .

دان : يا « نيد » ، لا يقصد أن يتركنا ،

سوف يعود بعد نصف ساعة ، أو أنه سوف يروح
يتعاطاها مشعشعة

وفي الصباح سيعود وعلى مبسمه ابتسامة عريضة ،
كأن شيئا لم يكن وما جرى .

نيـد : بل ان شيئا ما جرى .

هـارت : أصغوا لقد مضى منطلقاً .

يركض بالمهر على أقصى مدى مصوبا في شعبة الجبل ..
سوف يدق عنقه .

دان : يجوز أنه يريد أن يدقه .

نيـد : يبدو أن الوقت قد حان لكي يستخدم المرء الكلاب .
فانها تأتيك حين تسمع الصفير ، وحينما تأمرها أن
تنصرف ، تروح واثبة .

وتهتدي بفكرها وحدها حين تجول في الشعاب ، ولا
تفارق الذين يملكونها .

وليس تقضي نصف يوم في الجلوس والجدل .

بل ليس تقضي الوقت في الجلوس والعواء . واعجب
لما ينجز حين يعمل الانسان والانسان !

« بارو » و « هـــال » و « الصاعقة » كانوا رجالا
لامراء ،

لكنكم — ، لكن « جو » — والله أعلم — لو كان
لى من الرجال عدد يسندنى كنت ملكت كل هـــذه
التلال ، كنت وضعت المدن والسكان وسط راحتى ،
وكنت أمسكت بها في قبضتى .

اعتدت أن أحلم بقدرتى على حشد خمسين من الرجال ،
أحشد منهم مائة . ،

جزازة الصوف ، وعمال المناجم ، والعاملـــين في
حظائر الابقار ،

وكلهم فتية كدح في قلوبهم ضغينة ، أو هاذلون ، أو
فيهم مس من الشيطان ،
كنت أرى بأننا نقدر أن نبسط حكمنا ،

في هذه البلاد رغم راكبي الخيل من الشرطة وفـــى
وجوههم ،
بل انني كنت أرى باننا سوف نشنها حربا ، وأننا لها .
وليس في الوجود شيء ليس يستطيع المرء أن يفعله إن
يلق أنصارا من الرجال ،

وكنت واثقا ان الرجال سوف ينصرونني . لكـــن
ما الجدوى !

فانني أرى بأنهم سيخذلونني

حين تبلـــغ الســـكين من بُرجمة مكشوفة محزهـــا ،
ويسلمون أمرهم لخصمهم ،

بل ان ما صوره الخيال الآن انتم تفعلونه معي .

كنت أرى بأن سيصبحون خائفين ، أو أنهم سوف
يملون القتال ،

أو أنهم سوف تصيبهم مرارة لبعدهم عن زوجـــة
مستوحشة ،

وحينذاك يركبون مبعدين ، عن مهالك القتال .

هـــارت : ياهل ترى يكون « جو » قد ركب « السابح » مبعدا ،
وقاصدا « شيريت » هذى الليلة .

دان : ماذا دعاك أن تقول ذا الكلام ؟

هـــارت : ياليتني أعلم ما يشغل باله وما الذى يبيّته .

حادثته الليلة لكن حديثه كان حديثا عجبا مستغربا ،
كان يلمح بأن حادثا مفاجئاً يقدر وقوعه « بنيد »

وكيف أنه يقدر أن يحيا بدونه . وكاد أن يذهلني
بدا كأنه يريد أن يختبرني .

دان : لست مصدقا لما تقول .
تريد أن تصم « جو » بأنه ينوى لنا تنكراً ، وانه يريد
أن يهجر جمعنا ؟

هـارت : هذا كلام لا يقوله إلا مغفل غبي . « فجو » لم يقصد
شرا بحديثه ،
وقال ما قال على سجيته ، وحسب ما نعلم من أسلوب
قوله .
لكن ما قال بدالي عجبا مستغربا .

دان : لما تريد دسه رائحة نتنة تفضح نيتك .

هـارت : قل ما تشاء لا يهمني ،
لكن « بيرن » رفيق « شيريت » بلا مواربة .

دان : وما الذي يضيره من كونه رفيقة ؟

هـارت : وأخته كانت « لشيريت » عشيقة ، وإن « شيريت »
هو الذي يهدى خطى الشرطة في اقتفاء خطونا .

نيـد : « شيريت » محكوم عليه بالممات .

هـــارت : لكن « جو » لن يؤيد الحكم الذى أصدرته ، بل يا « نيد » لن يحتمله .

نيـــد : دع أمر « جو » لى .

دان : لسنا على علم بأن هناك أى مؤثر . وربما « هارون » لا يكون ذلك المؤثرا .

هـــارت : لم لا تكون الطير تلك الواسطة ، نوجه اللوم اليهـــا والتهم ؟

دان : لابد من اتاحة الفرصة له .

وان « جو » يقسم انه شخص قويم خلقا ومخبرا .

يكفى بأنه ساعدنا عدة مرات مكررة .

هـــارت : لا شك أن ما قدم من مساعدة رد جميل للذى نكرمه به من سقط رزقنا .

بالله ما الذى يدفع « جو » أن يلازمه .

دان : يا « هارت » ان « جـــو » لا يتخـــلى عن رفاقه ، يمخضهم من وده أسمى مراتبه ، أكثر مما أستطيع أن أقوله عنك وداداً ووفاء .

نيـــد : كفى ، رجاءً أغلقا فميكما !

هيا اتركا لى أمر « شيريت » – « جو » ما عليه من غبار .

وانتما اللذان أشعـــر بالخذلان منكما ، كم تهرفان وتجادلان باطلا ،

وكلا شيء يستحيل حينما تجعجعان ، كالعصـــف مأكولا وكالهباء .

دان : ياعجبا ، أحرم الكلام ؟ ! . .

هـــارت : لم نتخل عنك يوما قط أو نخذلك مطلقا .

نيـــد : لربما كان الذى تقوله حقيقة أقرها .

لكنكم لم تخلصوا لى الود كله بالمستوى الذى أؤمله .

ياليتنى سرت على طريق غربتى بمفردى .

قـــد قـــال لى « باور » ذات مرة : « اذا اغتربت فاغترب بمفردك » ،

وقال لى : « لا تستعن في كل أمر يحزبك

لا تعتمد في كل ذى الارض ، على أحد »

لاسما المرأة ، انها كالنهر البارد نحو البحر منتهاه .

والرجل الذى يؤمل الخير بها منخدعاً بأنها تمحضه الوفاء ،

كناظر في صفحة النهر وقد أعجبه خياله في مائه ، لا يستطيع ان يتبين ما مصيره حين انعطافه في منحـــنى مجراه .

لله ما أصدق قوله ! « باور » قال لى :

« لا تثقن إلا بمحض رأيك وكل ما يرسمه خيالك المجرد الوحيد ،

سوف تموت في الأخير واحدا منفرداً ، فعش إذن منفرداً .

كن فوق هذى الأرض فرداً رجلا ، يلقى عداه كلهم بمفرده .

دان : وما الذى جناه من رحيله بمفرده ؟

كهفا غفا فيه ، وعيشة مثل حياة الفأر في الدغل ،

ثم أتاه مؤنساً من أظهر الود له ، وخانه رغم احتياطه الشديد ،

دهمته الشرطة في السحر ، وأحكموا الغلين حول معصميه .

(مؤاسيا ملطفا القول) : سوف يعود « جو » لا تبتئس .

نيـــد : ليذهبن إلى الجحيم !

(يتجه إلى الباب ويتطلع)

دان : ليت فتاة الحان تجلو كربته .

نيـــد : (من المدخل ، مسروراً) : ها هو ذا يعود !

أصغوا الى خبة مهره ! قد كنت مدركاً بأن الخوارة الغبي

سوف يعود لصوابه ويستبين منطقى وأننى على صواب.

لله ، ذى الليلة ، ما أشد ما يندفع المهر به !

دان : (يلحق « بنيد » عند الباب) ؛ :

انهما مهران ، على الطريق ، آخر أتى معه .

هـــارت : (مرعوبا) : اثنان آتيان ؟

نيـــد : ذلك « جو » أراه آتياً ، لا ريب فيه

لكن من يكون الآخر الذى معـــه ؟

هـــارت : « شيريت » ربما ؟

دان : بل الذى أتى معه ، يبدو امرأة .

فيـــد   لا ليس « جو » حقيقة مغفلاً ، ليحضر النسوة ها هنا !

هــأرت   : ما همه ، في مستوى استهتاره ، أن ينزل الشر علينا وعليه .

دان   : ليست خليلته ، هذى التى معه

ان فتاة الحان كالثور الخصى كبرا ومظهرا .

نيــد   : يعجب (جو) الشواء من لحم البقر .

لكن ذى (القنغرة) الصغيرة . ماذا أتى بها هنا ؟

قلت لها ألا تجئ هاهنا ان لم أكن أنا الذى استدعيتها .

هــارت   : لا بد أن يكون محذور حصل .

نيــد   : ذلك جائز .

دان   : لله ما أشد ماهما به من عجلة ، مهما يكن من أمره ، حتى كأن الغاب من خلفهما مشتعل .

هــارت   : أعجب ان لم تكن الشرطة آتية !

من بعد أن رآك هذا اليوم « هير » —

نيــد   : (على أشد ما يكون عجلة) :

رباه ، ماذا قد حصل ؟

دان : فتاتك « الغرة » يبد وأنها متقدة . كعهدنا بها حرارة وسورة .

إن لظاها تبتغي ان تطفئه .

نيـــد : دعها وشأنها .

ماذا دهاها فأتت صحبة « جو » ؟

هـــارت : لقد أحل نفسه محلك ، ومن هواها خلعك .

دان : ان اتجاه « جو » نحو الأباريق الكبار الباردة ، مـــن الجعة ،

وليس يرضى (القنغرة) فهى كمثل جرعة صغيرة وحارة من خمرة « الروم » المسكرة .

نيـــد : (ينادى من الخارج عند المدخل) : « جو » ماذا ضاركم ؟

الغـــرة : (من خارج المسرح) : يا « نيد » احتفظ بقميصك .

(تدخـــل « القنغرة » ، ويتبعها « بيرن » . ترتدى « الغرة » زى فروسية أغبر ، وهى قصيرة القامة ، ممتلئة البنيـــة ، سمراء السحنة ، من صنف النســاء اللائى يصبحن مع تقدم السن بهن بدينات وخشنات المظهر ، ولكنها في سنها الحالى — لا أكثر من اثنين

وعشرين ربيعا ـ ذات جاذبية حسية . في سن يتفق مع ما تبديه من فظاظة القول والطبع ، وهي مستفزة أكثر منها متمردة . وهي تخفف من غلواء طبع « نيد » العفوي فهي وقاح الطبع تجاهه ، ولكن البادي للعيان أنها غارقة في حبه . وحينما تدخل ، تتجه إلى « نيد » لكي يقبلها ثم تسير متجهة إلى المدفأة) .

نيـد : لعنت الظروف ، ماذا استجد من امور ؟ لم أتيتما ؟

بـيرن : عناية السماء ، يا « نيد » ، عناية السماء .
انفضحت سوأة « شيريت » وبان امره ، حقيقة .

نيـد : « شيريت » خائن ؟ هل باعنا ؟

الغـرة : قد خانكم ، وباعكم .

هـارت : ألم أحذركم ، إذن ؟

نيـد : لا بأس ، سوف يتلقى النذل منا ما يسوءه .

بـيرن : ليس له سوى الردى عقوبة ، فليستعد لقبولها .
كان رفيقي ذات مرة ، ثم انتهى مابيننا .

نيـد : قولا لنا عنه الذي عرفتما .

الغـــرة : لست حريا بالذى أعرفه قد مَضّنى الركوب طيلـــة
الطريق كلها لأنذرك .

وما لقيت منك ؟ يا عجبي للنظرات القاتمات الغاضبة

نيـــد : يا « غرتى » لا تكتمى عنى الخبر .

الغـــرة : قد باعكم جميعكم لفرقة الشرطة لقد رأيناه صبـــاح
اليوم بينهم .

نيـــد : رأيتموه ؟ أى شئ كان يفعل ؟

دان : « هارون شيريت » اذن ضالتنا !

الغـــرة : ان رجال الشرطة ضربوا خيامهم في الشعب خلف دار
(بيرن) ،

وكان « هارون » لديهم ذا الصباح . فى البكور قد
رأيناه ،

وقد نام على الثرى ، وحوله خيالة الشرطة .

بـــيرن : هى وأمى رأتاه . زحفتا على الخيام في السحر .

نيـــد : هل كان « شيريت » حقيقة ؟ بكل تأكيد هما قد
رأتـــاه ؟

الغـــرة : لم بحق الجيم ، تظننى عدوت با لجواد

وجئت حتّى هاهنا ؟ للمنظر الجميل أضفاه ضيـــاء القمر المطـــل ؟

كدت أدق عنقى . أتيت كى أحذرك .

قد باعكم « هارون شيريت » ، ولا بد من الخروج مـــن هنـــا .

نيـــد : والله لن ينقل لى من هاهنا قدم . أهلا بهم يأتونني إلى هنـــا ،

ليأسرونى ، فليجربوا :

الغـــرة : رحماك يا « نيد » فلم يعد هذا المكان معقلا ،

لا بد من أن تتركـــه

نيـــد : لن أتركه ، وذاك كل ما لدى من قرار

هـــارت : هل يعرفون أين نحن ؟

الغـــرة : لم أقطع الركض لكى أسألهم .

نيـــد : من أجل هذا سوف يلقى حتفه ؟

الغـــرة : بل ستموت أنت ، أيها الغبى .

ولم يعد ذاك يهمنى .

نيـــد : بل انه يحنيك لاتتدللى ، اقتربى مـنى وهاتي قبلـة
(يقبلهـا)
هون عليك « جو » ،
لست ملوماً ، حسب ما أرى ، عما جنى « شيريت »
من شرور .
سوف نرى في أمره ما يجب .

الغـــرة : بل قد رأى — هو — في أمركم ما يجب .

نيـــد : كيف توصلت إلى فضح حقيقته ؟

الغـــرة : البارحة ، أمسيت عند آل « بيرن » .

دان : تعرف من امرك ما حصل .
مررت ذااليوم بآل « سكلين » وخبرونى ما جرى .

الغـــرة : انك مجنون بلا صواب ،
لكم تجوس فرقة الشرطة حول ذلك المكان ليل نهار .

دان : اليوم كادت تنالنى قبضتهم . لكننى راوغت مشرف
الشرطة ،
وسلم الله ، وفُتُّه .

الغــرة : لو كنت زرت دار آل « بيرن » ذا النهار ، لكانت الشرطة فعلا صادتك ،

هناك منهم ثلة متربصة في الشعب كي تأسركم

كأنهم مصيدة الارانب ناظرة لآل « كيللى » يطئونها .

بــيرن : أخبرتنى بأن أمى لم يمسها أذى وأنها بخير .

الغــزة : لا ، لم يمسوها بسوء . أنت تدرى أى صنف من النساء هى ،

تقدمت السن بها ، وظهرها مقوس ، وكل وقتهـــا مغمغمة ،

ضحكتها كنهقة الحمار ، هذا اذا عنّ لها الضحك ، وقط لا تضحك الا نادراً .

لكنها اذا تنمرت —

بــيرن : نفسى الفداء للعجوز الطيبة ، مرحى لها !

كأنها شجرة صعقها البرق وهدها ، يالى منها حينما تَصِرُ أو تزعق صارخة ، يقف شعر المرء من صرتّها ، كأنما تنبعث الصرة والزعيق من غيابة القبور .

الغــرة : يا « جو » ما البرق الذى صعقها وهدها سواك .

بـيرن : ما بيدى من حيلة كى أمنع الرزء الذى حل بها . كذاك قد شاء القدر .

الغـرة : لكن يكفيها بأن الشمس مازالت عليك مشرقة .

وحينما تحس أن خطراً يحدق بولدها الشجاع « جو »
عضو العصابة المظفرة ، عصبة « كيللى » الباسـلة ،
تبدو كقطة ضاربة مستنفرة .

لقد عرتها ، أمس ، ريبة أن الشرطة في المجال حولنا ، يطوقوننا ،

كأنها تنسمت ريحا لهم . فقضت النهار كله ، تُعمِل أنفها تشمُّما ،

راعشة الجسم مغمغمة ، وتقسم الايمان أن قلبها يلهما بأنهم من حولنا .

وما بدت في الغاب من دلالة عليهم ، لا صوت أو دخان .

لكنها لم تستقر ، والبارحة ، في آخر الليل هـداها حدْسها ،

ان غريبا كان يمتد على الثرى ، في الغاب من خلف فناء الماشية ،

فأخرجتنا لنرى باحثتين . فقد يكونون هناك ، في الظلام ،

لكننا لم نستطع رؤيتهم . يا « نيد » قد خامرني الخوف وهالني .

لكننا سرنا على طول الطريق جانب الممر . —

والبرد كان قارسا يرعشنا ، في حلكة الظلام .

ثم تسلقنا الرعن ، أنف الجبل الذى يقع في ناحية اليسار ،

وفي الظلام ، أقمنا وقتا في انتظار وصمت حذر .

والله ، لولا أنني قسرتها على الرجوع ، لبقيت حيث هي حتى تصير قطعة من البَرَد .

نيـــد : قد كان ممكنا أن تصابا ،

الغـــرة : لا شك أن ذاك ، كان سيضنيك كثيرا وسيقلقك .

نيـــد : ما الذي أقدر على صنعه بدونك ؟

الغـــرة : تزوج فرسك !

نيـــد : أظنها ، ليست تغيظ أو تثرثر .

الغـــرة : اذن ، فسلها ما الذى تعرفه ، تخبرك عن « شيريت » .

نيـــد : أنت التي أسألها ، هلا أجبتني ؟

الغــرة : قمنا من النوم مبكرين ، فكرت العجوز

أنّ الشرطة يتربصون ساهرين الليل كله ، ثم ينامون سحابة النهار .

وقد تسلقنا الرعن ثانية ،وبعض همنا أن نراقب الشرطة .

لكن همنا حقيقة كان لكي نبحث عن لفاع أسقطته ام « جو » .

وقد وجدناه ، وبينما كنا هناك نقف ، نثرثر

أمسكت بساعدى العجوز ، ثم أشارت ، فإذا بقطعة لامعة بيضاء ،

من علبة قصدير . غطاء علبة يلمع في الشمس عـــلى جانب صخرة

وكان بيننا وبينها أخدود .

وكان ممكنا ان يكون وهج الشمس على ورقة مـــن الشجر ، أو بضعة من ماء .

لكنها ما انقطعت هاذرة مرددة : « بل قطعة قصديره »

« وحق أم السيد المسيح ، قطعة قصدير حقيقة . »

لكن ما لقطعة القصدير ، وهى لم تكن في ذلك المكان قط ،

يغمز طرفها هناك ، وليس عندها أحد ، في حدرة التل بلا أنيس ؟

بل هذه اشارة من السماء .

وبعدها بدأت العجوز تركض ، ناحية الهدف .

بيرن : عينان مثل عيني غراب .

الغرة : وطفقت واثبة فوق الصخور مثلما يقفز قنغر فتي !

ثم انحدرنا داخل الاخدود ، ثم صعدنا الرعن حتى قطعة القصدير .

وهذرت مهتاجة بلا توقف : « علبة سردين » — ولم تكن سوى علبة سردين —

وأردفت : « من الذى تعتقدين ، غير رجال الشرطة الغلظاء ، المتخمين يمتعون بقصاع السردين في هذه المنطقة التى يعضها الجوع ويضنيها السغب ؟ »

وعلبة السردين كانت سببا أنجى حياتكم من التلف .

بل العجوز أم « جو » ،

وعلبة السردين بعد أن غدت في يدها مستمسكا .

نيـــد : « باور » ذات مرة كان له طاوُوس .

وكان طاوُوسا يفوق أى كلب حارس . . . وحينما كان يحس الغرباء قادمين تسمعه يزعق من مسـدى عدة أميال بلاعناء . لكننى أرى النساء خيرا منـــه في الحراسة .

الغـــرة : كنت أظن أنك تفضل الخيول ! .

استنظرتنى بينما حبت حتى شفـــا الرعن على اليدين والركبتين

ووجدتهم نائمين دونه .

دان : ومعهم « هارون » ؟

الغـــرة : لم أره أنا بنفسى ، غير أنها قد اخبرتنى بعد ذاك .

قد ضربوا خيامهم في جانب من غور ، وكانوا فوق الارض نائمين .

وكلهم تلفعوا أدثرة الصوف الثقال .

وكان هارون لدى موطىء رجلها ، تكاد أن تدوسه واعتقدت بأنه كان قتيلا ، بادئ بدء .

لكنه ما كان ميتا .

نيـــد : لله ما أسوأ حظنا اذن .

هـــارت : ياليتها قد اجهزت عليه ! لكنها لم تغتنمها فرصة

الغـــرة : إن المكان يغص بالشرطة ! ووقعت بيدهم .

دان : ألم يمسوها بسوء ؟

الغـــرة : قد أنبتهم بحديث كله ارهاب .

بـــيرن : ما كان من بسائط الحكمة أن يجرب الشرطة أن يلقوا بأيديهم على والدتى .

نيـــد : ولم يكن أيضا من الحكمة أن يلقوا بأيديهم على أم بنى « كيللى » وانها هناك ، في السجن في « ملبورن » .

الغـــرة : لقد تحدتهم بأن يمدوا نحوها يدا .

قالت لهم بأنكم ستصنعون بهم كصنعكم بالآخرين

عند الممر ، في « سترنجيبارك » .

نيـــد : قد لا تكون كذبت فيما رمت اليه .

بـــيرن : هل تحسبين أن هارون درى بأنها رأته ؟

الغـــرة : ربما لم يعلم ، لكنه لاشك سوف يعلم بأنها قد زارت المخيم . ولن يسره الخبر .

بـيرن : ما أطول الليل على من لم ينم ، أبشر بطـول الليـل يا « هارون » .

دان : والليل ما أطوله علينا نحن ؛

نحن هنا نضيع وقتنا سدى ، وتلكم اللحمة مازالت على الحافر –

« شيريت » فوق مهره ، حرا طليقا ، رغم ما أساء .

هـارت : يا « نيد » ، ماذا نفعل ؟

نيـد : ماذا ترى ؟

هل نعتلى الاغصان ، مثلما يفعل طير العقعق ، نزعق؟

الغـرة : هل ستعدمونه ! ياليتنى أنا التى أقضى على النذل الجبان

نـيد : عودى إلى البيت وذا خيرلك .

الغـرة : شكرا على تلطفك !

دان : أنا الذى سأحسم الأمر مع « شيريت » .

بـيرن : لاتأخذ الأمر ارتجالا ، هكذا .

دان : هل تنوى تخلفاً عن الفريق ؟

بـيرن : لا ، يا أخى لكننى لاأنتوى تسرعاً .
فهذه مهمة خاصة .

نيـــد : هى خاصة لكنها عاجلـــة .

الغـــرة : يا « نيد » تبدون جميعكم مضطربين هائجين .
هل سركم انى حملت هذه الأنباء كى أنذركم ؟

نيـــد : أنت فتاة طيبة
خير لك أن تغربى عنا .

الغـــرة : ماذا ستفعل ؟

نيـــد : لاشئ مما سوف يرضيك بأن تريه
بل انه شئ من الخير ألا تعرفيه .
والآن با الله اغربى عنا !

الغـــرة : لست على عـــجل .

نيـــد : يلعنك الله ، أقول انصرفي !

الغـــرة : والله لن أذهب الا حينما أكون جاهزة .
أتيت ها هنا من بعد ما كدت أموت فوق صهـــوة
الحصـــان ،
أمضنى البرد ، ولم أنم
وقلت لى : « شكرا » على ذلق اللسان .
اذهب اذن إلى الجحيم .

تعنى بأمك الغالية الحبيبة أكثر من عنايتك بى .

نيـــد : هذه كلمة حق نطقت بها .

الغـــرة : لله ، ما أقساك .

نيـــد : لربما اكون أقسى من تصورك . فليس « شيريـــت » بمفرده ،

بل كل شرطى تطاله أكفنا ، ومعهم كلابهم ســـود الجلود كلها ،

وكل من يمد كفه معونة لهم ،

من أجل هذا كل هؤلاء سوف يـــعدمون .

الغـــرة : (بعد أن يتغلب فضولها على غضبها) :

هذا الذى تقوله قول مجرد ، ولست تنوى ما وراءه ، أم أنا واهمـــة ؟

نيـــد : ان الذى سأصنعه ، شئ فظيع ليس ينسى أبدا .

عودى إلى البيت وفيه انتظرى . سرعان ماسوف أراك

الغـــرة : با لله لا تهتم بى !

نيـــد : بحق حب الله ، هيا انصرفي !

خلى لنا وقتا لكى نبتدئ العمل .

بــيرن : (يمسك با لفتاة من ساعدها ويقودها إلى الباب) :
الخيران تنصرفي .

الغــرة : يا « كيللى » ما أقبح سحنتك !
طبعت فوقها نية قتل واغتيال ودماء .

نيــد : ما تلك با لنسبة لى ؟ تستغربينها على ؟

الغــرة : خيرا اذن ، لاشئ من ذاك يهمنى ، وأنا أيضا ليس بالنسبة لى من ذاك شئ .
فانت قاس مثل الأظافر التى قد أشربتْ دماً . نفسى منــك ترجف .

نيــد : يا « غرتى » تأتى على الأنسان أحيان يُرجف فيهــا نفسه بنفسه .
فنحن مجبورون أن نفعل ما نفعله ، وذاك كل مايهم في الموضوع .

الغــرة : يا « نيد » قل متى اراك ثانيا

نيــد : بعد انتهاء عملى .

الغــرة : « نيد » خذ الحذر ، اجعل على نفسك منك حارسا.

نيــد : أوصى بذا الكلام « شيريت » وفرقة الشرطة.

حين احتياجي لك سوف أنبئك . ان لم يصل اليــك
مني خبر
فاختاري شخصا آخر ، فسوف تحتاجين واحدا .

الغــرة : (تخرج مختالة وصدرها منشرح) :
ذلك ما أســهله .
فكلما رآني مشرف الشرطة أجال عينيه ، بكل مــا
فيها من البياض ، مبحلقا منبهرا .

نيــد : (ضاحكا) : اذن خذيه صاحبا ، كي تجهزي عليه.

الغــرة : يبدو أنني ، سوف أصنع الذي تنصحني به .
إلى اللقاء .
(ثم تخرج) .

نيــد : أيتها الغرة يا حبيبتي اللعوب ، الى اللقاء .

بــيرن : لله ما أقساك يا « نيد » على الفتاة .

دان : أظنها تحب في الوردة شوكها .

نيــد : سأبذل اللطف لها عند لقاء آخر ، وفي مكان آخر .
اما هنا فاننا في موعد لــننجز العمل .

بــيرن : يا « نيد » ماالذي جال بخاطرك ؟

نيـــد : نقتل « شيريت » . فهل يوجد من يعارض القرار؟
يا « جـــو » ، أنت مثلا .

بـــيرن : يا « نيد » انى قد قفلت منفذ الجدل .

نيـــد : وأنت يا « هارت »

هـــارت : أنا أرى ، لابد من أن نشنقه .

دان : لابد من ايقاعنا به ، لنقضى عليه .

نيـــد : خيرا اذن ، قد قضى الأمر فلا محيص .

بـــيرن : وبعد ذاك ، ما نحن فاعلون ؟

هـــارت : نجلو إلى « كوينزلند » .

نيـــد : لا ، ثم لا ، ولا ! هذا كلام ليس يقبل الجدل .
بعد قضائنا على الذى قد باعنا ، نقضى على من اشترونا منه .
فحينما يصرع « شيريت » سيهرعون كالذبـــاب فوق جثته .
سوف نلقاهم مكان مصرعه . بعد انتظارنا لهم .
قلت لكم بأن « نيد » لن يفر . ضاق المجال وانتفى المفر .

فأى معقل ينفعنا لكى نحله ، ونختفى ؟

هل نختفى ؟

أم هل نفر ؟ لا ، لا مفر ، لا اختفاء .

هل نختفى ونهرب من الكلاب ، سود الإهـــاب ،

والمخبرين مثل « شيريت » اللعين ؟

ياناس هل نفر ، من الشرطة ثانية ؟

فنحن لم نفر في « ستر نجيبارك » في يوم الممر .

لقد أرادوا ان يلقنوا درسا فَلْيُلَقنوهُ ثانية .

بـــيرن : ذلك يبغى عملا لا يستهان به .

نيـــد : لكن هل ستعمله ؟

بالله ان لم تبتغ ان تعمله ، فاخرج اذن وخلنى !

بـــيرن : لكننى هنا وما خرجت .

نيـــد : وانت يا « هارت » ـــ إن تبغه زحفا على البطون

حتى « كوينزلند » فلتبدأ الزحف اذن من حيننا هذا .

هـــارت : ما قلت قط انني أبغى الذهاب واحدا بمفردى

أنا مع الفريق في حل وفي ترحال .

دان : فما سبيلنا اذن إلى « شيريت » ؟ ان كان مازال بصحبة الشرطة —

نيـــد : لا ، قد يكون عند أهله في عشته . وجوده مؤكد في منزله .

سيعلمون اننا بلغنا الخبر ، واننا على حذر .

ولن يظلوا مرصدين في الجبال .

الخير كل الخير أن نبدأ في الحراك .

بـــيرن : أرثى لهارون ولا أرحمه .

كأنه الكبش المسمن الخصى في الفناء ، ينتظر الجزار أن يذبحه .

ان الكباش دائما تحدس بالمصير . وحتمها يبدو مطلا من عيونها .

لكم تسبب الاذى لنفسها ، حين اندفاعها في وجهة القضبان في الحظيرة .

فلن يريحني أن أكون « هارون » ، أو أكون زوجته .

دان : تبغي انحرافاً ام تريد أن تأبى تقدماً ؟

بـــيرن : يغلبني مجرد التفكير .

هارت : يا « جو » كم تغرق في التفكير .

بـيرن : حسنا اذن ، تكفيك أنت قلة التفكير . أقل من القليل من تفكيرك الملول .

فانى ما سرنى منك ان تجهد عقلك الجبار في خفـة وزنه بمحنـة التفكير .

نيـد : يا « جو » ، والشرطة : ما أفضل ما نصنعه ؟

هل نتخذ من بيت « شيريت » لهم مكتمنا ؟

بـيرن : نقدر أن نفعل ما تراه ، لكن يا « نيد » ما المكـان مأمنا ولائقة .

ان الشرطة سيجيئون حشودا ، وكذا قصاصة الاثر تقذفهم « ملبورن » في وجوهنا .

نيـد : غدا الأحد . ان القطار في اجازة الاسبوع ولن يجئ .

الا اذا تكلفوا أن يبعثوه خاصة .

بـيرن : لا شك أنهم سيبعثون واحدا .

فطالما قيمتنا عدا وبالدينار آلاف ثمانية ، أحرى بـنا اذن ،

أن يبعثوا لنا القطار الخاص .

نيـــد : أن يبعثوا لنا في داخل القطار شحنة كاملة من الشرطة

بـــيرن : بكلٍ ما لديهم من الأنواع ، قصاصة الأثر ، ومـــن يلفٌ لفهـــم .

والله كم يشغلني التفكير ملحفا بذلك القطار .

نيـــد : للاسف الشديد لم نقدر أن —

بـــيرن : يا « نيد » ما الذى جعلنا لا نستطيع .

نيـــد : والله ، نستطيع ، بل لنستطيعن أن نبلغ الحلىّ ،

كلهم مجتمعين سيكونون على القطار . يا « جو » قد أدركت ما أقصده ،

فلا عجب تلك كبيرة ، وفرصة ليست تكرر ،وتلك ما أردت .

يا « جو » اننا في موعد والعمل الجليل .

دان : سننجز المهمة العظمى بكل يسر . فما هو خير مكان للمداهمة ؟

نيـــد : السود في « ملبورن » ، ومعظم الشرطة في« بنلا » .

وآخر المطاف للقطار في « بتشورت » .

خير مكان للمداهمة ، في بقعة معزولة مـــا بيـــن « بتشورت » و « بنلا »

أي مكان سيفيد للمداهمة ، يكتنف الغاب طريـــق
السكة الحديد كلها ،
وشجر الغاب كتوم لاتبوح با لاسرار ، ومثلها في
طبعها الابقار .

هارت : لابد من أن نتوخى موقعا ، الناس فيه لا يحبـــون
الشرطـــة .

نيـــد : اذن « جلينـــروان » .

بـــيرن : « جلينروان » المنى وهى كذلك الطلب .

دان : الناس فيها غالبا من حزبنا . أنا عليم با لمكان —
الجسر في مرتفع في الخط الحديد في ناحية « المركز » .

نيـــد : يا « دان » في « الربوة » تقصد ؟
هناك حقا مقطعة ، وقلّما يمر في ذاك المكان أحد.
كما تغطيه الشجيرات الكثار .

دان : سوف تنوء القاطرة ، في سيرها صاعدة في المرتفع .

نيـــد : الغور فيما حولها عميق .
ودفعة تنتابها سوف تَهِي بها تدحرجا ، رأساً عـــلى
عقب
في أسفل الاخدود .

هـــارت : للأسف الشديد قد لا نستطيع فعل ما نريد .

دان : سوف يهى القطار ، سوف يصير مزقا مهشمة .

امنيتى أراه هاويا إلى الحضيض .

نيــد : وان يكون السود في داخله ، يا للمنى .

وتنتهى أتعابنا . قد قلت إننى سأحرق الاشرار .

بــيرن : اذن فذاك ما تريدنا نفعله بهم ؟

نيــد : هل انتم ناوون فعله ؟

بــيرن : لابد من أن نقلع السكة كى نستوقف القطار .

اذا نسينا صدفة أن نوقفه ــ

نيــد : اذا نسينا صدفة .

أظن أن الأمر سهل أننى أنسى .

هـــارت : لنفترض أن تحطم القطار لم يجهز على جميع مـــن في داخله .

فنحن نستطيع أن نكمن في غاب الشجيرات القصار ،
ومن خلالها يصطادهم رصاصنا .

دان : ضخامة القطار فوق ما يقاس ، لعنة الله عليه .

لابد أن يحث في جانبه ثقب ومن جرائه يموت
عشرون ،
وقد يفنى ثلاثون من الرجال .
لكنهم سيبعثون للقائنا الجنود .

نيـد : لسوف يعرفون ، عشرين عاما ، وسَينصبون كلما
بدا لهم ذكر اسمنا
ستتلقى الصحف السيارة الاخبار ، تنشرها في كل
ناحية ،
في « استراليا » وفي أنحاء كل الارض .
وسوف يغدو ما فعلنا فائقا في قدره لكل ما جرى
على المدى في الغاب .
قلت إني فاعله ، سأوقد النار على الأعلام قبل أن
أموت .

بيرن : يا « نيد » انى معك ، وانني لفاعل ما تفعل ، فما
الذى يدعو إلى الإحجام ؟
وما الذى يبقى لنفعله ؟
قد نحرز الأمان فترة من الزمان . لكننى يا « نيـد »
أتدرك ،

فسوف نغدو حفنة من الرماد قبلما تخمد تلك النار .

دان : ما أضخم الأمر عليّ ، لعنة الله عليه ، ماأضخم المخاطرة ،

وما أشده صنفا من الجنون .

لست بهياب أن أقتل « شيريت » ، وأن أطلق نيراني على الشرطة ،

لكن تحطيم القطار فوق ما يطاق ، يا « نيد » عد عنه إلى الصواب .

هارت : والله لن ينسوا لنا فعلتنا إلى الأبد .

نيد : فما نسوا قط « ستر نجيبارك » في يوم الممر .

وما الذى يكون في فعلتنا مستغربا ، اذا أتحنا فرصة ثانية لهم ، لكى يتذكروا ؟

ففى « سترنجيبارك » في يوم الممر ، كنا جميعا واقفين عصبة متحدة .

والآن نحن عصبة واحدة مجتمعة ، فيما نريد أن نقوم به ،

في « جليروان » . وليس دوننا سوى عصابة من الكلاب السود .

بيرن : ومعها يا « نيد » عصبة من الرجال البيض .

نيد : من يا ترى الملوم ؟

دعهم يجربون حظهم ، يصطادوننا بفرقة الكلاب ،
سود الاهاب

هم يقتفون أثرنا بالاكلب السود ، وبالمخبر والجاسوس
فلم يكونوا شرفاء في قتالنا ، من أول القتال ،

وكم بدونا ناعمين ، لا نشذ في عدائنا لهم .

هل تحسبون انهم إذ يلتقون ، يقول بعضهم لبعضهم :

« وارحمتا « لجو » ! ، وارحمتا « لدان » !
وارحمتا « لستيف » !

واخجلا من فعلنا بهم ! واخجلا من صيدنا لهم ،

ومن اطلاقنا الكلاب السود خلفهم !

واخجلا من أننا نرهب أهلهم ، ونشترى رفاقهم

العار كل العار ان نشنقهم ! »

لا ، لا أعير واحدا من الشرطة حينما أزيحه من الوجود
إلاما أعيره ذبابة حين أذبُّها .

دان : ولا أنا .

هـــارت : سحقا لهم !

بـــيرن : الا ترون ما أرى ؟ أرى قطارا مقبلا مدويا مقعقعـــا

يزلزل القضبان ،

يصعّد الدخان ،

ثم يفوت شجر اللبان تاركا دخانه بين غصونها ،

أرى الشرطة يشرفون من نوافذ القطار ،

يشاهدون الغاب ، والمروج ، والأبقار نافرة ،

تبدو لهم وهم خلف الزجاج .

أرى الشرطة يشرفون من نوافذ القطار ،

يشاهدون ، لكنهم لايميزون مما يرون شيئا .

هم قلقون ، كي يبلغوا « بتشورت »

لكنهم لن يبلغو ها أبدا .

من يومنا هذا إلى خمسين عاما مقبلة .

سوف يجيئ السائحون ، إلى « جلينروان »

ليشهدوا القطار في حطامه يصدأ في الاخدود .

نيـــد : سوف يكون مشهدا يعجبهم منظره .

وذاك ما يرجون أن يروا ، وذاك ما سوف أتيحه
لهم لكى يروا ،
وكى يدور حوله حديثهم ، مما يهولهم أن يبدعوه هم.
الامر مقضى اذن يا « جو » ؟

بـيرن : لست أنا « شيريت » . يسرنى أنى سأجلو من هنا ،
ايضا

لأبدأ العمل . إنا نُتخم هاهنا ونتّن في داخل الدغل
الرتيب .

قد كنت مدركا صواب ما قلت به برغم أنى كنت
مكابرا ،

لا أبتغى أن أقبل بالصواب .

تأكّل الخوف حياتنا ونابها السأم ،

وبينما ذوت نفوسنا وفُتّتت، تعطنت نفوس صحبنا ،
اليوم لابد لنا من وهج الشمس ونورها .

وإن تحطيم القطار سيكون وهَجا ذا عنفوان .

سيضحك الكميّ حينما يزاول القتال .

في ذا الوجود قَذر لابد من احراقه ، لكى يطَّهرا.

وإن مِن ذاك القَذر ، صديقى الصدوق « هــارون » الحبيب .

نيـــد : اذن فلابد من الخطة للعمل :

سنذهب الآن إلى منزل « شيريت » ، ونُردِى الفأر وسط جحره .

وبعدها نسرى إلى « جلينروان » كى نحتلها غدا .

ان لم نبادر ، وهو أمر لا مفر منه ، لأنذر الـــشرطة منذر ،

وأوقف القطار قبلما نوقع به .

وفي طريقنا إلى « جلينروان » سوف نتلف القضبان .

وموعد القطار بعد ظهر غد ،

أو أنه يجىء في الليل غدا .

دان : فهل ترون أخذنا دروعنا ؟

بـــيرن : لسنا بحاجة لكى نرى كأننا مجموعة من علب قديمة من الصفيح . .

دان : قد يقتضى الأمر بأن نخوضها معركة حامية الوطيس .

نيـــد : لنأخذن معنا دروعنا المصفحة .

هيا بنا في العمر مرة واحـــدة نخوضها حربا عـــلى الأصول ،

ان لم نخضها مرة ثانية من بعد هذه .

فلا نريد ان نخوضها معركة مبيدة ، لكنها ان دعت الظروف ،

وحتم القضاء ان نخوضها ، فلن يصيبنا من الرصاص من أذى ،

أكثر مما قد يصيبنا منهمرا تصبب البرد .

وسوف تغدو النار بردا وسلاما حولنا ويذهلون

معتقدين أنهم جُنُّوا فلم يقووا على السداد والتسديد.

هيا اذن ، هيا على الكفاح .

بـــيرن : « شيريت » لايحتاج أن نغزوه في عقر داره جميعنا.

اثنان منا ينهيان أمره ، واثنان يذهبان إلى « جليتروان »

مهمة التخريب في القضبان تقتضى بعضا من الزمن ،

لابد أيضا أن تؤلبا أهل المدينة ليصبحوا في صفنا .

نيـــد : ليست « جليتروان » أمرا مشكلا كي نخضعها ،

فالناس فيها يعرفوننا . لكننا لابد أن نحسب للوقـــت حســـابه .

: « جو » انها لفكرة صائبة تلك التى ارتأيتها .

أنا الذى أمضى إلى منزل « شيريت » لقتله .

وأنت هل ترى بأن فى وسعك أن تمسك الزمام في « جليزوان » ؟

بيرن : أقدر أن أمسكه ، بلى .

لكننى أرى بأننى يحسن بى أن أحمل العبء الاخير .

نيد : أنت الذى تمضى إلى منزل « شيريت » لقتلة ؟

أنت فتى يا « جو » خير أصيل . فقبل فترة قصيرة أمرضنى الظن بأن وهمت أن قد كنت مزمعا تخذلنى .

وأنت تبغى الآن « هارون » ، تريد أن تكون قاتله؟

دان : يا ليت قتله يكون من مهمتى .

بيرن : تقدر أن تأتى يا « دان » معى . نعم « فهارون » يخصنى

قد كان دائما يخصنى ، كان رفيقى ،

كان أخى . وأختى ، كادت ، ذات مرة ، تصير زوجة له ،

قبل اقترانه بمن غدت زوجته ، أدخلته عصبتنا ،

أراد أن يلحق بتنظيمنا ، وقد أنطنْا عملا آخــر وآخــر به ،

وكان منتجا إلى حد مشجع ، حتى أتى عليه وقــت باعنا فيه وخاننا .

نيــد : لست ملوما يا أخى على خيانته .

بــيرن : «هارون» زوج ، وفلاحة التلال صعبة ،

ثم النقود تنفع الفتى ، وان آلافا ثمانية ، من الدنانير لثروة .

لكننا أنا و « هارون » درجنا في الصبا معا في المدرسة

كم قد عبثنا ، ولغونا مرحيْن ، كم قد سبحنا في الغديــر ،

بل كم صلتنا الشمس نصطاد جراد « الأربيان » في مياه الجدول .

بل كم مضينا نكشف الكهوف طامعين في الكنــوز الكامنــة ،

تلك التى خلفها « مغيرة الغابات » والمغامرون

هارت : تحقق الحلم وفكت المطلسمات ، والكنز بان

هارون صاحبه ، وهى دنانير بآلاف ثمانية .

بـــيرن : ما كان أطيب الغدير من مكان ، ولم يكن ســـوى بحيرة في الوحل ،

لكنما الصفصاف حوله ، لون مائه بخضرة الأمل ،

وما رأينا الماء جاريا ،

لكنما النقيق كان عالى النغم ، مثل الحرير في تدفق الأنهـــار .

وكانت الضفادع الصغار والكبار ، يعاو نقيقها كأنه تصادم الأحجار .

في المياه وهى جارية ، وتحت سطحها ،

وكان في العشب طويل الساق أحناش لها صفير ،

« قد انقضى ، لقد قضى ، لا تأسفوا عليه »

ذلك ما كانت تقوله حكيمة الضفادع الكبار .

نيـــد : اذن ، « فهارون » انقضى ، وقد مضى ، لا أســـفا عليه .

بـــيرن : وبعد ترك المدرسة ، لم نفترق ،

لكم لحقنا الفتيات صحبة ، وكم سكرنا رفقة ،

وكم ركبنا الخيل فرسانا معا ، وكم رمينا بالرصاص من سلاحنا ،

نيـــد : لقد نفضت الآن منه كفك الشريف .

بـــيرن : بعد قليل سأكون قد نفضتها .

أرى بأن يجدد اللقاء بيننا ثانية ، ومرة واحدة ، من أجل أيام الوداد الخالية .

لكن لن يسره بأن يرانى ثانية . في هذه الليلة قلت :

إن يرتكب « هارون » في حقى خيانة الصديق .

فليس في الدنيا امرؤ يمكن أن أمنحه من ثقتى أيسرها.

» هارون « قد غيّر في عينى شكل الكون كله .

وقد يكون الآن جالسا في بيته ، وعند زوجته ،

ينتابه ذعر شديد ، حسب ما أحس ، غير أنه يخال أنه حى يرزق ،

والارض مازالت هى الارض كما هـــى ، لكـــن « هارون » على خطأ ،

فليست دنياه سوى ملء فم من الحرام والقذر ،

وان » هارون « لميت في عداد الميتين .

نيـــد : أظن يا « جو » أنه يدرى مصيره .

بـــيرن : آمل أنه يدرى به .

والله انى أحس أن قتله سوف يكون ممتعاً .

يا « دان » هل تأتى معى ؟

(ينبل بندقيته ويستعد للخروج)

دان : (ينبرى خفيفا مهتاجا) : والله انى معك .

هـارت : أريد أن أطلقها رصاصة على « شيريت » .

نيـد : لا ، أنت باق صحبتى ، لسوف تلقى كل ما توده من الإثارة .

تخريب قضبان الحديـد ، وان ترى « جلينروان » خاضعة مستسلمة .

« هارون » قد يعرف ما سوف ينوبه من العقـاب ، وما يحل به .

لكن هؤلاء الآخرين في « جلينروان »

سوف يظنون بأن البرق قد خطفهم .

بـيرن : هيا بنا يا « دان » .

دان : حسنا اذن يا « جو » .

نيـد : بقدر امكانكما من سرعة أرجو بأن ينهى العمل .

سنلتقى في الحان عاجلا .

بـــيرن : في الخان في « جلينروان » ، لن يقتضينا قتل « هارون » طويلا من زمن

نيـــد : خذوا من الشرطة حذركم ، « هارون » قد يكون عنده من يتقى الشر بهم .

دان : قل للشرطة يأخذون حذرهم من شرنا .

بـــيرن : والله إن يعترضوا السبيل دون بغيتي

لا لقوا وقتا لكيما يأسفوا على حياتهم .

نيـــد : اذن ، فطاب صيدكم !

دان : هل تحضر الدروع ؟

نيـــد : لسوف نأتيك بعلبتك ، سوف تكون « سردين » .

دان : مرحى ، اذن ، يا « ستيف » .

هـــأرت : بيني وبينك الشراب في « جلينروان » ، في « الروم » سوف أغلبك .

بـــيرن : لسوف تضطران أن تستعجلا . يا « نيد » حتى نلتقي الوداع !

نيـــد : إلى اللقاء .

ثم وداعا طويلا لهارون ؟

بـيرن : سوف يلقاه جزاء يستحقه .

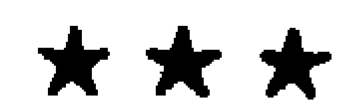
(يذهب « بيرن » و « دان ») :

نيـد : النار يا « ستيف » بدا اشتعالها ،

هيا إلى الدروع كى نخرجها ، ونذهب

(يسحب « هارت » الدروع من تحت السرير)

ستـــار .



الفصل الثالث

المنظر الأول

(في المطبخ في كوخ « هارون شيريت » ، في نفس الليلة :
زوجة « شيريت » وأمها « السيدة باری » تحتل كل منهما كرسيا بجانب المدفأة إلى جهة اليمين « جاويش » شرطة ايرلندى سمح الطبع ، بدين الجثـــة في منتصف العمر — يتكئ بكل ثقله على مائدة المطبخ . يؤدى باب في ناحية اليسار إلى غرفة النوم الوحيدة في الكوخ — والتي ينام فيها ثلاثة من رجال الشرطة كمـــا يؤدى باب في خلفية المطبخ إلى خارج الكوخ .

« السيدة بارى » امرأة طويلة القامة ، مسمرة اللون ، ضامرة البنية ،وقد اخشوشنت مظهرا وصلبت مخبرا من أثر الحياة القاسية في الغابة ، الا أنها تصدر عن روح فياضة بسخرية رصينة يتلوّن بها حديثا الواثق النبرة . وان ظلا من الدعابة ليمتد على معظم مزاج ابنتها المتقلب ، ويرهص بأن الابنـــة رغم كونها في سنها الحالية أقل رصانة وأكثر تسرعاً فإن طبعها سيستقر عـــلى نفس الحال التي عليها طبع أمها .)

السيدة بارى : (تشير إلى كرسى بجانبها) .
أتسمح أيها « الجاويش أن تجلس عند النار ،
تستدفئ ؟

الجاويش : أنا سيدتى ، أشعر بالدفء بما يكفى .

ريتـــا : لكم تزعج أعصابى ، على مائدة الأكل تنود
كأنك الزلزال ، يكاد يميد بالأرض .

السيدة بارى : تفضل شرف الكرسى بالجلسة .

ريتـــا : سواء كنت مرتاحا على الكرسى عند النار ،
أو أنت تدليت على مائدة الأكل
ستقدر أن تراقب آل « كيللى » حينما يأتون .

الجاويش : سيدتى ، بأسرع ما يوافي زوجك الكوخ ، يعود
اليه من
نوبة تجواله ، سيعفينى من النوبة كى أخلد للنوم .

ريتـــا : يبدو أنه ليس يعير الوقت تقديرا ، ويقضيه على
مهله .

السيدة بارى : تريدين أن يقضيه في البيت ، يطل برأسه حيناً إلى
الخارج . وحيناً يرجع الرأس إلى الداخل ، ولما
تمض منذ

مضى دقائق عشر .

ريتـــا : أنت يا أمـــاه مهمومة ، وان كنت تدارين وتصطبرين .

السيدة باري : أنا لا أسبق الاحداث بالطيش أو الغفلة .

وقد ينتابني الهم ويشغلني إذا دوى بأذني ركض خيلهـــم

تدهمنا ، ولكن لن يجيئوا أبد الدهر . ولن يجرؤ منهم

أحد على ان يدنو من الكوخ .

الجـــاويش : وذاك الصدق ، عين الصدق ، سيدتي .

ريتـــا : أظن بأنهم لم يجرءوا أن يقتلوا الشرطة في يوم « سترنجيبارك »

ولم يسطوا على المصرف في « يورا » ، ولا المصرف في « جيريليدرى » أيضا . أتعتقدين أنهـــم يخافون ، ومن « هارون »

بالذات؟ ! . .

السيدة باري : هم يدرون أن لنا من الشرطة حراسا .

ريتـــا : لقد أغفلت ذكر القط ، هو أيضا هنا من جملـــة الحراس ،

ولكنى أراهم لن يهابوا وسيلقون بأنفسهم مجازفة ويأتونا .

أود بأن يجيء الآن « هارون » وأن يبقى هنـــا بالكوخ .

الجـــاويش : رجاء ، ليس من خوف على « هارون » أو خطر .

وماذا ممكن يجرى ، وأربعة من الشرطـــة فـــى الكوخ ؟

ريتـــا : (مقاطعة بسرعة وبحدة) : ما « هارون » فـــى الكوخ ، هل « هارون » في الكوخ ؟ وأعـــرف أنه في الخارج الآن . وفي الخارج حيث هـــو ظلام لا يطمئنى .

الجـــاويش : يطل القمر الزاهى على الارض فتكسى بالبهـــاء كأنما جللها الثلج .

ولن تقوى عصابـــة آل « كيللى » هذه الليلة أن تسرى .

ريتـــا : مرادى أن يكون هنا ولا يخرج للتجوال .

عليكم أن تصدوه والا تتركوه يظل في الخارج .

الجـــاويش : أرجو أن ماتَخْشَيْنَ لن يحدث ، سيــدتى ، ولن يلحقه مكروه .

ريتـــا : وهل تحميه وأنت هنا ، على مائدة المطبخ ؟

السيدة بارى لا خوف على « هارون » ، وليس هناك مايدعو إلى قلقك :

الجـــاويش : يقاسى الآن مما هز أعصابه بعض الشيء ، « هارون » وخير له أن يفعـــل ما يهـــوى . سينفض صـــدمة الأعصاب من قدميه في السير .

وإن شعوره انه يقظان ويحرس نفسه حذرا ،

يطيب منه خاطره ، يطمئنه ، يسرى عنه .

ريتـــا : أنا لست موافقة بأن يخرج منفردا ، عليكم إن يرد الخروج

ألا تتركوه يظل في الخارج منفرداً ،

كما يفرض واجبكم ، وأنتم هاهنا معنا لتحمونا .
وبالله ما أضخم ماتبدو حمايتكم على العكس

رجالك نائمون بحجرة النوم

وأنت الآن في المطبخ ، تحاول جاهدا أن تعرف ،
كم طنا من الشرطة من الممكن للطاولة المسكينة
أن تحمل ! . .

ألا تخرج ياهذا وتدعوه ! . .

السيدة باري : اذا عضتك ، ياهذا ، فلُم نفسك ، إني منك في
حل .

الجاويش : (محاولا تلطيف الجو وتطييب الخواطر) : دعيها
فهى لا تعدو بما قالته عن طفلة ، وقد زلزلها وهم
بأن قرينها لابد أن ينتابه خطر . ولست ملقيا بالا
لما قالت .

ريتا : ستلقى بضعة من تافه البال وتهتم ، متى عصبة
« كيللى » ها هنا جاءت . فحينئذ — كما يبدو —
يكون سريرنا لك مخبأ تمتد من تحته .

السيدة باري : أأنت بحاجة أن تلجئي للشتم يا « ريتا » ؟

ريتا : لقد أيقنت أنك لست الا بضاعة للقول لا العمل .
منذ قليل ، سمعتك ، نافشا ريشك كالطاووس مدعيا ،
بأنك أنت أحرقت كلابهم . فقم ناد لنا « هارون »
ودعنا من بجاحاتك .

الجـــاويش : (يسير متثاقلا نحو الباب وينادى ببطء وبصـــوت عال) :

هارون ! هارون !

(صمت مخيم يسود المكان)

ريتـــا : عجيبا ، لا يلبي دعوة الداعى ، فيا رباه ماذا صار !

السيدة بارى : إن الفرس الشهباء إذ بلغت من العمر عتيا ، ولدت عجـــلا .

ريتـــا : واعجباه يا أماه ! أهذا موقف للضحك والسخر ؟ ألا يمكن أن يحدث ما لن تحمدى عقباه ، ولا أحمد عقبـــاه ؟

يا جاويش ، قسم ، ناد لنا « هارون » .

الجـــاويش : يا « هارون » .

السيدة بارى : واعجباه ، فعلا لايجاوب دعوة الداعى .

ريتـــا : يا ربـــاه !

الجـــاويش : (بأعـــلى صوته) : يا « هـــارون شيريت » (يغلق الباب ويتجول قلقا في المطبخ) اذن ، كيف ترين الأمر ، لم يستجب للدعوة ولكن ذاك لا يدعو إلى القلق . فلن يصرخ في الغاب .

فمن شدة ماقد وتر الأعصاب تصميما لا يقـــوى
على النطق .

ريتـــا : أنا أشعر أن الأحمق المأفون لم يؤذ .
والا كانت الطلقة قد بلغت مسامعنا .

السيدة باري : يمينا لو رأت عيناه ما يلمح من « كيللي » وعصبته
لكان الناس في « داروين » — في أقصى شمال
القارة النائى — قد سمعوه يزعق دون أن يقدر أن
يكتم في حلقومه صوتا .

الجـــاويش : غريب أمره رجلا ، وما ألطف ،
فى موقفه الراهن كيف يظل في الخارج جوالا
ويترك نسوة في الدار يقلقن ؟

ريتـــا : أنا لست عليه الآن خائفة .
ولكن هـــكذا ديدن « هارون » ، غبي لاغبـــار
عليه ، لكم يزعج أعصابي . ولا أقدر أن اوسعَهُ
لوما ، بل أرثى لحالته ، وأعذره .

السيدة باري : أنا من جهتي أشعر أن لابد من لومه ، ولا أعذره
أبـــــدا .

ريتـــا : لا تتقصديه الآن ، فا لمسكين في أزمـــة .

الجـــاويش : نعم ، أزمته تكفيه ازعاجا ،
وان شعوره أسوأ مما قد تخالان .
لقد نم على أصحابه وغدا تناهبه هموم الحـــس بالإثم .
وتبكيت الضمير صحا على عجل يزلزله ويضنيه
فقد أدرك أن صحابه قد كشفوا أمره .

ريتـــا : (حنقة) : ألا تخسأ ؟ ما نم على صحب وما خان
فما عصبة « كيللى » إن تقسهم به ؟

الجـــاويش : هم ليسوا سوى صحبة .

ريتـــا : أنتم قد دفعتم به ، لكى يفعل ما فعل .

الجـــاويش : لقد اغرته آلاف الدنانير ، لكى يفعل ما فعل .

ريتـــا : بل أملى على « هارون » واجبه ، يمد يدا من العون
إلى الشرطة ، وأنت عليك أن تسعى إلى عونـــه ،
لا تبق هنا متشفيا متهكما لكعا .

الجـــاويش : لاشك بأنا سنؤدى الواجب المحتوم كى نســند « هارون » .
ولن يعدم « هارون » حمايتنا ، ونحن الآن نحميه .

ريتـــا : لا ينكر هذا منكر يملك عينين ،

غطيط ثلاثة في غرفة النوم يؤيده ، ورابعهم ،
هنا عندي في المطبخ لا يقوى من الرعب الشديد
على أن يطل بأنفه من فتحة الباب .

الجاويش : هذا لأنه أنف رفيع القدر والقيمة .

السيدة بارى : يبدو أنه كان لجدك قبلما آل إلى وجهك ؟ . .

الجاويش : نعم ، بطريقة ما ، أنت صادقة .

(يمضى إلى الباب)

السيدة بارى : إذن ، ما مات من ظمأ .

(يفتح الباب) إنه آت — إن لم يكن الآتى ؛

« كيللى » وعصابته .

ريتا : كاد الوقت أن يأزف ، والساعة آتية . . .

الجاويش : ياسيدة « شيريت » ، وأيضا أنت ياسيدة « بارى » ،
اريدكما بأن تتلطفا الليلة جهدكما مع « هارون » ،
خذاه بالتى هى أحسن ، مهما كان ما فعله ، ومهما
يكن الثمن الذى سوف يكلفه ،

هو الآن يخوض بسيره « وادى ظلال المـوت »
والرعب ،

هو الآن وحيـــد في مكان شاهق منعزل كالقمر العالى ،

إذا ما حكم الله بأن لابد أن يهوى من افقه ،

إذن فليهو للارض ، ولكن لطفا بالله سقطته .

ريتـــا : عجيبا ، أيها « الجاويش » ماذا دهاك ؟

لا يخفى علينا أنه في غاية الرعب .

الجـــاويش : بل ان الذى فيه لأكثر من تصورك .

فلما ، مراقب الشرطة ، انبأه بأن الغولة السعلاء ، العجوز (بيرن)

أكبت فوقه ، تحدجه بالنظر الحاد، محملقة تـفرّس في محياه وانه كان طيلة كل ذاك الوقت في نومه ،

تغير لونه كفنا عليه مسحة الثلج ،

وغشّى وجهه المسكين قطر بارد كالمطر المنصب ،

وحاول أن يفوه بكلمة واحدة لكن لم يقو .

فان لسانه حين أراد أن يقول شيئا به ، غدا مقول ميـــــت .

لم يفت « هارون » أن يدرك مغزاه .

ريـــتا : ولكنك ما قلت لنا هذا على الإطلاق .

الجاويش : وما فاه به لما استعاد لسانه النطق ، وحين غدا امرءاً حياً .

« انا اعلم أنى الآن ميت » . « إننى ميت » .
رجاء عاملاه بالتى هي أحسن .

(يظهر « هارون شيريت » في المدخل المفتوح . وهو شاب ، خفيف الشعر ، مكتنز العضل ويرتدى قميصا قذرا أبيض ، وسراويل مخمل قطنية ، مثبتة إلى حذائيه ، ويبدو كمن هدّه الهم ، يائسا مستميتا ، أو ، أنه في لحظات التفاؤل واسع الحيلة ، متقلب الاطوار . وحينما يدخل ، تتجه « ريتا » اليه بدافع من التلطف ، ولكنها تتوقف قبل الوصول اليه ، مفضلة أن تخفف حدة مخاوفها با لمناكدة) .

ريتا : (بجدة) : يا « هارون » ، لماذا لم تجب لما دعوناك ؟

شيريت : لماذا كنت تزعق أيها « الجاويش » ؟

وماذا دهاك حتى غدوت تصرخ لى وتدعونى ؟

ريتا : أنا أخبرته يدعوك .

شيريت : ماأغباك ، فى الليلة هذى أو مثيلتها ،
با مكانك أن تسمعى صوتا من عدة أميال .
اذن فقفى على الباب وخورى مثل جاموسة —
فيمكن أنهم لم يسمعوا صوتك من قبل .
ويمكن أن في آذانهم وقرا .
فهلا قلت إنى ها هنا عندك موجود .
هيا فاذ هبي واستصرخيهم يحضروا إلى هنا من أسفل الوادى .

ريتا : هم يدرون حيث تقيم .

شيريت : ولكن سوف يدرون بأنى قابع في البيت ، أيضا ، حينما تعوين باسمى من خلال الغاب .

ريتا : لماذا تبتغى متقصدا با لله إزعاجى ؟

السيدة بارى : قم اخرج وتحرش إن تشأ با لقمر الساجى
فما جرك للشر الذى أنت به ، الا جنون فيك مكنون لا « ريتا » .

ريتا : أماه ، رجاء إلزمى الصمت .

الجاويش : ألم تسمع شيئاً أنت يا « شيريت » ؟

شـــيريث : عجيبا ، ما الذى يمكن أن اسمعه ،

وقد احدثت ما احدثت مما يزعج البال ويقلقه !
بدا لى أن صوتا رن في سمعى ، كما لو كان وقع
حوافر الخيل تطرطش وهى تعبر في المخاضة أسفل
الوادى . ولكن لم اميزه .

ففى الغاب صقيع صلب الاغصان تصليبا ،

اذا ماست به الاغصان صدع كالزجاج ورن حين
وقوعه أرضا ،

لحاء الشجر الصلب يصدع محدثا صوتا

وللعيدان صوت حين تنقصف

ولا أنسى حذائيك الثقيلين ووقعهما

واذ تختلط الاصوات اجمعها وتشتد

يخيل لى قطيع بقرا قد وطئ الاوراق في سيره .

ولما كنت أصغى حينما أوقف من سيرى ،

فلا اسمع صوتا ابداً من كل ما كان .

وقد خيل لى أنى سمعتهم يجيئون ،

ولكن أوقفوا من سيرهم حين توقفت عن الاصغاء ،
أو ان لم يكن شيء سوى الوهم .

لا أقدر أن أدرى كنهها للذى كان .

(يجلس على المائدة ، يائسا ، وتدنو منه « ريتا » وتمسح على رأسه بحنان) .

ريتـــا : رفيق العمر يا « هارون » وارحمة قلبي لك .

شـــيريت : (يطبق على كفها بين كفيه) : بقلبي أنـــت يا « ريتا » ! .

ريتـــا : لكم تبدو مثل الثلج مقرورا .

شـــيريت : (يفلت كفها واثبا على قدميه) : إلى صلب عظامى بلغ البرد .

ولكن من الخير بأن أبقى طليقا خارج البيت .

ولا يصطادنى الاعداء في عقره .

الجـــاويش : تيقن أيها الرجل ، بأنك ها هنا آمن من مصرف .

السيدة بارى : وذلك عين ما يخشاه « هارون » : . .

الجـــاويش : فماذا تبتغى أكثر ؟

وفي الدار من الشرطة أربعة .

شـــيريت : أريد بأن أرى « كيللى » وعصبته يموتون .

السيدة باری : ما أسعدها فكرة ، تنام وأنت تحلم ان تحقق لك .

شــيريت : أريدهم يموتون .
ولن نرقد حتى يصبحوا كلهم موتى .

الجــاويش : لسوف تراهم موتى . وأولهم رفيقك « بيرن » ، سيعرج للسماء لكى يراقص غيره ممن اليها سبقوا خطوه .

ريتــا : أقِلّ الشطح ، خفف بلة الطين .

السيدة باری : ليس من الغريب بأن « كيللى » والصحاب معه ، قد خلقوا ليقضوا كلهم شنقا ،
ومنهم « جو بيرن » فليس مستثنى .

شــيريت : لقد كان بوسعى أن أنام وراء متراس من الصخر ، يمرون به من دون أن يدروا بأنى خلفه مستخفيا
. . . سوف أعسكر في خفايا الغاب .

ريتــا : لن تخرج ثانية ، لن أتركك تخرج .

شــيريت : هذا الكوخ مصيدة ستودى بى .
بوسعهم التسلل حتى إلى عتبة الباب
ولن تسنح لى الفرصة أن أفلت من قبضة طلابى
ولكنى سأقدر أن أراقبهم إذا أرصدت في الغاب .؟

ريتـــا : ونحن هنا دمى في كفة القدر يقلبنا كما يهوى
ولن نرضى بأن تبقى وأنت تواجه الخطرا .

شيريت : أرى لو تحضرين معى لإيناسى ، يا « ريتا »
ولكن لا ، فخير لك أن تبقى هنا في الكوخ
فكثر تنا ستفسد ما أردناه .
وأنت هنا تكونين على خير الذى أهوى .

السيدة بارى : هل نبقى هنا ليقطعوا اعناقنا غيلة ؟
ولست أقول هذا مخافة الموت —
فان القتل سوف يكون تغييرا وتجديدا . . .

ريتـــا : إذا دهمنا « كيللى » وعصبته
ولم يجدوك في الدار ، سيشفون غليلهم بمن يلقون
ولا شك بأنهم سيفنونا ، وعن بكرة أهلينا .

الجاويش : لن يتعرضوا بالشر لامرأة ، مهما كان من أمر ،
خذى قولى هذا كفالة عنهم .
« بكيللى » وعصابته أنا ، سيدتى ، أدرى .
هم أهون شرا في طريقتهم إذا مدوا يد الضر .

فلا يبغون الا زوجك المفشي للسر .

فتى قد باعهم واستشعروا فيه مدى الغدر .

ريتـــا : ولما تدفعوا أتعابه بعد ، وقد عرض للشر .

شيريت : لسوف نلوذ بالغاب ، نقيم لنا به معصم .

فما رأيك يا جاويش ؟ هل ترضى بما أحكم ؟

سنلقى في قرار الواد وكناً فيه مخرجنا ومخبانا

ويبقى الفتية الثاوون في المهجع ،

ليحموا نسوة الدار من الشر اذا حان .

الجاويش : إذا شئت بأن تمتع بالنوم مع السيدة الخضراء —

مع الغابـــة ،

فرح وحدك ،

أمضى لسريرى فهو للرقدة يدعونى .

شيريت : ولكن ليست الرقدة مأمونة . ومحتوم علينا سهـــر الليـــل .

الجاويش : إذا كنت قديرا تسهر الليل ، كما قد صرت عينا تخبر الشرطة عن صحبك ، فما أحراك ان تتركنا

ننعم با لنوم على أعمق أعماقه ،

وتمسي يقظا عيناك ترعانا .

إذن أترك هذا الواجب السامي اليك ولست أوصيك
فما أوصي حكيما مرسل يبغيه في أمر .

ريتـــا : تخليك عن الواجب لايعفيك من لوم ومن عتب .

الجاويش : ترين الباب ذاك ؟ إذن ، هناك أكون ،
يا سيدتي « شيريت » ، فليس ببعد جدا . . .
لكي تصلي اليه وتطرقيه على ،
وليس له من السمك الذي يجعلنا لا نسمع الطرقة
من خلفـــه .
إذا عصبة « كيللي » أتت إلى من خانها كيمـــا
ترد على خيانته فنحن هنا على أهبة أن ننقذ زوجته

شيريت : عليكم ان تفروا بي وتنجوني من الخطر .

الجاويش : وهل قلنا بأنا لسنا ننوي أن نفربك وننجيك ؟
ولكن هل يسرك ان تفر مجللا با لليل
كمن قارف جرما قاتلا نفســا محرمة

شيريت : قصاري همي الآن بأن أفلت من داهية الورطة .

الجاويش : فتي الفتيان ، أما بعد أن أصبحت من عائلة الشرطة
فأحرى بك ان توليهم ثقتك .

يقينا ، نحن ندرى كم تضيق رحـــاب قارة
« أستراليـــة »
بمن خان الرفاق وباعهم با لمال .
لسوف نهيء الفرصة كى تهرب .
نعم سوف نعبؤك ونصدرك إلى قارة « أمريكا »
لكى تبلغها مستأمنا أنت واموالك .
وثروتك التى واتى بها الحظ ، ومن بيعة « كيللى »
وعصابته
ستغنيك لتحيا موسرا في رتبة السادة والاشراف .
ولن تزعجك الاشباح ، فليس لها من القدرة
أن تخترق الماء لتلحق بك .
ولكن أنت يا « هارون » تدرى جلية الامر
« فكيللى » وعصابته مازال على الغارب حبلهم
اذن فعليك ان تصبر .

ريتـــا : لكم تبغون خذلانه . لحرصكم على المال ومطلكم

السيدة بارى : المال يا « ريتا » ليس لدى الجاويش .

الجاويش : لسوف نفى بدفع المال حين يحين موعده مباشرة .

شيريت : عليكم ان تفروا بى وتنجونى من الخطر الذى أمسى يداهمنى

وبعث المال هذا ممكن من بعد إخراجى من البلد .

الجاويش : قد نأخذ با لرأى الذى قلتــه ،

وفى الوقت مدى يكفى لكى يتدبر الأمر .

ولكن لست تقوى على أن تقسر القانون أو تفرض قبل الوقت تنفيذه .

ريتــا : أنتم ضده الآن ، وما كنتم له ضدا ، من قبل ،

حين لففتم حوله ، وداريتم وراودتم ،

وحين زحفتم كى تستدروا منه أخبارا وإعلاما

فمنكم باسم ومربت ظهره ، ومن يدعو لــه با لكأس تلو الكأس يسقيه ، ومن يتوعد المسكين تهديدا ، ومن يعدُه ،

إلى أن صار حيث أردتم وشددتم السرج على ظهره وها كم تجهدون الآن صهوته لتفنوه .

شتريت : هم الآن جميعهم لى ضد .

فمن عصبة « كيللى » ، ورجال الأمن والشرطة

وكل الناس حيث ثقفتهم ، ودرجت في خطوى.

فى هذى الاسابيع القليلات التى مرت على القرب

لايشرب في الحان معى أحد .

جميع الشاربين غدوا يخافون الحديث إلى في الحانات ،

لانهم ضدى .

وسرعان ما سيشرع كل كلب رأسه نحوى وينبحنى

متى سارت بى القدمان ناحيته ،

أنا فان ، ورائحة الممات تفوح من جسمى .

السيدة بارى : رجال الأمن والشرطة لاشك سيحمونك

فحقك في الحماية قائم دينا بذمتهم .

ريتـــا : وحقه قائم دينا بذمتهم دنانيرا ، آلافا ثمانية .

الحاويش : (متلطفا مطمئنا لهم) : أحلوا في قلوبكم السكينة

واطمئنـــوا ،

(بجدة) ولكن لايحل لكم بأن ينصب منكم وحل

اللوم على الشرطة .

فلسنا جاهلين الواجب الملقى علينا نحو « شيريت »

« لشيريت » حمياتنا جميعا — معشر السلطة —

ويكفى ما نقول لكم .

وسوف ينال جائزته ، ولكن حينما يأزف موعدها
وتصبح حقه فعلا .

شيريت : (معتذرا) : أنا — يأيها الشرطى — أدرى
ما بنيتكم

ولى ثقة بأنكم سوف تردون على فضلى بلا بخس
ولا نقــص ،

وهاكم تحرسون الكوخ لم يبد عليكم أى تقصير .

وارجو أيها الجاويش — أن يشملنى عطفك

وان توصى ، بما لكلامك المسموع من أثر ، على
تدبير اخراجى .

بوسعك ان تحدّث مشرف الشرطة .

لا شك سيصغى لك .

رجاء ، قل له إن خروجى يستدعى الاسراع فورا
دون امهال .

لسوف تقول خيرا منك ينفعنى ،

الجاويش : سأبقى في حدود الواجب الرسمى ملتزما .

ريتــا : سيحمونك ، مادامت جميع ظروفهم متأتيــات
دون تعكير .

الجاويش : لسوف أرى الذى أقدر على صنعه .

شيريت : ان الخير من معدنه ليس بمستغرب ، جزيت الخير — يا جاويش .

الجاويش : (متجها نحو غرفة النوم) : لقد قررت أن أخلد للنوم .

إذا ما احتجتنى فلتدعنى ، آتك .

ولتصبح على خير .

السيدة بارى : ولتصبح على خير .

ريتـــا : نم نومة من لا يعرف الهم .

(يدخل « الجاويش » غرفة النوم ، ويغلق الباب)

يمين الله سوف ينام نومة فتية الكهف ،

السيدة بارى : لربى الحمد إن سريره فيه براغيث .

شيريت : (يهمس محتدم الغضب) : تظنين بأن سيقابل المنة با لشكران .

يبدو انه لن يتوانى أن يضيع الجهد والوقت « لكيللى » وعصابتـــه ولا يقضيه من أجلى .

لسوف أعلم الخنزير درسا هو أهل له .

سأبلغ عنه آمره .

ريتــا : رجوت الله

لوأنك عولت على نفسك في عمرك ولو مرة .

شيريت : لسوف أرد ما كال لى صاعاً بصاعين .

ولكن ليس ذى الليلة .

فهى هذه الليلة أثقل منه في الوطأة ، بل أدهى .

السيدة بارى : همومك كم تجسمها تهاويلك .

دع المقدور يجرى في اعنته ، ولا راد لما قدر أو كان .

شيريت : فما قدر أو كان كما يبدو لك الرأى ؟

لكم تتصنعين بأن بالك ليس مشغولا ، بغير هموم

وأنت ترين أنا قد بلغنا المأزق المحترم

ولانقدر ان نفعل شيئا غير أن ننتظر المقسوم

وما حبلت به الغابة من شر لايدانى

أحس به يسير الآن منطلقا إلىّ وليس با لنائى .

ريتــا : (في غاية الملاطفة) : يا « هارون » ، ياأغلى أعزائــــى . . .

(ترتمى بين ذراعيه وتحتضنــه)

شيريت : لقد ساءت ، وقد ضاقت بما رحبت على الأرض، يا « ريتا » .

ريتــا : ساضرب خيمة في الغاب ، إن تهوى . سنمضى معا وأمى سوف تبقى للمنام هنا .

شيريت : (مرتابا) : تنامين معى في الغاب ؟

السيدة بارى : دعى، » ريتا » ، السخافات .

ريتــا : لاتتدخلى بالله ، يا أماه ، فهذا الأمر لايعنيك .
يا « هارون » هل نمضى إلى الدغل لكى نضرب خيمتنــا ؟

شريــت : (ينفلت منها) : لن نمضى لن نمضى !
فليس يفيد هذا الفعل ، يا « ريتا » .

ريتــا : (بأسلوب لاذع) : اذن حسنا
ولتفعل ما يعجب اهواءك .
فما قلت الذى قلتُ سوى حبا بارضائك .

فقد خيل لى أنك تبغيه .

شيريت : (محتدا) : لقد غيرت من رأيى .

ألا أقدر أن أمكث في الكوخ إذا شئت .

أم هل أنت تتَمَنّين ان أخرج للغابـــة ؟

ويمكن ان يكونوا هناك .

السيدة بارى : سرّ عنك ، يا « هارون » با لله !

شيريت : بربك ، أغلقى مصيدة الشر !

ريتـــا : أنا لاأعجب الآن لماذا الناس ضدٌ لك . . .

رجاء واستمع ، « هارون »

فلا يصلح أن نتخاصم الليلة .

وآمل أن أمكَّن من مساعدتـــك . .

شيريت : أنا أدرك انك تبتغين ان تعينينى .

ولاتدّخرين الجهد والنيّـــة .

ولكنى أرى أن تبعدى مما أنا فيه ، فلست طرفافيه

ريتـــا : تغص الدار بالشرطـــة .

شيريت : لافائدة منهـــم .

ولن يتورعوا من أن يعينوا آل « كيللى » علىّ .
لقد عمهم الخوف . ولا يبغون أن يتعرضوا للشر والمشكل .
لذاك مضوا ينامون .

السيدة باري : سنبقى نحن جانبك ، إلى أن يتجلى الهمّ والأزمة .

شيريت : بقاؤكما إلى جنبي مشاهدتين لا أكثر .
وذا كل الذى يمكن أن يفعل من أجلى — اذن فلتشهدا المنظر !
كما قد يشهد الناس امرءا يغرق .
فدوركما مشاهدتى ، ودوري أننى أغرق .

السيدة باري : ما « كيللى » وعصبته بسيل أو بطوفان —
وليسوا غير أربعة من الصبيان ، ما أسخفهم فعلا !
وليس لهم من الأعمال الا أن يظلوا راكبين خيولهم يفنونها ركضا .

شيريت : كفّى عن مقال لست تدرين حقيقته .
أنا أعرف من « كيللى » وعصبته

ريتا : قد لا يحضرون هنا .

شـــيريت : لا الليلة أو في الغد . أنا أعرف
كنههم .
و لكن سوف يأتون ، وذا أمر بلا شك ولا ريب.

ريتـــا : (با ستخفاف) : أما أنت لهم كفوٌ ؟

شـــيريت : هم أربعة عدًا، وشخص واحد فرد .

السيدة باری : (مناكفة « لريتا ») : لقد قلت لك هذا سيحدث
قبل أن يحدث .
وقد أدركته فعلا جنونيا زواجك منـــه . . .

ريتـــا : ولكنك قد أدركت أن قد تاب ، بل قد تـــم
اصلاحـــــه .

السيدة باری : لايصلح الا حينما تتبدل الغربان في اللون
من سود إلى بيض .
فما زال من العصبة عضواً عاملا فيها ،
هم لص ، وكذاب ، ومغتال ،
و كلهم سواء ، يقطعون رقاب بعضهم بعضا ،
لقد انزلت نفسك ،منزلا صدقا ،وفي وكر الثعابين.

ريتـــا : ما كنت مقدرة بأن الأمر منقلب إلى حال كهذي الحال .

شيريـــت : بلى قد كنت عارفة .

ريتـــا : يمين الله لم أعرف .

السيدة باري : نعم والله ! لم تعرف ، .

شـــيريت : لقد عرفت ، وانت كنت عارفة ، كما عرفت .

لقد أدركتما كلتا كما الأمرا .

وباعت نفسها لى بالدنانير ، بالآف ثمانية .

وذلك قبل مكرى بالعصابة قبلما بعتهم غدرا .

وقد كانت وكنت أنا

كلانا همنا المال بنفس المستوى قدراً .

لأجل المال قد قبلت زواجاً بى ،

لذلك قد أذنت أنت لها .

ريتـــا : لقد خيل لى أنا سنغدو من ذوى الأموال والثروة .

وكنت تفيض بالأوهام تنسجها مشاريع .

اليك الآن وانظر ما الذى قد جئت من فعل .

شـــيريت : أنا ، الذى قد جئت من فعل ، أردت به رضاك
ولم أرد غيره . ،
وأنت الآن تنقلبين ضداً لى
ولولا أننى آثرت مرضاتك ، لولاك ــ
ريتـــا : يخيل لى ،
لكنت الآن مازلت لدى « كيللى »
تلعق قاع نعليه .
فان تندم لانك بعته وفضحت علاته .
فتب وأنب إليه لعله يوليك من عطفه
يعيدك راتعاً أكناف مرضاته .
شـــيريت : لست بنادمٍ أبداً على شئ .
لقد عاملنى « نيد » كقاذورة .
السيدة بارى : ولكن لم تن تخدم أغراضه ، رغماً عن اساءاته
شيريت : لمأخدم سوى المال
لقد نظروا إلى مستخفين ، ووزناً لم يقيموا لى .
وكانوا إن اجازونى بدينار ،
فكما تلقى إلى الكلب بقايا أو فتات من موائدهم .

ريتـــا : ألم تسمع ؟

شـــيريت : « مرعوبا » : ماذا أنت سامعة ؟

ريتـــا : يخيل لى بأنى سمعت شيئاً ، ركض خيل أومثيلا له.

شـــيريت : أولئك هم لقد جاءوا .

السيدة بارى : كفى سخفاً وأوهاماً . فلا يوجد شئ مطلقاً أبداً .

ريتـــا : انا واثقة أنى سمعت الصوت ، ياأماه .

السيدة بارى : يحف الريح في عزفه . « وللبسم » وللفيران والثيران أصوات ،

الا يمكن ان الصوت يصدر عن ذه ، أو غيرها ، مثلا ؟

شـــيريت : إذن ، بالله فلتصغى !

(يخيم صـــمت) .

السيدة بارى : لايوجد شئ مطلقا أبداً ،

يا « هارون » بالله افتح الباب ، لتعرف جلية الأمر .

شـــيريت : انا لا أستطيع الآن فتح الباب .

ريتـــا : اذن ، سوف أطل أنا .

شـــيريت : (يدفعهما جانبا) : إذن ، حسنا . لسوف أطل
كى أستطيع الأمر .
(يفتح الباب على مصراعيه ، يتطاع إلى الخارج
يلقى نظرة
طويلة ، ثم يغلق الباب مرة ثانية مرتاح النفس
مطمئنا) .

السيدة بارى : لن يتهوروا ويغامروا كى يحضروا أبداً .

ريتـــا : انا واثقـــة ، أماه ، أنى قد سمعتهم .

السيدة بارى : هم يدرون أنك في حماية قوة الشرطة .

شـــيريت : أى حماية هذى ؟ ! .
حماية قوة الشرطة ! وهل خافوا من الشرطة في
يوم من الأيام ؟
ليس يهمنى من كل عصبتهم سوى « نيد » ،
أما الآخرون فلا أقيم لأيهم وزناً .

ريتـــا : ولا ترهب حتى « جو » ؟
حسبت بأنه كان الأثير لديك ،
لكم خيل لى « جو » ومحبوبتاك أخته ،
أنهما لديك الشمس والقمر .

شـــيريت : وهل يجمل ذا الآن بأن ينبش ذا المو ضوع ؟
واعجبـــاه !
هبي أني بها قد همت حبا ذات يوم كان —
لقد ختمت حكاية ذلك الحب ، وليست شاغـــلى
الآن .

ريتـــا : يخيل لى بأنك نادم أيضا على مافات .
لقد وهبتك ما تهواه منها دون امهال ،
تلك الكلبة الفالتة الاهواء في الغاب .

شـــيريت : دعى الموضوع با لله وخايـــه .
فلم أحفل بها حقـــا .
ولكنا انطلقنا معا لما يربط مابينى وبين « جو » من
رابط الصحبة .
و « جو » كان رفيقى دائما أبدا .

السيدة بارى : رفيقك ! قل دمارك وانهيارك في قرا ر الـــدرك
الاســـفل !

شـــيريت : دعى عنك حديث السوء
« فجو » ماكان إلا خير انسان ،

نشأنا معا ، رتعنا معا صديقين وفيين .

فلم نترك من الأشجار واحدة ،لم نطلعها من أجل عشاش الطير ،

ولا بركة ماء لم نصد فيها ،

ولا كهفا بلا كشف وتنقيب

على طول الممر الضيق المتعرج النائى .

وشددنا مرة حصننا

وهيأنا لأنفسنا خيالا اننا نرمى مدرسنا –

لكم كنا صغارا كالشياطين –

وبعد ئذ جرى كل الذى نحن به الآن .

ريتـــا : لكم أغنى من الذكرى التى تغدو ترددها ،

عنك وعن رفيقك صحبة السوء !

وهذا بعد أن بعت الرفيق مع عصابتـــه .

شـــيريت : دعنى وما أنا فيه . أنا أدرى بأعمالى .

بدأت أزعزع الأرضين من حولى ،

فانحطت على رأسى بأكملها :

بما فيها ، صخور وحجارات .

ريتــا : يا « هارون » !

(تسمع طرقة عنيفة الوقع على الباب الخارجى) .

هــارون : (يكاد يصرخ زاهقا) : يا « ريتا » لقد جاءوا لإفنائى

الصــوت : (من خارج المسرح) : يا « هارون » ! يا « هارون » !

(تندفع « ريتا » إلى أمها وتتعلق بها . ويتقهقر « شيريت » الى ناحنتهما وعيناه شاخصتان إلى الباب)

السيدة بارى : (منادية) : من الداعى ؟

الصــوت : يا « هارون شيريت » !

ريتــا : (تتمالك بعض الشئ) : يخيل لى بأن الصوت يشبه صوت « تونى ويكس ») .

كذا صوته ، أعرفه .

الصــوت : هل أنت هنا في الدار ، يا « هارون » ؟

شــيريت : (باطمئنان) : على أية حال ، إن هذا صوت « تونى ويكس » .

السيدة بارى : (منادية) : من الداعى؟ وماذا يريد ؟

الصـــوت : « تونى ويكس » .

ألا تفتح لى بابك ، يا « هارون » ؟ ضللت طريقى الليلة .

شـــيريت : أ ذلك أنت ، يا « تونى » ؟

الصـــوت : يا « هارون » بالله افتح الباب .

لقد أرهقت في الظلمـــة .

ريتـــا : (بفارغ صبر) : يا «هارون » ، بالله افتح الباب

(يستجمع « هارون » قواه ، ويتجه نحو الباب. وحين يطل منه ، تسمع طلقة رصاصة . يترنح متراجعا إلى الغرفة ثم يقع ميتا . تزعق «ريتا» . ويندفع إلى الداخل « بـــيرن » شاهراً مسدسة في يده ، ويتبعـــه « دان »

ستار .

الفصل الثالث

المنظر الثاني

على ردم سكة الحديد عند (جلينراوان) فى نفس الليلة

(يمثل المنظر أمام ستارة خلفية توحي رسومها بالليل والغاب . تصدر الانارة عن فانوسين يحملهما رجلا سكة الحديد اللذان يرغمهما « نيد كيللى » و « هارت » على القيام بنزع خطى القطار يدخل « نيد » من الميسرة ، يتبعه « ريردون » أحد نظار عمال سكة الحديد ، ثم يتلو ريردون اثنان من عماله و « هارت » في المؤخرة . و « ريردون » رجل متين البنية ، قد تجاوز منتصف العمر ، يتحدث بنبرة أدنى ماتكون الى اللهجة الايرلندية القحة . يحمل عتلة بينما يحمل تابعاه معولين . يتوقف الموكب في وسط المسرح وفي قلبه « نيد » و « ريردون » أما « هارت » فهو في الذيل يسيطر على رجال سكة الحديد ببندقيته .)

نيـد : في أى مكان هاهنا يمكن أن يبدأ بالتخريب

ريردون : ماأوعره من مكان !

وما أعنف ما يبغى بأن يبذل من جهد.

نيسد : ولكنى أرى أنكم سوف تؤدونه .

ستنتزعون قضبان الحديد لتخربوا السكة

ريردون : لم لا أنزع القضبان كى تتخرب السكة ،

وخلفى تشرعون البندقية كى تحثونى

ولا يوجد حب لرجال الأمن والشرطة في قلبى .

نيسد : أنا لست بمهتم بمن تبغض أو تهوى ،

ولكنى أرى أن تبدأ العمل .

ريردون : لقد قلت لكم قولى حين جررت من فوق سريرى

انى سوف أفعل ما تشاءون .

أحد عمال

سكة الحديد : مددنا نحن ذى القضبان للدولة ،

وباسمكم سننتزعها . كلا الأمرين سيان .

وما كنت بمهتم أشاهدها عليها القطر جارية

وما همى أشاهد أنكم لن تخربوها . . .

عامل سكة

حديد آخر : . . . . ذاك من رأيى أنا أيضا .

هــارت : بين يدى توجد هاهنا ذى البندقية ، ليس ذا سرا ،
وهى تكاد تحتج صاخبة ،
فان أكثرت من هذا اللجاج فسوف تنطلق .
ولكنى أرى أنك شخص عاقل ، يا صاح .

ريــردون : لــن يجدى أن نتبادل الســخف .
لقد حدثت نفسى ، ــ الساعة ــ حينما كنا نطلع التل :
« ما أسخفنى ، بل ما أشد فساد تفكيرى ، على الاطلاق .
لو أنى با لعتلة ، حملت على الذى تدفع عنه بندقيته . ــ
فلو كنا كلانا حاملين عتلتين ، الآ ن .
أو ليس لدينا من سلاح غير أيدينا مجردة ــ

نيــد : لا أنكر أنك يا « ريردون » باسل بطل .
وسوف نخوض معركة معا في موعد لا حق ،
ولكن هذه الليلة نبغى إنجاز العمل .
وان الموت محتوم على من يعترضنى في طريقى هذه الليلة .

فلا تطلبـــه ، كى لا توهب الطلب .

ريـــردون : ما أغرب الموت من لفظ وأبرده ،

وما أغربها دنيا وأبردها إذا كانت لجرى الموت ميدانا .

نيـــد : كفانا برد ذى الليلة .

ريـــردون : أصدق ما ذهبت اليه « كيللى » .

ففى ليل كهذا الليل ، وفي هذا المكان هنا

الذى يمكن أن يقوى رجال قلة فيه

على قلب قطار ثم تحطيمـــه

هل أعجب من أن تطلق النار على رجل من الخلف.

نيـــد : يمين الله ، انك عارف انى سأطلقها .

ريـــردون : وذلك واقع ليس يمارى فيه ،

ويمكن أن يحس المرء بالطلقة في الخلف وفي الذهن ،

كما يشعر بالبرد على العتلة في كفه ،

وعامل سكة القطر —

وهو مجرد العبد الذى تملكه الدولة ـ من قبل ومن بعد ،

ومن لم يعط تعليمات

أن يلقى قفاه طلقة النار

لن يبحث بالظلف على الحتف

سوى أن كان معتوها بلا عقل .

نيـــد : أرى أنك ترجو أن تجر الحتف بالظلف .

هـــأرت : أترجو ذاك ، يا « ريردون » .

العامل الأول : قصاراه الكلام وليس يبغى دونه بدلا ، ويهواه .

نيـــد : اذن قل ما تشاء ولا جناح عليك ، يا « ريردون » .

ريـــردون : سيلجأ للكلام الليلة الصخر الأصم الأبكم الأجرد والأشجار ،

عن المجد الذى للقمر الزاهى ، اذاقدرت علىالقول

ويحكى حيوان الغاب ، وأعينه مصوبة إلى النار

يفضّض فروة النور الذى ينبثُّ في أثناء تلك الغابة السفلى

بما فيه صغار القنغر الوثاب والبسم ،

وفيما بعد ، هى الآذان مشرعة مشنفة ،

هى الافئدة الوجلى التى تجب ،

بما أذهلها مما تناهى في مسامعها وتحكى كلها عنه

بألسنة الحجارة أو غصون الغاب والأحطاب .

ولكن كل هذى غير ناطقة

وليس النطق الالبنى الانسان ماداموا من الاحياء ،

ولا ينكر أنى الآن مازلت من الأحياء ،

ولن أحرم نفسى من صريح القول ، « كيللى ».

نيـــد : القضبان يا « ريردون » .

ريـــردون : القضبان ، نعم ، ان الحديد أراه يومض من سنا القمـــر

كما يومض منه كل شئ خالص المعدن والاصل ،

ومنها الماء والفتيـــات .

يطل القمر الزاهى علينا وهو يغشانا بنور منـــه ،

وهذا أرج الاشجار في آنافنا عبق ،

ونحن هنا على مرتفع طاهر ،
ولكن كلنا الخمسة منكبّـــون

نعد العدة الشنعاء للاجرام والتدمير والقتل .

نيـــد : لقد أعذر من أنذر ، يا « ريردون » .

هـــارت : تلاعبـــه مراوغة لكسب الوقت ، يا « كيللى » .

ريـــردون : وما أعمل با لوقت وما نفعـــه ؟

ولست بآمل أن تفد الشرطة زاحفة ، من خلـــف
الجبال على مدى المتن .

ولن يطلع من ثمة الا الشمس من تلك التباشير .
ولست بمستعد أن أعين عليكم الشرطة .

دعوهم يستعينوا عليكم بذواتهم

نيـــد : وهل ستعيننا نحن ؟

الثـــانى : ما عمل بمختلف عن الآخر . كلا العملين سيان.
ولايمكن أن يلقى علينا اللوم والتبعة .
وقد زُج بنا زجا وأجبرنا على عمل ننافيه .

ريـــردون : من يمكنه ادراك أين الحق والباطل ،

في عمل كهذا على مدى خمسين عاما بعد هذا اليوم
ولا يمكن تمييز لذلك هذه الليلة
وقد جرجرنا من بيوتنا قسرا
وزج بنا بما ليس لنا شأن به
كما لو كنت في حلم .

هـــارت : إذن آ ن الآ وان وحان أن تصحو .

ريـــردون : اذا من ساعة كنت بجانب زوجتي في مخدع النوم
ولى في الغرفة الجارة أطفال تجاوب نومها بالنفس الناعـــم .
ولم احلم سوى بفطور صبح غد ، ونومة بكرة الأحد .
وما أغربها حالا على شخص ينام كما ذكرت لكم وفي بيتـــه
ويستيقظ من دق عنيف يرعش الباب
كما لو كان دقا بيد القدر
ويلفى « نيد كيللى » واقفا دونه
نعم « نيد » ، ويحمل بندقيته .

ويأمر أن يؤدى عمل فوراً ، مساندة لعصبته .

وما أغربها حالا على شخص ينام بملء عينيه

ويضطر إلى ترك السرير يجوب من تل إلى تل ، مع البومات ،

مع أفاقة الغاب المغيرين الذين لا ينامون .

هـــارت : أرى أغرب مما قلت

لو نمت غداً كل النهار ولم تقم أبداً .

ريـــردون : وذلك ما أقيم له حساباً ، هذه الساعة .

اذن ، سنخرب القضبان .

نيـــد : لقد خمنت أنك لن تخيب ظننا فيك .

ريـــردون : لقد داعب قلبي أمل أنك حين ترى

بشاعة ماتؤدى وقساوته

سيطرأ فيك تغيير وتقلع عنه

فالقضبان ثابتة كأن قد ركبت تركيب ما يبقى إلى الأبد ،

وهى وثيقة وقويمة في وضعها كشرائع الله التى ليس بها عوج .

فخربها اذا شئت ،
وباسمك سوف أخربها .
ولكن عندما ينفلق الصبح ستبدو منظرا يؤسى
ويبعث في الفؤاد الحزن والحسرة .

نيسد : « ريردون » باشر العمل .

ريردون : ما أبشعه عملا ، بامكانك أن تغسل كفيك منه
بنور القمر الخافت
ولكن النهار ونوره الضاحي
ما أقساهما ماء لطمس معالم الجرم .

نيسد : حين يشع في الكون ضياء القمر الساري
تنق ضفادع الوادي كما تعوي كلاب الليل ، على
لا شيء .
فهات المخل يا « ريردون » ولا تبقه في كفك
ودعني أبدأ العمل .

ريردون : يبدو لي بأنك ليس تخشى أن ينال يديك تاويث ،
فضوء القمر الخافت هذا لن يبينه ، ولن يبدي
حتى الدم إن حنّاك ،

ولكن حينما يشرق ضوء الشمس ، سيغمرك الأسى الجارف

ولن تطهر كفاك من الإثم الذى قارفت بالليل .

نيــد : يدى ، إن توجد الأوساخ متسخة ،

وحيث يكون سفك الدم دامية ،

وأرفعها مهددة لوجه الشمس إن تشرق على كل غبي فاغرٍ فاه

هياهات لى المخل ، فلا رادّ لما أزمعت أن أنجزه الآن .

ريـــردون : ما أطوله مهوى من هذا المكان إلى قرار الواد .

نيــد : اذن يهوى قطارهم ويهوون إلى الحطمة .

هيا ، يا « ريردون » هات لى العتلة .

ريـــردون : (يسلمه العتلة)

لقد ألبت ضدك فوق ما يمكن أن ينزعه مخل ويقلقه

لقد ألبت ضدك عالما كاملا .

نيــد : لأبدأ أولا بقطار أعدائى الذين هم على كثب ،

ويأتى دور من يتلوهم بعد ،

هيا إذن إلى العمل ،

(يهرعون إلى العمل) .

ســتار

الفصل الرابع

المنظر الأول

الحانة فى فندق السيدة « جونز » فى « جليئراوان » فى ساعة متأخرة الليلة التالية .

(قبل ارتفاع الستار تسمع أصوات صاخبة دليل احتفال وراءه قهقهات ، وصراخ ، ولحن انشودة » فى الفترة الاستعمارية الأرعن » يترنم به منشدون من الرجال والنساء على موسيقى « اكورديون » . ومع مشارفة الأنشودة على النهاية يرتفع الستار . يرى « بيرن » في وسط المسرح ، ينظم الحفل . وفي ناحية اليسار من المسرح قد جمع اثنا عشر – أو ما يقارب هذا العدد – من رجال « جليئراوان » ونسائها بمحض ارادتهم عموما . ويسترعى انتباه المشاهدين ممن بينهم « ويردون » موظف ممسكة الحديد و « براكين » الشرطى . وقد اتخذ « نيد » مقعده على حاجز الحانة ، الذى تقف خلفه السيدة « جونز » و « الساقية » وإلى جانب « نيد » يقف « كيرناو » المدرس . يؤدى باب على يمين الحانة إلى غرف الفندق الداخلية ، ويؤدى باب واقع بيسار الحانة الأقصى إلى الخارج ، وبين هذا الباب وحاجز الحانة

نافذة واسعة ، تبدو من خلالها السماء ليلا ، ولمحة من أشجار اللبان ، يستمر اللحن ،)

استسلم الآن يا « جاك دولان » الأمر قد بان
هنا ثلاثـــة في وجه واحد ،
استسلم الآن يا « جاك دولان » أسرك قد حان
ياقاطع الطرق لا تعانـــد

شهر الفتى من حزامه
مسدسا ثم هـــــزه
كلعبة صغيرة تدعو الردى أن يقدما
قال الفتى من عرامـــه
بعنفوان وعـــــزه
إني لكم محارب حاشاى أن استسلما

هلمو يا أحبائى جميعــــــا
نطوّف في الجبال الشامخات
وينشرنا معاً للنهب غنم
وتطوينا معا كف الممات

لسوف نجول في سهل وواد

على خيل سريعات جياد

إباء ان نعيش حيـــاة رق

ونرزح في سلاسلها الشداد

اطلق النار على الخيال « كيللى »

فهوى « كيللى » إلى الأرض صريعا

وتلقى طلقة قاتلة من كف « ديفيز »

كانت الرد سريعا ومريعـــا

وإلى الأرض هوى منطــرحا

فاقد الفلك الذى قد بُـــدداً

وهو يصلى « فيتزروى » نـــاره

قبل ان يؤسر أو يستشهـــدا

هكذا تم لهم أسر الفـــتى

وهو مازال أبيا مـــاردا

هلموا يا أحبائى جميعاً ......

كيرنـــاو : (ضئيل الحجم ، أسود الشعر ، رقيق الشعور ، أنيق المظهر في بذلته السوداء) :

لا بد من يوم يؤلف فيه الناس أغانى مثل هــذه الاغنية عن عصابة « كيللى » .

نيـــد : نعم قد يفعلون

بـــيرن : لم لا تؤلف أنت أغنية ، يا « كيرناو » ؟

كيرنـــاو : في أغنية الليلة يذكر خيال اسمه « كيللى » .

نيـــد : يمكن أن يكون ذاك « عرة الأهل وشين قومه »

الســـاقية : يا « نيد » انت حاضر البديهة .

بـــيرن : دعيك من « نيد » يا « جورجيس » ، ام هل تريدين أن تثور غيرتى ؟ صبى شرابا لى .

السيدة جونز : أولنى هذا الشرف ، ياسيد « بيرن » ، على كل ، الفنـــدق

فندقى أنا ، وانها لسعادة لى أن أكرمك أثنـــاء مجيئك إلى « جلينراوان » .

بـــيرن : بارك الله قلبك الأسرالى العجوز اللعين ، ياسيدة « جونز » .

والله يا « نيد » ، انني بين فترة وأخرى يعتريني شعور
غريب كأننا في « جيريليديرى » . ربما كـــان ذلك لأننا
في الحانة ، وجماعة مر تاديها مر غمين عـــى الاستسلام لنا .

نيـــد : ليس من هؤلاء من هو مرغم على الاستسلام لنا ، ســـوى
السيد الشرطى « براكين » . وليس بين هؤلاء كاهـــــن
مثل « جريبل » ولا ذباب قمئ مهتاج مثـــــل « ليفنج » ، ولم
يطلب منك أن ترفع يديك خضوعا يا « ريردون » أليس كذلك ؟

ريـــردون : ولكن خلعى لكم قضبان سكة الحديد ، لم يكن برضائي
أيضا ، الا أنني لست عدوا لعصابة « كيللى ».

بـــيرن : الا أنه يوجد هنا أخونا « كيرناو ». ورغم أن هذا مدرس و « ليفنج » كاتـــب

في مصرف ، الا أن السيد « كيرناو » يذكرني
إلى حد بعيد بالسيد « المحبرة » .

كـيرناو : آمل أن لقب « المحبرة » لا يقصد به مالا يسر .

بـيرن : لا ، أبداً ، ليست سوء النية فيه بأشد وطأة من قولي
لك بأنك عنكبوت تحت باب سحري تكاد أن تطأه أقدامنا
فيهى من تحتها ويهوى بنا إلى قرار الهاوية .

نيـد : لكم تشط وتشطح مجانباً الحقيقة في حديثك هذا.

بـيرن : هل أنا كذلك ؟ على كل ، « نيد » ، ما أشبه
الليلة هاهنا بيوم « جيريلديرى » ، الحانة ،
والشرطة ، ورواد الحانة ، وحتى شبح السيد
« المحبرة » والساقية الفاتنة .

نيـد : مما يؤسف عليه لا يوجد هنا مصرف ننهبه ، لكي
يتأتى كمال المشابهة ! هل نسطو على مابين يديك
من الدخل ، ياسيدة « جونز » ؟

السيدة جونز : تفضلوا .

نيـد : فلننشد تلك الاغنية ثانية .

بـيرن : غنوا . . . . غنوا . . .

عبأت أذنى غناء طيلة النهار كلـــه
لكن ذلك القطار ، مازال في الصمت يرن جريه .

نيـــد : « ستيفن » و « دان »
سيبلغاننا عنه اذا ما سمعاه

بـــيرن : الآن أستطيع سماعـــه .

نيـــد : (يصدقه برهة من الوقت) : لا تستطيع سماعه.

بـــيرن : يبدو أنه قد أنشب العجل ، تشبثا بالقضب المثلجة

نيـــد : يالك من غبي !

ريـــردون : ليس غريبا سماعه في قلب من يعلمه مندفعا إلى الدمار ها هنا .

السيدة جونز : لايمكن أن يجئ .

بـــيرن : لايمكن أن يجئ ؟
بل ليس واجبا ان يجئ ، لكنه يدق طبل جنازته بنفسه

نيـــد : أظن أنهم سيحضرون .

بـــيرن : وهي حقيقة ، يا « نيد » ، « جلينراوان »
ليست « جيريلديرى » ، أيام عزنا القديمـــة
الأول ، قد انقضت

كذا تحدينا ونحن راكضون بالجياد ، لكل من في
الارض
كله اندثر
لأن ذلك القطار قادم .

نيـــد : لم ينقض شيءٌ ، ولما يندثر شيءٌ سوى أعصابـــك
المتدهورة .

بـــيرن : اذن نغني ذلك النشيد ، لما به من الجموح والجمال
عن موت مغوار من الادغال
لكي نحس بالسرور والجذل .

(يبدأ في الغناء ، ويغني بعده الباقون ، انشودة .
« فتى فترة الاستعمار الأرعن » .)

هيا نغني عن فتى مغاور وأرعنـــــا

وكان يدعى « جاك دولان » الجديـــــر
بالثنـــــاء

سليل والدين معدمين لكن لم يهونا معدنا

في أرض « كاسلمين » انجباه آملين بالسرور
والهنا

فرحة الأم الوحيــدة

أمل الأب الوحيــد

حبه قد كان حبـــا

ما عليه مــن مزيد

هلموا يا أحبائى جميعــا

نطوّف في الجبال الشامخات

وينشرنا معا للنهب غنم . . .

وتطوينا معاً كف الممات

لسوف نجول في سهل وواد

على خيل سريعات جياد

ء اباء ان نعيش حياة رق

ونرزح في سلاسلهاالشداد

وقبل أن يتم ست عشرة من عمره

أجبر أن يجلو عن منزل والده

مطوّفا في جوا استراليا وحره

متجها للغاب من وجه مطارده

ونهب الكبار من متاجرى البقر

ودمر الابقار في الحظائـــــر

(يصاحب « كيللى » المغنيين في البيت التالى) :

وصار رعبا ليس يبقى او يذر

وينذر « القارة » بالمخاطــر

هلموا يا أعزائى جميعاً .....

وابتدأ الفتى الجسور عيشة المخاطرة

بسرعة البرق وكل يســـر

فلم يكن في قلبه خوف من المغامرة

ولم يخف معادياً ذا غـــدر

سطا على بريد « بتشورث » عياذا نهبه

وهدد القاضى « مكفوى » وأرعبه

فارتعدت فرائص القاضى وخلى ذهبه

لذلك الفتى الذى داهمه وسلبــه

هلموا يا أعزائى جميعا ....

أدى له تحية الصباح ثم انذره

بأنه لا يستبيح مال ذى قلب رحيم

ومن يقيم الحق ما نقصه أو هدره

وينصف الناس من الظالم واللئـــيم

قال له : « لن أحرم ابنها الوحيد

قرة عينها وسعد قلبها الشفيق

أو أننى من حرمة القانون مخلوع طريد

مثل الفتى الأرعن قاطع الطريق

هلموا يا أحبائى جميعا ....

في أحد الايام بينما كان الفتى

ممتطياً جواده عرض الجبل

(يدخل « جاك جونز » ، وهو فتى ابن اثنتى عشر ة سنة ، من الباب الأيمن ، ويحمل الفتى صينية فيها عدد من الكؤوس)

بيرن : (يقطع الغناء) : هاهو اذن « فتى الفترة الاستعمارية الأرعن » !

جاك جونز : (مبديا ثناياه ابتساما) : إيه والله !

السيدة جونز : هل يبتغون مزيدا من الشراب، هنالك، يا «جاك»

جاك جونز : إيه والله !

(يمد بالصينية إلى السيدة « جونز »، وتملأ هي والساقية الاقداح.)

نيد : (يقذف بنقود على حاجز الحانة) : املئي لهم الكؤوس،

يا « مدام جونز »، لسوف أدفع ثمن شرابهم حتى مطلع الفجر.

السيدة جونز : لست بحاجة إلى أن تدفع الثمن. انه ليسرنا ان تنزلوا ضيفا علينا وتكونوا بيننا.

نيد : لاتردي أبدا نقودا غير زائفة.

السيدة جونز : هذا الذي دفعته أكثر من المستحق. انك تدفع مضاعفا.

نيد : أعطي « جاك الصغير » ماتبقى، لكي يتذكرني به.

السيدة جونز : قل للسيد « كيللى » شكرا ، يا « جاكى » . أين أخلاقك الحميدة ؟

جاك جونز : كل الذين هناك يتطلعون إلى درعك . هل يمكننى ان اجربه على جسمى ؟

نيـــد : ستجده ثقيل الوزن

بـــيرن : ثقيل وزن بارد . لاتتزىّ أبدا بزى « نيد كيللى » ، إنك ان فعلت قد لاتخلعه . . .

جاك جونز : إيه والله !

بـــيرن : من أين تعلمت هذه الكلمات الرنانة الطوال ؟ أم هل بلعت معجما ؟

نيـــد : هل كل الذين هنالك منشرحون يقضون وقتـــا لطيفا ، أيها الفتى ؟

هل كلهم سكارى ؟

جاك جونز : إيه والله !

كـــير ناو : هل زوجتى على مايرام يا « جاك » ؟ لاشـــك أنك تعرفها ــ السيدة « كير ناو » .

جاك جونز : لم تطالب شرابا .

وحسبوا الفرصة قد واتت لأسره

وهتفوا كأنهم قد مهدوا لذعره :

استسلم الآن يا «جاك يولان» الأمر قد بـــان

هنا ثلاثــــــة في وجــه واحد

استسلم الآن يا « جاك دولان » أسرك قد حـــان

ياقاطع الطـــــرق لاتعانــــــد

شهر الفتى من حزامــــــــه

مسدســاً ثــم هــــزه

كلعبة صغيرة تدعو الردى أن يقـــــــدما

قال الفـــتى من عرامــــــــه

بعنفوان وعـــــــــــزه

(يصاحب « نيد » المغنين في الغناء) :

« إنى لكم محارب حاشاى ان أستسلما . »

ريـــردون : يالك من شخص غريب ،

فأنت يا « نيد » تغنى والقطار راكض نحوالدمار

في هذه اللحظة ربما ،

ويا « لبيرن » شخصا غريبا يشبهك

فهو يغنى ويعاقر الشراب ،

وقد تلطخت كفاه بالدماء .

بـيرن : نسيت أنني ، أيضا ، أغازل ،

وانني قبلت ذى الساقية الحسناء . (يقبلها)

الساقية : يا « جو » ، يا مجنون !

ريردون : البارحة ، قضوا على إنسان ، وهذه الليلة هم
ينتظرون مصرع عشرين زيادة ، وبين ذين المصرعين
الشراب ، والمزاح ، والنساء . والشاب « دان »
و « ستيف » ،

يصغيان كي يستقبلا القطار ، ويسمعان

قلباهما بالنبض يسرعان ، هناك في الظلام

يفكران مثلما تفكران ، بلفكر المظلمة التي تؤذن بالدمار

بـيرن : كذاك ما في خاطرى من الفكر ،

تعزى إلى الظلام ، أم أنها ليست كذاك ،
يا حبيبتى ؟

الساقية : أظن أنني في حضرة الشيطان .

بـــيرن : هاتى لى كأسا على ذكرهم .

الســاقية : كم تفرط في الشراب :

بـــيرن : حبيبتى ، لم أستطع ان أقتصد ،

فبي من الظمأ ، ما بجميع الشجر التى تساير الافق

والليل يدنو ، يا حبيبتى .

وسوف يغدو كل شئ مظلماً ، وفي دقيقة .

(يغنى في سخرية تثير الرثاء ، وتصاحبه الجماعة)

امتد راعى بقر يحتضـــــر

في بذخ الجسم وفجر الشباب

وسرجه موسد رأســـــه

وحوله يبكـــى عليه الصحاب

فنصب الجسم وخلى الوســـاد

كى يوصى الصحب بهذا الخطاب !

لفّوا دثارى الصوف حول البدن

واتخذوا سوطى رباط الكفن

ثم اقبرونى في حفير سحيـــق

لايزعج الضجعة فيه النعيـــق

ولا نباح « الدنجو » مهما يحيق

وحيث ظل الآس حولى رفيق

(يدخل «دان » و« ستيف » من ناحية اليسار .
ويخفت الغناء عندئذ .)

ياليت لى قدرة طير الحمـــام

اذ يعتطى الريش ومتن الغمـــام

نيـــد : أما بدت يا « دان » منها بادرة ؟

دان : عم يثور كل ذا الصخب ؟

لقد تجمدت مفاصلى ، و كل أوصالى تصلبت .

نيـــد : خيل لى أنكما قد نمتما .

دان : تقول نمنا ؟ انى لست بسكران إلى الحد الذى ينيمنى في الغاب .

لقد ظللنا سائرين ، كى نستدفئ .

نيـــد : أرى من الافضل ان تعود .

هذا اذا كان القطار ، قادما ،

لابد أنهم قد سمعوا الذى جرى « لشيريت » ،
وأنهم ، ألآن في طريقهم إلى هنا .

السيدة جونز : حقيقة ، انكم بحاجة للشراب ، سيدفئكم .

دان : سنأخذ الزجاجة معنا .

بـيرن : هل لديك زجاجة أخرى ، ياسيدة « جونز » ؟ الجفاف هو اللعنة المنصبة على « استرالية » .

السيدة جونز : يوجد الكثير من أجلك .

الساقية : لقد تعاطيت مافيه الكفاية .

بـيرن : من « الروم » أم منك ؟ لم أحصّل من هـذا او من ذاك الكفاية .

نيـد : خذ الزجاجة ان احببت ، ولكن تمهل في الشراب يكفي يا « دان » ان قد أفرط في السكر واحد .

بـيرن : لست سكران . انني نشوان حبا وغراما .

هـارت : أود أن أمتنع بسكرة كبرى لا مثيل لها . فلقـد أجلت الشراب سحابة النهار ، منتظرا مجيء ذلك القطار اللعين . ولقد أضناني الملل .

نيـد : سنسكر السكرة الكبرى التي تتمناها ، غدا اذ سوف تحل المناسبة التي نحتفل فيه من أجلها .

بـراكين : وهل سترقصون على قبور الضحايا ؟

بـــيرن : سأرقص على قبرك ، قبلهم .

نيـــد : يا لله ، يا « دان » .

دان : أمرك مطاع ، سأرتقب القطار . وان لم يـــأت بالعجل سأعود وأجهز عليكم جميعا رميا بالرصاص ان صبرى يكاد ينفذ . هيا بنا اذن ، ياسيـــدتـــى الزجاجـــة .

(يخرج « دان » و « هارت » من ناحية اليسار)

كـــيرناو : يا « كيللى » هلا تكرمت بالسماح لى بالذهاب؟ قد قلت إننى يمكن أن أنسحب .

بـــيرن : ماالذى تود من أجله أن تذهب ؟ ألا تحبنا ؟

نـــيد : من أجل زوجته ، يا « جو » . فهى مريضة . ولا نود ان نبقى سيدة مريضة بيننا هنـــا .

بـــيرن : بل ولا نودان نستبقى مدرسا هنا ، على كل حال . تجيش نفسى غثيانا منه . (يغنى) :

ياليت لى قدرة طير الحمام

اذ يمتطى الريش ومتن الغمام

فليبق ها هنا ليشهد الختام .

نيـــد : لكن زوجه مريضة

بـــيرن : ليس يريد أن يكون متلنا في المشكلة ،

يخشى على سمعته ان تحطما .

وأنت يا « نيد » تريد أن تتيح فرصة له بالانصراف
لأنه ذو مظهر أنيق .

وليس في مخبره أناقة ، بل إنه « محبرة » مازاد
« ليفنج » .

يا « نيد » لا تثق به .

نيـــد : ماهمني يحل أو يرحل . لكن زوجه مريضة .

ريـــردون : مازالت الرحمة في قلبك ، يا « كيللى » .

ياليت علمي ماشعور الأرملة ، في كوخ « شيرت »
هذه الليلـــة .

نيـــد : « شيريت » كان جرذا ، كان مثالا للمـــروق
خائنـــا .

بيـــر ن : « كيرناو » أيضا مثله ، أو قل أقل منه في المر وق
والخيانـــة

ان لم يكن فأرا فدرْصا راتعا بين غلال القمح في
ينوعها .
يعيش بين سوقها مخالسا وقارضا .

كـــيرناو : ليس حرّيا بك ان ترتاب بي ، يا « بيرن » .
فانني الصق مايكون في علاقتي بالغاب
أعيش فيه ، وتعلمت أن أقدره .
فلست ممن يملكون واسع المرعى وقطعان البقر .
أنا معلم فقير ، أعلم الطفل الفقير ، علمي اليسير
بذلك الاجر الحكومي اليسير .
ولست جاهلا هذا البلد .
أعرف قسوة الحياة ، ومرها
كيف يكون الكدح والكفاح كي ينتزع الانسان
رزقــه
من التراب والصخور
وكيف هذا ممكن ان يدفع الانسان أن يسير في
مسالك ،
ماكان فيها سائرا لو لم تكلفه الظروف القاسية .
كأن يودي بقطار للتردي والدمار

أو أن يشارك الرعاة في خيرات أرضهم وفي أملاكهم

بـيرن : هل ذاك ما تلقن الصبية علمه في المدرسة ؟

نيـد : سيعلم ربنا ، بأن هذا الصدق عينه .

كـيرناو : والله لو لم يدرك الانسان مافي سرقة الأبقار من حرج
ماعاش كل هذه المدة عيش المستكين
في (جايتراوان) .

السيدة جونز : طبعا ليس في سرقة الابقار من حرج ، فان يكن موسر يملك ألف رأس من الابقار . ومعسر لاتملك يده حتى قطعة من رغيف لإطعام صغاره ، فمن ذا يلوم المعسر إن ضيّف نفسه من مال الموسر !
فلن يعينه احد ان لم يعن نفسه .

ريـردون : اذا خلا كيس أمرئ من النقود ،
فكلهم سوف يديرون ظهورهم له
كما تدير الشمس ظهرها للارض حين تغرب ،
فمن يلوم معسرا اذن
على الذى جنت كفاه في الظلام ؟

نيـد : « ريردون » كم تزعق مثل ببغاء ذى عرف
للزعق ذاتـه ،

لكن في زعقك أحيانا جمال منطق وعقل .
فربما تكون قد سكرت .

بيرن : ماذا الذى يمنع أن تجرب اليدين في سرقة البقر ،
مادمت يا « كيرناو » مدركا جمالها ونفعها ؟

كيرناو : سوف تخونني شجاعتي .

بيرن : طبعا ستعجز ، لكن مازلت على قيد الحياة ،
ولست أهلا للبقاء

هل أنت مدرك « كيرناو » مارأيى بأمثالك من الرجال
الودعاء والقماء

من ليس يقوون على هوش فرس

ولم يمدوا نحو بندقيـــة يدا ،

بل ماقووا أن يقفوا ثانية من الزمن

في وهج الشمس كما يزهو الرجال مقدمين عاملين ،
أمثال هؤلاء

أريد أن أطلق بندقيتي عليهم

من أجل ماهم عليه من صفات تافهة

وكل ما ليسوا عليه من مزايا سامية .

نيـــد : دعه وشأنه ، يا « بيرن » .

بـــيرن : والله انه يجلس منا مجلس القضاء ، يديننا .

كـــيرناو : لست أنا الذى يفعل ماتقول .
وليس من شأنى أن أجلس مجلس القضاء أو أدين .

بـــيرن : بل أنت مُصَدِر حكما علينا ، ضدنا .
تنعم في الظلام ناظريك كالوطواط
يشجب نور الشمس بل يدينها ، لأنه يخافها .

بـــراكين : لا بد ان يكون نور الشمس في أقله ، يا « بيرن » ،
ان كان ماتدعوه نور الشمس حسبما تقول ،
وذاك حينما تحطمون ، قضبان سكة الحديد
وحينما تقترفون قتل الابرياء
كما قتلتم ذات مرة
« سكانلون » ، و « كينيدى » و « لونرجان »

نيـــد : إن اسنانك تصطك يا « براكين » ، اهدأ .

بـــيرن : يأيها الشرطى انى قادر على أن أطلق النار عليك .

السيدة جونز : ماهذا الحديث الذى أسمعه عن اطلاق النار ؟

نحن هنا جميعا أصدقاء . دع « بيرن » وشأنه يا « براكين » .

براكين : حينما يقترف المرء جريمة يقتل غيره ،

تبقى لديه شهوة لكى يقارف الإجرام ثانية ،

مبرهنا على انه المحق .

قد لطخ الكفين بالدماء ، وهاهما مازالتا، ترتعشان من ذلك الجرم الذى قارفه

في قتل « شيريت » أمام زوجته .

بيرن : (ينفث كربا ثقيلا) :

ربـــاه

(يترنح . يتلقفه « نيد » ويسنده) .

الساقية : قد أفرط في الشراب . لابد أن يؤخذ كي يتمدد .

نيد : هون عليك ، « جو » . عار عليك الآن أن تطيح .

بيرن : (يفلت من بين يدى « نيد » :

حسنا اذن . أنا الذى قضى على « شيريت » .

أصليته ناراً فبردت مفاصله .

سخرت « تونى ويكس » كى يدعوه يخرج من
داخل كوخه

قتلته في داخل الكوخ أمام زوجته .

وزحفت في قاعة الغرفة . . . ثم زحفت . . .
وأمسكت بركبتى

ثم جرت تحوم في الغرفة تنشج كحيوان مخثن
مجروح .

كنت « وشيريت » صبيين رفيقين معاً في المدرسة
أصدر على الحكم في ذلك يا « كيرناو » .

قل الذى قد كان ممكنا عمله غير الذى فعلت
وانى سوف أعيد صنعه ثانية .

كـيرناو : ما قلت ما صنعته كان خطأ .

بـيرن : خطأ ، خطأ . . . إذا قطعت شجرة ، هذا خطأ
لكن غايتى لابد من تطهيرها .

من أجل ذا « كيرناو » سوف أقتلك .

(يهدد المدرس . ويصده « نيد » والساقية) .

السيدة جونز : الشاب منهوك القوى . أضجعوه ليستريح .

يوجد خلف الخان مضجع .

نيــد : يا « جو » كن ثبتاً ، بحق الله .

بـيرن : (وقد انهارت قواه) :

الانتظار ما أمضه ، يا « نيد » . إننى لآسف على الذى جرى .

لقد أنهكنى السهر . ياليت ذلك القطار يقبل —

نيــد : إنه لمقبل ، ولتطمئن ، وكن على استعداد .

لاتخذلن أخاك في وقت كهذا يا أخى .

بـيرن : « كيرناو »

لن تمسك منى يد الضرر .

بـيرناو : أفهم أفهم .

بـيرن : (يستعيد قوته بعض الشئ) : لاشك في فهمك يا « كيرناو » .

تفهم فوق ما يراد فهمه . انك أنت و « براكين » قد اتفقتما

لكى تكيدا لمغيرى الغاب وأن تكونا كاليد الواحدة عليهم .

كـــيرناو : هذا « براكين » ، كما قلت لكم مريض
وما كذبتكم فيما نقلته لكم عن الشرطى .
مدللا على صداقتى لكم .
وها هنا قضيت طيلة النهار ، مشاركاً لكم شرابكم
بـــيرن : فليكن الامر كما زعمت يا صديقنا .
قلب مغير الغاب نابض في صدرك الحنون .
وأنت مبغض أمثالك المواطنين هاهنا ،
وعوضا عنهم تحب قومنا .
كأننى لست « بيرن » بل اننى « ماتلدا » عمتى
إحم إحم ، ذلك لا يهم .
الســـاقية : (تمسك « ببيرن » من ساعده) :
هيا إذن يا « جوُ » تعال واضطجع . . .
بـــيرن : لابد أن تتخذى منى الحذر . أنا أعض في الظلام .
الســـاقية : دعنى أجربك .
نيـــد : اذهب ، يا « جو » . ولا تعر بالا قضية القطار .
وسوف أدعوك متى يجئ . ولا تعر بالا « لشيريت »
كذلك .

إن الذى مضى مضى .

بــيرن : يبدو انى غبى .

الســاقية : بل أنت طفل نكد لاغير .

بــيرن : كذاك تنظرين لى ؟ هيا معى . . .

(يخرجان من ناحية اليمين يتضاحكان) .

نيــد : هم يتركوننى بمفردى . وليس يجدى منهم أحد .
فواحد سكران ، وآخران ، يجعجعان دون طِحْن.
في مثل هذى الليلة العظمى التى تمر من حياتنا

ريــردون : أنت الذى أرسلت منهم فتيين كى يراقبا القطار ويقبعان في الظلام ، فمن يلام غيرك على الذى حصل ؟

نيــد : لقد صرفت الفتيين ليحجبا وجهيهما المنقبضين ، وكى ينشغلا .
أما القطار ، فممكن سماعه من ها هنا .

ريــردون : إن ينج بعض الناس من تحطم القطار ، فسوف تحتاج رجالك .

نيــد : قد تكون حاجتى لمئة من الرجال . لكننى أغنى بنفسى عنهم .

كــيرناو : هل يمكن أن تأذن لى أن أنصرف ؟

وسوف آتى كى أراكم غدا .

نيــد : الله يدرى في غد أين أكون . اذهب إذن .

(يتجه إلى الباب وينادى) .

تعال ، يا « جاك » ! إلى هنا . أنا بحاجتك .

كــيرناو : كنت أود الانتظار ، حتى نهاية المصاف .

لكن لن تقوى على ذلك زوجتى .

نيــد : هذا المكان لا يليق بالنساء . ثق بالذى أقول .

(يأتى « جاك جونز » إلى المدخل الذى ناحية اليمين) .

يا « جاك » اهد تحياتى ، إلى حرم السيد « كيرناو » وترجها ان تخرج على هذه الناحية ، هل تعرفها ؟

جاك جونز : إيه والله !

نيــد : بالله طر من ها هنا اليها وأخبرها بأنها مطلوبة للمجئ .

(ينطلق الصبي راكضا .)

السيدة جونز : لقد تعلق قلبه بك ، ياسيد « كيللى » . اذ لم أعهده قط ذلولا مطاوعا لأحد قبلك ، وعلى مبادرته هذه.

نيـــد : ماذا تريدين له أن يكون ؟ صاحب فندق وحانة ؟

السيدة جونز : ان لم يغد من مغيرة الادغال .

نيـــد : يمكن أن يكون أسوأ من ذلك . ولكن العمل في حانة شعبية أسلم له .

(يعود « جاك جونز » ومعه السيدة « كيرناو » ، وهي امرأة ترتدي ملابس على آخر طراز ، مشوقة القوام ، شاحبة اللون ، مروعة) .

كـــيرناو : لا عليك ياعزيزتي .

نيـــد : (ينحني لها محييا) : حسنا ياسيدة « كيرناو » ، أنا آسف على تأخيري لك مدة طويلة .

السيدة كيرناو : (مرتبكة) : حلت السعادة بذلك علي .

السيدة جونز : لم تلتق « بجو بيرن » ، أم أنا مخطئة . ؟ !

نيـــد : لن أطيل بقاءك في هذا الجو مدة أكثر . ياسيدة « كيرناو »

لقد أصدرت أمرى بالرجوع بك إلى دارك .

السيدة كيرناو : الدنيا مظلمة . وزوجى —

كـــيرناو : أنا آت معك . لقد سمح لنا بالذهاب .

السيدة كيرناو : أشكر لك تلطفك ، ياسيد « كيللى » .

نيـــد : الخير في أن تسرعا . فالوقت يمضى مثل لمح البصر . توجها توًّا إلى السرير . ولا تحاولا ان ترياما يحدث فان سمعتما تحطُّما أو طلقات النار فالزما السرير .

كـــيرناو : سأدَّعى كأننى في حلم .

نيـــد : لكن يا « كيرناو » لا تحلم بصوت مرتفع ، أكثر مما يجب .

لا تهذ في النوم ولا تسر في النوم هذى الليلة .

كـــيرناو : هل أنت واثق من أننا في مأمن ؟

نيـــد : انتما معى في مأمن ، هاك ساعدى ، سيدتى .

كـــيرناو : لتصبحوا جميعكم بخير .

براكـــين : وأنت يا « كيرناو » فلتصبح بخير .

(يخرج « نيد » مصاحبا آل « كيرناو » .

السيدة جونز : حتى وان بدت مطمئنة ، فان اطمئنانها سحابة صيف .

براكـــين : (باندفاع عاطفيّ شديد) : الآن حانت فرصة لنا !

لقد قضيت كل هذه الليلة أرتجي سنوجها .

فحينما يعود فلنهجم عليه (يرنو اليه الحاضرون صامتين .)

لم يبق غير « نيد » وحده

وإنما « بيرن » حطام .

والآخران ليسا شيئاً أبداً .

ماأسهل ما سنفعله .

لسوف نرتمي عليه كلنا معاً .

(تدخل الساقية من ناحية اليمين) .

الســـاقية : حاولت أن أنيمه ، وقال إنه سوف ينام .

لكنه مازال في تململ على مضجعه ،

مازال في اعتقاده بأنه يسمع اقبال القطار .

قلت له : ذلك صوت الريح . . لماذا أنتم صامتون؟
ماذا جرى ؟

السيدة جونز : لاشئ حتى الآن ، لم يؤذ أحد .

براكـين : هذى أمور ليس من شأنك ان تدخلى بها .
وليكن الانذار هذا كافيا لك .
هيا اسرعوا ، سوف يعود في دقيقة .
من الذى سوف يهاجمه ؟

صـوت : هاجمه أنت بنفسك .

براكـين : لعنتم ، أنتم تدرون بأنني مريض .
قد سحبوني من سريرى مكرها . هيا إذن . هيا
إذن .
ليس لدينا فسحة للجدل
أ أنتم رجال ، أم أنتم غير ذلك ؟

صـوت : نحن رجال ، لا جدال . لكننا لسنا رجال شرطة .

براكـين : رباه ! هل قد مسكم جميعكم جنون ؟

صـوت : نحن على أتم أنواع الرضا .

براكـين : لكنما القانون قد خول لى نصرتكم

وانني مطالب اياكم بها .

صــوت : خلنا عنها بعيداً لا تطالبنا بها .

بــراكين : سوف يعود « نيد » لا محالة .

وموعد القطار موشك أية لحظة من وقتنا هذا .

ولست أرجوكم بأن توأزروا الشرطة مقتفى الأثر ،

وانما الشر الذى يخشى وقوعه في الفينة القصيرة التى

تتاح أمام « كيللى » وعصابته ، لهو أشد وأمر ،

من كل ما يبغون أن يشفوا غليلهم بــه ،

من الكلاب ، سود الاهاب

تلك التي ترسلها الشرطة كي تزعجهم

ففوتوها فرصة عليهم .

ففى القطار مثلكم مواطنون بيض ،

مواطنون بيض ، يا يها الرفاق

صــوت : ذاك مصيرهم فليقبلوه مثلما يجىء ،

من الذى قال لهم يسافرون صحبة الكلاب ، سود

الاهاب ؟

يجرئونها على (مغيرى الغاب) .

بــراكين : « ريردون » ، لابد من ان تستقيم جانبى تعيننى .

« ريردون » ، يجب ، يجب
فأنت أعقل الجميع هاهنا ، تفهم مقصدى .

ريــردون : فيما تقول منطق معقول ،
لكن ماكان يجب ، ان ترسلوا كلابكم سود الإهاب
كى تقنصوا بها بيضا من الرجال مثلكم .
وليس من شأنى بأن أدخل في ملمة نازلة
بتلكم الكلاب ، سود الإهاب .

بــراكين : لكن همى الآخرون . لسوف يقتلون .

السيدة جونز : ليقبلوا الحظ كما تأتى به نتيجة المقامرة .

بــراكين : انها جزيمة مسبق اصرارها .

السيدة جونز : ونحن أصدقاء آل « كيللى » هاهنا .
فمنذ كانوا فتية في سن « جاك » ، نعرفهم ،
ونحن ندرى كيف طوردوا وشردوا ،
لغير ما ضر أتوه قاصدين .

بــراكين : ان لم يكن قصدهم الضرر ،
فما الذى يعنيه ذلك التخريب ، ماالذى في سكــة القصار ، ينتظر ؟

يالك من معتوهة ، صارخة الجنون ، عمياء النظر
كم رجلا من البشر
ستغرب الليلة شمسهم وتحتضر ؟
لأن هاهنا مجنونة فاقدة الادراك والبصر
ألست تقوين على ان تدركى الذى لاحت به النذر؟

صوت : أليس من تحنو عليهم شرطة ؟ اذن فهم ليسوا من البشر !

براكين : (يستر وجهه بكفه لاطما) :
رباه ساعدنى على الضر الذى فيه أنا ، وأى ضر :

بيرن : (يبدو هائجا ، مضنى من الأرق ، ينتفض رعشة حين اندفاعه المفاجئ من الباب الايمن) :
لن تقيك يا (براكين) أى شر
سوى معونة القدير المقتدر
لو كان « نيد » سمع الذى كنت تفوه من هذر.
فالقبر مثواك وبئس المستقر .

براكين : لا تطلق النار على « بيرن » إنى أعتذر .

السيدة جونز : دعه ، فما هذا سوى مغفل من البقر .

فلم يعره أحد بالا وما كان له لينتصر .

السـاقية : ان يكن الذى هفا ، فكن أنت يا « جو » من عفا وقد قـدر .

بـيرن : تذكروا بأنني لوكنت قدمت لكنت قادرا ،

أن أغرس المسخ المشوه الذى أمامكم ،

وسط حفيرة من الثرى تليق به

لكننى أعتقه وأطلقه

ولم ذاك ، ماالسبب ؟

لأنـنى بذرت حقلي وانتهى عهد الغراس ،

أضف إلى ماقد سلف ،

ما استفادتى من أذن مشعرة وحيدة في رأس شرطى بليـد ،

ان قستها بوافر من الحصاد أرتجيه وافدا مع القطار؟

(يقدم قدحا من الشراب للشرطى .)

تريد كأسا من براندى ، يا « براكين النديم ؟

تبدو لعينى في أمس حاجة لشربها .

بـراكين : يا « بيرن » لن أنسى لك الفضل الذى أسبغته على.

بـــيرن : لتنسه ، لتنسه ، فلست عسلوجا من الخزامى ،
كففت عن قتلك كي تضحكني ، إذن فسلني .
او أنني سأشنقك ، من رافد السقف الذى يميـــل
فوق رأســـك .

ريـــردون : دعه فما مزاجه مهيئاً للتسلية .

بـــيرن : لكنه يضحكني حقيقة . هل كنت يا « براكين »
أن هولاء الناس سوف ينصرون الشرطة ضدنا ؟

بـــراكين : الآن قد ظهر لى بأنهم لن يفعلوا .

بـــيرن : لوأن نورا من ذكاء أومض
في ذلك الرأس الذى خوى على عروشه
وخارت الرياح في أرجائه ،
لكنت أدركت جلية الامور
حين بدا « كيللى » وصحبه
وخلفهم طيوف أشباح تهيم
فبعضها يرسف في سلاسل من الحديد ،
وبعضها تجلد ، أو مشنوقة ،
بل تلك اشباح غدت مرسومة ،

تعكسها مرآة اذهان البشر

في طول « أستراليا » وعرضها .

ريـــردون : يا « بيرن » عبر با لذى تقول عن نفسك ،وعن مشاعـــرك .

أما أبى العجوز ، فانه ماخرج

إلا لكى يغير المناظر أو شبه ذلك .

بذاك قد خبرنى .

بـــيرن : لربما يكون مافعله كما تقول ،

لكنما خروجه كان من السجن وحسب :

من وحل الامطار سوداء باحياء الأناس المعدمين

ربما ، إلى مكان فيه شمس ضاحية ،

من الحقول المحدقات بالسياج ، من الجداول التى قد سُيجَّتْ ،

من حيث يضرب السياج حول الارنب ،

إلى مكان فيه يطلق الرصاص نحوه لصيده .

والجدول الرقراق كان مسبحا لطائر البط الوديع

ثم غدا يملكه ملاك أرض ذو نفوذ .

والمرج من دون سياج كان يجرى المرء فيه خيلـــه
في وضح الشمس ، وليس زاحفا تحت السياج .
فان يكن أبوك قد غادر سجنه ،
فانه ليس بعائد إلى غيابته .
ودائما ، سيذكر السلاسل ، سيذكر الامطار ...
والأرض التى يملكها ذوو النفوذ المتخمون
من يومنا هذا إلى الف من الاعوام فيها الشمس
تغدو مشرقــــــة .

بــراكين : يا « بيرن » هذى الارض « استراليا » .
وها هنا عدالة .

بــيرن : ها هنا الشرطة ، إن كنت الذى تعنيه ذاك .

بــراكين : ها هنا عدالة .

بــيرن : قد يكون ما تقول واقعا .
لكن في اللحظة التى تطلب ممن ها هنا
لكى يساعدوا « الشرطة » ،
تثقل أيديهم سلاسل الحديد .
هذا الذى يضحكنى منك ومن عدالتك .

ريـــردون : إنها أرض يغشيها الخبال والجنون .

بـــيرن : بل انها مجنونة شديدة الجنون

جنون عمال المناجم الذين يكدحون ، من أجـــل عيش أهلهـــم

والغاب كم عجّ بهم يرهنون كدهم، بعيش يومهم.

وزادهم مقتصر على شراب « الروم » وحده

وحفنة من التراب .

يتخذون شجر اللبان زوجات لهم

يعوون في الظهر مع الكلاب ، من جوع ومـــن حر شديد .

الســـاقية : وأنت نوعا ما مثلهم جنونا وشقاء .

بـــيرن : خمنت ماأنا عليه ، لم يعد سرا عليـــك

لكن لم يبلغ بى الجنون مهما بلغ ، جنون هـــذا الشرطى المخبـــل ،

في ظنه السئ أن « جلينراوان »

يمكن ان تعينه ضدا « لكيللى » والرفاق .

ما « نيد » الا « جلينراوان » .

صخورها ، والشجر ، وخيلها ، وحانها ، وأهلها

ريــردون والصل تحت تربها ، وسمه الناقع في الناب المميت .

بــيرن : وذاك أيضا ، إن تشأ .

و « الدنجو » منشبا أسنانه في عنق الخروف .

لم تقل قسوته ، عن قسوة الغاب الذى يعيش فيه ،

لم يكون طبعه في رقة النسيم ؟

إن تكن الدنيا بأسرها قاسية عليه ؟

ريــردون : لكن لاتقدر أنت أن تكون مثله قساوة ،

أنت تقلب الامور من قبل وبعد خوضها ، مفكرا

لكن « نيد » يقدر أن يقتل شخصا مثلما

ترمى حصاة في غدير ،

فهى تغوص واذا الشمس يعود نورها

منعكسا على صفاء وهدوء

كأن شيئا لم يكن .

براكــين : تحكى عن القتل كأن القتل شئ طبعى في الدغل

يحدث عاديا ومرسلا

الصل يقتل ، و « الدنجو » يقتل ، نعم ، وغير

ذين يقتل ،

لكننا نقتلها ، نبيدها .

و « نيد » سوف يشنق لما ستجنيه يداه ، الليلة .

السيدة جونز : مثلك لن يشنق « نيد » أبداً .

براكـين : سيكفل القانون شنقه .

بـيرن : الناس خلف سلطة القانون .

إن الذى يحدث صنع الناس ، إن يشنقوه ،

يشنقوا انفسهم . هى الحكومة الى قد جعلت منه مناوئاً

لسلطة القانون ، وخارجاً عليه .

كذلك الجرائد التى من البعيد في المدن

تعوى ، تحرض على دمه .

كذلك المتأنقون من صغار الشأن من عنه يطالعون

عند الفطور ، حينما زوجاتهم يقرأن جرائد الصباح

أخباره لهم . أولئك الذين يبغضونه

وانما هم يبغضون فيه ما يخشونه في ذاتهم

وكل مايخشونه هو الذى في أسّ ذاتهم يهوونه :

الرجل الذى يقف شامخا منتصبا في هيئة الرجل

وتحت نور الشمس ، جاسرا بان يكون نفسه .

ريــردون : ذاك شيء ليس يستهان به

بل انه أوحد شيء في الوجود ،

كصخرة في بطن واد موحش ، ليس به إلا تنادى الطير .

كمثل ماء نازل قطرة فقطرة داخل كهف .

كم يشعر المرء بعزلة ووحدة ووحشة

حين يثير الدنيا كلها وتغتدى ضدا له .

الســاقية : أوشكت أن تبكيني .

بــيرن : ان شئت أن تبكى فابكى واندبى

ستجدين للبكاء مايبرره ، من قبل أن يميط هــذا الليل ستره وينقضى لكن فلتبكى علّى طائرا مضيعا في الواد سادرا ،

لا تندبى « نيد » ف « نيد » حوله أسطــورة تضاجعــه .

ياليتني كنت مثل « نيد » ولى مثله أسطورة تسحدنى
« نيد » نفسه يجمع في إهابه

« باور » ، « بن هال » ، « فريد وارد »
تشكلوا جميعهم في ذاته —

آخر من تملكوا السُّبل .

كذاك رأيه في نفسه ، لذاك فهو آمل سعيد .

فتاة « ثندربولت » ماتت كمدا عايه ،

لكن « نيد » فتاته سيدة فيها صلابة وجرأة على
الحيـــــاة

فليس مثلها ينهار في وجه القضاء ،

وليس ممكنا بأن يلقى بلحمها قوتاً لديدان القبور .

ريـــردون : لن يقدر القانون أو رجاله على ان يشنقوا أسطورة ،

لاسيما حين تكون « أستراليا » بنفسها ،

وياله نوعا من الحلم العنيف

قارة تمتد فوقها السماء شاسعة —

هذى البلاد الضخمة الجبارة الآماد —

بـــيرن : وانما الاسطورة التى قد نسجت من حول « نيد » خادعة مهولة .

خاطئة من بدئها . لكن لأستراليا ضلع بها ،

نعم ، فأستراليا ، نوع من الارض التى ليســت تليق ان تطير في سمائها سوى النسور ، لاتستطيع أن تجوب في أرجائها ،

على ظهور الخيل ، سوى رجال كالنسور

الســـاقية : اذن فى زعمك ، أنت نسر ؟

بـــيرن : انا ، كريشة طائرة مع الرياح . انى ، سيدتى ، أهوى واندثـــر .

(يدخل « نيد » من ناحية اليسار) .

نيـــد ليس في الافق شئ ، إن ، يخدعونا يا «جـــو» ، أو تفشل خطتى ، فانى سأصطادهم من عقــــر دارهم ، في ثكناتهم .

ريــــردون : لخير ماتفعله وأحكمه ، تعود أدراجك من حيث أتيـــت .

تقصد منزلك .

نـــد : منزلى هنا ، حيث سيأتون ، وحيث ألقى الشرطة

أي مكان غيره ليس لى بمكان . فكل شئ قدمضى
مثلما مضى « كيرزاو » — مضى وقد خلصنا منه
لم يبق هاهنا ، الا أنا والشرطة .

لكم يماطلون في المجئ ، يماطلون في المجئ ،

لابد من مجيئهم ، فهو عليهم قدر لابد من لقائه
في هذه الليلة دونما تأخير !

بـــيرن : أحدس انهم سيحضرون .

نيـــد : اذا أتوا الى ذا البلد ثانية من بعدما يحطم القطار ،
سيعلمون ان ذى بداية لاغير .

راوغتهم قبل تحاشيا ، فررت منهم ، لجـــأت
للغاب ،
تركتهم وشأنهم ،
لكنهم قد أطلقوا بعدى عيونهم تجسسا ،
وجرأوا كلابهم سود الإهاب ، تقتفى مسلكى —
(يسمع صوت صفارة قطار)

أصغوا اذن !

بـــيرن : هذا هو القطار ! أتى المجانين ، أتوا .

السـاقية : ماأرهب الموقف ، ماأرهبه .

نيـد : (مبتهجا) : أمامهم منحدر المحطة ، ومنه عبرها
إلى قرار الهاوية .

ريـردون : عشرون أو لربما كانوا ثلاثين من الرجال
الان يهوون حطاما ، يلقون مصرعا محققا .

نيـد : وفي الاخير أقبل القطار !
دحرجهم يأيها القطار مصوبا من الجبل ، الـى
الحضيض
يا « جو » قد تم لنا ماقد بذلنا الجهد في انجاز ه .
الآن تسمع القطار . أصغ اليه ، واستمع .

السيدة جونز : ياللمساكين ، ويا قلبي عليهم .

براكـين : لتوقفوا الحادث قبل أن يقع !

بـيرن : لاشئ ممكن ان يوقف الذى سوف يحل الآن ،
حتّم القضاء ، وانقضى الأمر فلا مردّ .

براكـين : رباه !

السيدة جونز : أصغ ، الآن هل تسمع حسا للقطار ؟
قد ذهبوا مع الرياح وقضوا .

ريـــردون : قد ذهبوا إلى قرارة السكون ، إنهم الآن رجال ميتون .

نيـــد : يالهم مردة أرثى لهم . لقد لقوا حتفاً أرادوه وطالبوا به .

براكـــين : لعنتم يأيها الاوغاد ، أبناء الزنا القتلة !

بـــيرن : (يمسك بتلابيبه) : وأنت ، يا « براكين » أيضاً ،

ما الذى من أجله يجب أن تبقى وأن تعيش

طالما العالم ذى الليلة يحترق ؟

نيـــد : (مشرعا مسدسه) : سوف تموت ، أيها الشرطى ، فاستعد .

الســاقية : (صارخة) : يا « جو » أتركه ، ألم يكفكم الذى فعلتموه ؟

ذاك القطار . . . لم أعد أقوى على احتمال ما تقترقون . . .

نيـــد : لكنما « براكين » قادر ، على احتماله

وانه لرجل مقاتل لا ينثنى عن القتال .

« براكين » شرطي ، وهُمُ الشرطة الكماة ،
لقاءنا مقاتلين ،
وهم يموتون اشتياقاً للقاء .
(يندفع « دان » و « هارت » داخلين)

دان : يا « نيد » هاهم الشرطة قادمون ! قد أوقف القطار
يستبقون الآن نحونا ليوقعوا بنا ،
إنهم عشرون أو أكثر من هذا العدد .

نيد : قد أوقف القطار !

دان : أو قفه ، قبل تقاطع الخطوط رجل بيده فانوس
جرى محاذاة الطريق ، ماوحاً لهم بنور فانوس الخطر
فانوسه الأحمر .

هارت : ظل ملوحاً وصارخاً كمثل مجنون علا هياجه .
فوقف القطار . وخرجوا منه جميعهم وهاهم إلى هنا يستبقون

نيد : « متوعدا » ، من كان ذلك الرجل ، صاحب الفانوس

ذلك الذى قد أوقف القطار ؟

بيرن : لاشك أنه « كيرناو » صديقك العزيز .

نيد : هل هو « كيرناو » ؟ قل يا « دان » « كيرناو » !

دان : لم افكر في ذلك . لكن نعم ، لابد أنه « كيرناو »

بيرن : ليكن الذى يكون : « كيرناو » أو « ليفنج » أو « شيريت » –

تلك بلايانا التى تألبت لقهرنا !

نيد : كان عليكم رميه وقتله .

دان : رميه وقتله ! إن علينا الآن ان نبارح المكان بالعجل.

السيدة جونز : هيا اذن شدوا رحالكم ، مادامت الفرصة سانحة!

هارت : نقدر على أن نأتى بجيادنا وننطلق .

نيد : لا أبدا . لست مبارحا . لست خارجا من هذه الحانة مطلقا .

دان : لكنما الخطة كلها قد فشلت .

هأرت : إنا لمقضىّ علينا لا محالة ، يا « نيد » ، ان لم نبادر الآن إلى جيادنا .

نيـــد : حم القضاء إن بقينا هاهنا ، حم القضاء ان فررنـــا من هـــــنا .

سوف أظل باقيا . سوف أريهم شيئا من القتال .

سوف نذيقهم من هول حربنا ، حتّى يقولوا : « قد كفانا »

ثم يهربون ــ فالخان معقل أمين ــ وبعدها نغادر المكان ، عندما نريد . لن أقر أبدا . لالن أفر ثانيا وأحمد الظروف أن قد فشلت خطتنا . إني أردتها حربا وقد أتت إليّ .

هـــارت : أنت تريد ان تجرنا إلى الجحيم .

نيـــد : اخرج ، اذا شئت الذهاب .

بـــيرن : « براكين » يا « نيد » خذ الحذر !

(يطلق « نيد » النار في أثر « براكين » ، الذى ظل يتحين فرصته ، وتسلل من الباب الايســـر للالتحاق بالشرطة .)

ريـــردون : اوشكت ان تصيبه .

نيـــد : أترك سبيلى ، لعنة الله عليك !

(يلحقه « بيرن » و « دان » يندفع « نيد »

إلى المدخل ، تسمع طلقة رصاصة عليه ، ويتعثر متقهقرا ، قابضا بكفه على ساعده الأيسر .)

بـــيرن : يا « نيد » هل أصبت ؟

نيـــد : بساعدى فقط . وليس شيئا ذا خطر .

أخلوا المكان من هؤلاء الناس ، أبعدوهم من طريقنا (يسوق « دان » و « هارت » ، كل النـــاس ماعدا « جاك جونز » ، فيخرجون مسرعين إلى ناحية اليمين . يخف الفتى إلى النافذة ، ناحيـــة اليسار ، ويرنو إلى الليل في الخارج . تسمع طلقة رصاصة ، ويقع الفتى على الارض صريعا)

نيـــد : ياللصغير الغر !

بـــيرن : (يرفع الفتى) : ماأسوأ الذى حصل ! هل آلمتك ، يـــابنى ؟

(لايرد الفتى على السؤال . تولول السيدة « جونز » حينما تعود راكضة لتشهد ماحدث .)

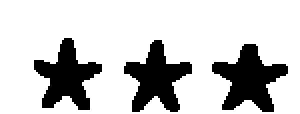
نيـــد : أبعدوهم من هنا .

السيدة جونز : قد قتلوا فتاى .

نيـــد : إننى لآسف . فلم أرد حدوث ماحدث .

لكنما خطتنا قد أخطأت هدفها . وباء بالخسران كل شئ .

(« بيرن » يحمل الفتى خارجا به من ناحيـة اليمين . ويتجه « نيد » إلى النافذة ليطلق النار على الشرطة)



الفصل الرابع

المنظر الثاني

(نفس المكان . في وقت متأخر . يضئ الحانة فانوس واحد و « نيد » على حاجز الحانة يتعاطى الشراب . « بيرن » عند النافذة اليسرى . كلاهما يلبس الدرع الثقيل الذى صنعه أحد الحدادين لعصابة « كيللى » من شفار محاريث مسروقة . وظلت جلالات الرأس البشعة المنظر مطروحة على حاجز الحان ، قيل انها تبدو مثل علب المسامير المقلوبة)

بيرن : لا بد أنهم ناموا .

نيد : لن يناموا هذه الليلة .

بيرن : النار مشعلة . لكنهم مختبئون في الظلال جيدا .
وقد مضت عدة ساعات عليهم من حين أطلقوا رصاصة .

نيد : سيطلقون رصاصة تفوت مسمعك ،

اذا ظللت مبديا نفسك هكذا . وانت في الشباك في خطـــر .

بالله قف من ذلك الشباك جانبا أو اعتمر بخوذتك .

بـــيرن : لعنت الخوذة ماأثقلها .

بل ان كل الدرع ذا في غاية الثقل ، وانه نتـــاج فكرة مجنونة .

نيـــد : لكنه أفضل من جسم امرئ مجرد ضد رصاصة .

بـــيرن : لانستطيع الركض والدرع على أجسامنا .

نيـــد : لكنني لست بر اكض من هاهنا .

بـــيرن : واأسفي لأ ننا ما كان عندنا درع « لجاك » ، ذلك الفتى المسكين .

نيـــد : قتله رجال الشرطة . وذاك دين آخر سوف يؤدون عليه ثمنا . .

بـــيرن حسبت أنهم سوف يهاجمون الخان .

نيـــد : ينتظرون القمر ، وفي النهار ، ينتظرون ان يعززوا قواتهم .

لكنني لن أنتظر .

بيرن : تقول إنك لن تنتظر ، لكن ستنتظر ، وكلنا سننتظر .

نيد : لم سننتظر ؟

بيرن : من أجل لاشئ . ولكن رغم ذاك ، سننتظر .

نيد : نشبه الثيران وهى تستظل في فناء المجزرة .
سوف تموت ناعما بالظل والبرود .

بيرن : ساعتان ، أوثلاث ، قد تكون أربعا
من قبل أن ينبلج النهار . وربما سننتظر
نصغى إلى طقطقة الساعة اذ تطل من حائطها .
مازال في الزجاجة التى أمامنا « روم » كثير .

نيد : الق بها يا (جو) للجحيم !
(دان) ، و « هارت » جاثمين في المؤخرة
شاخصين كل واحد إلى أخيه ، يرتعشان
كأرنبين قابلهما ثعبان .
لكن أنت — تعال يا « جو » معى . نهاجم المتربصين .

بيرن : نهجم ضد حائط من الرصاص ؟

نيد : من أجل ذاك قد توسلنا بهذه الدروع .

بيرن : في كل درع فجوة عند كل ركبة ، وعند كل مرفق وفيه فجوة يا « نيد » عند الفم ، والدرع حلم ، مثلما تعلم عنـه .

نيد : سوف يرد طلقة الرصاص .

بيرن : سوف يهاجمونا ، وسوف يطغون علينا بالعدد .

نيد : اذا خرجنا كلنا مندفعين هاجمين

نطلق الرصاص من كل سلاحنا معا ، نصليهم بوقده لسوف يكسرون ، ولن يقابلونا أبدا .

بيرن : قل هذه الفكرة « لاستيف » .

نيد : خصومنا ليسوا سوى شرطة .

بيرن : أخبر بذاك ، أخاك « دان » .

فانه ليس سوى فتى ، وهذه الليلة قد قتل هاهنافتى وقد رأى أخوك ، مايمكن الشرطة صنعه .

أظن أنه كان على وهم بأن طلقة الرصاص من يد الشرطـى

كانت بعض شئ ناعم ، مختلف عن الذى نألفه ،
فلا تقتل ، وربما لا تصله ،
بل لم تكن رصاصة في ذاتها .

نيـــد : انا وأنت نستطيع ان نؤدب الشرطة وحدنا .
هيا معى يا « جو » . وأنت تدرى أنها فرصتنـــا
الوحيدة التى ليست تعوض . هيا معى الآن نبادر .

بـــيرن : توجد حولنا حلقة نيرانها متقدة .
وخلف تلك النار حلقة من شرطة الفرسان .
من أجلنا قد استعدوا بلظى النيران والبنادق المهيأة،
من نحن في هذا الصدد ، كى نستطيع السير وسط
شعلة من اللهب ؟

نيـــد : لسنا اذن عصبة « كيللى » ان قعدنا هاهنا ،
نندب حظنا ، وذاك كل ما أعرفـــه .

بـــيرن : ان الذى تعرفه أكثر مما قلتـــه .
تعرف ان هذه أول مرة حاسمة ، ،
تخطئ خطة لنا كل حياتنا،وانت تدرى ان مبلغ الخطأ
قد بلغ الزبى ، ولن يعيده إلى الصواب أى شئ أبدا

فماتحطم القطار .وهاهنا الشرطة محدقين ليوقعوا بنا
ولسنا في العراء ، حيث كان ممكنا سنوح فرصة لنا
ويوشك النهار أن يجئ .
سوف تأتى نجدة لفرقة الشرطة ، لكن مالنا من
نجدة .

نيـد : حسنا اذن أغلقت الأبواب دوننا ، وفاتت الفرص.
لكن مازالت لدينا فرصة ،
اذا انبرينا للقتال خارجا .

بـيرن : وأنت أيضا ، تعلم
بأن ذا الباب الذى نفتحه لنخرج ،
خارج ذاك الباب يفغر الفناء حلقه لنا .

نيـد : تقصد الشرطة .

بـيرن : خارج ذاك الباب مرصد لنا أكثر من عداوة الشرطة
أستراليا كلها . كل الرجال التافهين الغاضبين ،
أولئك الذين قد تألبوا لحربنا يجرونا لهم إلى وطيسها !
مثل « ليفنج » ومثل » كيرناو » وغير ذين ،
كل الرجال من ذوى النفوذ ، أولئك الذين ،
تقبلوا منا التحدى ،

كذاك قتلانا الذين دمهم على أكفنا !

« سكانلون » و « كينيدى » و « لونيرجان »

كل هؤلاء واقفون ، منتظرون ، ان تفتح الباب

كل لكى يهاجموك .

نيـــد : أسأمتني بهذه الشكوى وذا التذمر السخيف .

بـــيرن : أما أنا فهذه الليلة قد سئمت من ذاتى وقد غثيت .

سئمت من أشياء ، قد رأيتها .

سئمت أشياء ، قد قمنا بها معاً .

ذاك الفتى الذى قضى . . . من أجل ماذا كان قتله ؟

لأنه كان مع عصبتنا ، راقبنا واحتك بنا

تنسم الهواء معنا ، ذاك الذى بثثنا فيه سمنا .

الموت في نفسنا ، انّا نسمّمُ النور !

نور الشمس والمصباح .

خارج ذاك الباب يوجد الناس الذين منهم سخرنا وهزأنا بفعالهم .

الأمناء ، من يعيشون مع جيرانهم بالأمن والسلام،

أولئك الذين قد عشنا بأمنهم ، وقد عبثنا بجلاله جميعه .

والآن نحن في إسارهم .

نيـــد : لات حين مخرج مما وقعنا في حبائله .

ولات حين مندم لنذرف الدمع على ما اقترفت اكفنا ،

وكل ما يهمنا هو الذى نصنعه الآن فصاعدا .

بـــيرن : بل الذى لابد أن يهمنا ما اقترفت أكفنا .

« سكانلون » و « كينيدى و «لونيرجان »

كانت لهم زوجات ، بل كان لهم أطفال .

نيـــد : ولى أم كان من كيد « الشرطة » وضعها

في سجن « مليورن » ، وحرمانى من حنانها .

بـــيرن : و « جاك جونز » لم يمت من أجل ذنب قد جناه.

نيـــد : قتلــه رجال الشرطة .

بـــيرن : لقد صدرنا اليوم للحساب ، كى نرى أعمالنا .

نيـــد : إن عاجــلا أو آجلا ،

لابد من أن يصدر الإنسان للحساب ، لكى يرى

أعماله في هذه الدنيا ، فإن لم يكن الآن ففى غد .

بـــيرن : لكنما حسابنا الآن ، وذا خير الجزاء .

نيـــد : ماأكثر الذين مثلى قد تكلفوا أن يقتلوا النفس المحرمه
فليس يحصى عدد لهم ، إن هم قيسوا بى مفردا .
لكن من قد قتلوا ليسوا كثيرين إلى الحد الذى بـــه
يبالـــغ .

أنا بذاتى سأموت ، في هذه الليلة ان حم قضائى
وتناهى أجلى .

وهكذا كان محتما أن يموت من قضى من قوة
« الشرطة » ،

إن كان لابد بأن نعيش مثلما نود ،

بالله ، قل لى كيف كانوا يسلكون ، وما أرادوه
بنـــــا ؟

ونحن لم نعش الا كما يعيش أحرار الرجال ،

فلم نكن نخاف أن نركض بالخيل هناك وهنا

وكم ركبنا الخيل ضاحكين ، هازئين بالخطر .

والآن لن أبدأ بالشكوى وبالتذمر السخيف .

فإن تكونوا كلكم رُوعتم ، وخوفكم ليس عليه من مزيد ،
فسوف أغدو خارجا من هاهنا بمفردى .

بيرن ! اخرج اذن ، بمفردك . فذاك ماتهوى وما تريد .
فحمات النيران في اشتعال ، والبندقيات على أشدها منتظرة ،
لسوف تغدو خارجا في وهج المجد الذى تبغى بلوغه
وقعت فينا كلنا ، لكى نصير حطبا مشتعلا ، لجثتك
حين تعد للحريق يوم مأتمك .

نيد ! (بكل ماأوتى من قوة وثبات ، ويكاد يكون مبتهجا جذلا ، حينما يعتمر خوذته ، ثم يسير بخطى واسعة واثقة نحو الباب) !
إلى الجحيم كلكم إذن ، إنى لخارج
(يتوقف برهة ، ثم يلقى توسله الأخير .)
هل أنت خارج معى ، يا « جو » ؟

بيرن : لا ، لست خارجا :
(يشرع خلع درعه .)

نيد : (وهو ذاهب) ! اذن ، إلى للقاء :

بيرن : (يندفع وراء « نيد » ناحية الباب) :

يا « نيد » عد! يا « نيد » !

(تطلق رصاصة ، ويتنحى « بيرن » جانبا بسرعة من لدى الباب ويغلقه .

يندفع « دان » و « هارت » والساقية داخلين من ناحية اليمين .)

دان : يا « جو » ماالذى يجرى هنا ؟ هل داهموا الخان وأين « نيد » ؟

بيرن : لقد خرج .

الساقية : هل أصبت يا « جو » ؟ لقد جرحت !

هارت : (يسارق النظر إلى الخارج حذرا من جانب النافذة) :

ليس للشرطة من أثر .

بيرن : تريثوا ، فلست مجروحا ، ولم أصب .

« نيد » قد مضى ، وذاك كل ماجرى .

دان : مضى — إلى أين مضى ؟

هل يقاتل الشرطة وحده ؟ لكن لا يسمع اطلاق رصاص في الفضاء .

ولم يصيبوه بشر ، أم أصابه منهم أذى ؟

هــارت : (ومازال عند النافذة) : لو كان قد أصيب لكان ممتدا على الثرى ، ليس هناك أحد .

بــيرن : بل أطلقوا النار علّي . اذ كنت أدعو « نيد » أن يعود انساب دائرا بجانب البيت ولكن لم يروه .

لسوف تلقى منهم اصابة يا « ستيف » .

اذا بدا منك لهم أثر ، من عند تلك النافذة .

هــارت : (يرتد مبتعدا من عند النافذة) : لكن مايقصــد من خروجـــه ؟

لن يستطيع ذلك الغبى ان يقاتل الشرطة كلهـــــم بمفرده .

بــيرن : لست أدرى أنه مضى مقاتلا . لقد مضى ، وذاك مافي الأمر كله .

هــارت : يقدر أن يبلغ مهره — فمهره في الغاب في ركن ركين لقد مضى اذن ، وخاننا .

دان : جزاء ما افتريت سوف أقتلـــك !

الساقيــة : لن يتخلى « نيد » عن « جو » ، بل ولن يخونه.

بـــيرن : (يسير متجهاً ناحية النافذة) : أنا الذى تركته .
لقد رجانى أن أصاحبه ، لكننى رفضت .

الساقيـــة : لو خرجتما كلا كما لكنتما قتلتما معا .

دان : وقتلنا ـ بلا منازع ـ محقق هنا .

هـــارت : سوف يداهموننا في مطلع النهار .

دان : سيشعلون النار في الخان فيجلونا الدخان
لكى ينوشنا رصاصهم .

هـــارت : نحن اذن في المصيدة . لقد وقعنا مثل الجرذان .

بـــيرن : (عند النافذة) : في ليلة الأمس القريب ،
كان رجل ، اسمه « هارون شيريت » أوقع في مصيدة مثل الجرذ .
الآن قد نجا من ربقة الحياة .
لعله غدا فتى يعوم في الغدير ،
يطفو مع أخيلة الصفصاف في هدوئها على صفاء المـــــاء .

الساقيـــة : تعال يا « جو » هاهنا ، ابعد عن الشباك .

دان : هيا بنا نلحق « نيد » . يمكن أن نفلت كلنا .

بـيرن : لات حينا لانفلاتنا . لانستطيع الآن فتح الباب
وان فتحته لأطلقوا الرصاص .

هـارت : اذن لنستسلم للشرطة .

بـيرن : ان تفتح الباب صلتك النار من رصاصهم .

الساقيـة : يا « جو » بالله ابتعد إلى هنا من ذلك الشباك .

بـيرن : ما أحسن المنظر ، ياحبيبتى .
نيرانه ، ظلاله ، وعمق ليله اللطيف برده .
أيتها السيدة الجميلة البيضاء ، ظلام هذا الليل كم
له من أثر على أكثر مما لك من أثر .
فلتندبينى ، فلقد وددت أن أحب .

هـارت : وحتى في وقت مثل ذا ، لا تنثنى مثرثرا ، يأيهـا
الغبى .

بـيرن : سجيتى تجاوز الحدود في الكلام . انى لآسف .
فقت الحدود في الكلام عندما حدثت « نيد » .

دان : لولا كلامك الكثير ما خلفنا هنا .

هـارت : قد كنت أدرى أنه سوف يخوننا . أخبرت « جو »
بذاك .

فلم يكن — غير نفسه — يهمه أحد .

بـيرن : نحن كذاك كلنا .

الساقية : (تتشبث بـ « بيرن » وتحاول جره مبتعدة به من النافذة) :

يا « جو » تدرى أنهم يراقبون . أبغض تلك النافذة .

هناك حيث قتلوا « جاك » المسكين الصغير .

بـيرن : كذا اذن ، هناك كان مقتله .

الساقية : (تصرخ هلعة) : يا « جو » ، ابتعد إلى هنا .

(تسمع طلقة رصاصة ، ويسقط « بيرن » أرضا .)

دان : (صارخا) : يا « نيد » قد أردوه !

هـارت : لقد قضى . فما الذى نقدر أن نفعله !

دان : والله لن أوخذ حيا ، بل ولن أشنق حتى الموت .

الخيران أن تنهى حياتى برصاص من يدى .

هـارت : سوف تكون شاهد الإثبات ، باسم الملكة .

دان : (مشددا في التهديد) :

وأنت أيضا سوف يرديك رصاص من يدى .

الفصـــل الرابع

المنظر الثالث

(أرض براح ، في الغابة ، خارج الفندق . عند طلوع النهار .

يمثل المشهد أمام ستارة ضبابية قد نقشت عليها صور تمثل أشجار لبان النور ضئيل . عندما يرتفع الستار ، يظل جو من الصمت مخيما فترة وجيزة .

ثم تسمع أصوات ، خارج المسرح ، من ناحية اليسار .)

صوت أول : البرد ما أشده في ذا المكان !

صوت ثان : البرد دائما يكون ، على أشده في مطلع النهار .

الصوت الاول : كان علينا أن ندهم الحانة عنوة ،

ان لم نجد « كيللى » وعصبته

ننعم بما فيها من « الروم » لكى يدفئنا .

الصوت الثانى : سرعان ماتستيقظ الشمس .

وكل شئ ينتهى .

(من ناحية المسرح اليسرى تدوى طلقة رصاصة .
ويبدو « نيد » للعيان متقدما بخطى واسعة ويطلق
النار مرة أخرى ، وهو مجلل بدرعه ومعتمـــــر
خوذته ، ويبدو ، شكله مهولا جبارا من خلا ل
الضوء الضبابى .)

الصوت الاول : تطلعوا ، يأيها الرجال !

الصوت الثانى : ذلك « نيد كيللى » !

الصوت الاول : هيا اقنصوه ! أجهزوا عليـــه !

(ينهال وابل من الرصاص .)

نيــد : (يصرخ بصوت داو مع تقدمه في السير) :

نعم اذن ، يأيها الأعداء ، هاهنا « كيللى » أمامكم .
انتم اذن تبغوننى ، ألستم تبغوننى ؟
اذن تعالوا ، أجهزوا على .
أو أنظرونى ، وسآتى وابيدكم .
فأطلقوا النار ، استمروا ، فلماذا لم تصبوا ناركم
على ثم أنتهى ؟
هنا طريد الشرع والقانون ! بل هاهنا الشخـــص
الذى تبغون صيده .

من هاش خيلكم ليلا ، ومن أخلى بنوككم.
لماذا لا تأتون تصطادونني؟ كمثل ماأتى « سكانلون »
و « كينيدى » و « لونيرجان » ، أولئك الذين
أفنيتهم يوم « سترنجيبارك » في الممر !
هل معكم « كيرناو » ؟ فقد اذن جيشك ،
يا « كيرناو » !

(يسمع مزيد من طلقات الرصاص ، والصراخ .)

أصوات : أوقفوه ! اقبضوا عليه ! أوقفوه !

نيد : خاب رجاؤكم ! لن تقدروا على .
والآن أمضى حيثما أشاء ، أفعل ما أشاء .
هيا اخرجوا من حيث أنتم ، خلف الشجر
إن كان في امكانكم ، بحسب ظنكم ، أن توقفونى
عنوة .
انتم ثلاثون وأنا وحدى ،أليس ذلك الذى تفضلون ؟
هيا قفوا صفا ولاقونى اذن جميعكم !
هذا الذى أردتموه ، طالبينه :
دفعتمونى أن أخلى مسكنى ، صيرتمونى خارجاً عن
حرمة القانون ،

بعثتم القناص خلفي كي يصيدني ، أغريتم بي
صحبتي بمالكم

شريتم منهم دمي ، ليغدروا بي ويتيحوا مقتلي لكم ،
بيتّم صيدي كأنني كلب شريد ، تلحق بي
كلابكم سود الإهاب .

وكان موتكم على يدي محتما ليلة أمس ، لو أنني
استطعت ،

لكن مازالت أمامي فرصة أبيد بعضكم .

أصــوات : ناراً على ساقيه ! تحت الدرع ! ناراً ، نار !

نيــد : حكمتم عقولكم ، لا تتركوني دون أذى .
اذن فهيا أقبلوا وقاتلوني كلكـــم .

(حالما ينتهي حديثه بنبرة مهددة ضارية تسمـــع
طلقة مفردة ، ويترنح « نيد » ثم يهوى . وتسود
فترة وجيزة من السكون .)

شرطي خيال : (يخامره تهيب يلجمه) : تطلعوا اليه حيثما صرع .
ملقى على الصعيـــد .
ذاك « نيد » ، « نيد كيللي » نفسه .

آخـــر : كان بامكانه أن يفر لائذا بالغاب ، وان يعـاود القتال ثانيـة !

الشرطي الخيال :
الأول
لله ما كانت حياته ، كانت جنونا مطلقا وعزلـة طاغيـة

وبالموته منفردا ، ألَّب دنياه عليه كلها

ثم قضى ، كما ترون ، في الغاب ، في « جلينراوان »

أصـوات : (صارخة) : لقد هوى ! لقد هوى وباد .

مرحى لنا في قهره ! مرحى لنا لقد قهرنا نيـد كيللي .

(يندفع الشرطة الخيالة إلى الأمام من كل ناحية ، ويتجمهرون حول الجثمان الملقى أرضا .)

★★★

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ ـ مقدمة بقلم الدكتور على الحديدى	٧
٢ ـ بيان باكثر مؤلفات دوجلاس سنيوارت ...	٤٥
٣ ـ شخصيات المسرحية	٤٧
٤ ـ الفصل الأول ـ المنظر الاول	٤٩
٥ ـ الفصل الاول ـ المنظر الثانى	١١١
٦ ـ الفصل الثانى ـ المنظر الاول	٢٣١
٧ ـ الفصل الثالث ـ المنظر الاول	٣٥٥
٨ ـ الفصل الثالث ـ المنظر الثانى	٣٩٣
٩ ـ الفصل الرابع ـ المنظر الاول	٤٠٥
١٠ ـ الفصل الرابع ـ المنظر الثانى	٤٦٩
١١ ـ الفصل الرابع ـ المنظر الثالث	٤٨٥

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

مسرحية ((العين بالعين))

تأليف : وليم شكسبير **ترجمة : د . زاخر غبريال**

ألف شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) هذه المسرحية عام ١٦٠٤ . ومعنى هذا انها تقع فى فترة نضوجه . وتبحث هذه المسرحية مشكلة الخير والشر فى اطار اجتماعى ومن زاوية خاصة حجر الاساس فيها هو معنى العدالة .

والسؤال المطروح هنا هو : هل يحقق القانون الوضعى العدالة؟ أم ان هناك معانى انسانية أسمى من القانون ينبغى ان تؤخذ أولا فى الاعتبار ، ولا تتحقق العدالة الا بها ، هذا هو محور الصراع فى هذه المسرحية .

وفى سبيل الاجابة على هذا السؤال يعرض شكسبير أنماطا من البشر متباينة ، وينعكس تباينها أوجه المشكلة المختلفة ، كما يعرض صورا من الحياة الاجتماعية بما تحويه من تضارب وتناقض يكشف عن مكنونات النفس البشرية .

نلتقى فى هذه المسرحية بالمهيمن على تطبيق القانون وهو أول خارق له ، والفتاة التى تبذل النفيس كى تنقذ اخاها من حكم جائر ، والمسجون الذى يجد فى السجن لذة وراحة تبعده عن مشاق الحياة ، والداعرة التى هى أكثر نقاء ممن يتصنعون الشرف ، والمنافق الذى لاهم له الا مداهنة الحكام ، وأخيرا بالامير الذى يتنكر فى مسوح الرهبان كى يرى الامور على حقيقتها دون زيف ممهدا بذلك لاحلال العدالة المبنية على الشرعة الانسانية ، وليس على النصوص الجامدة .

هذه مسرحية تمتاز بكثير من الصراحة التى كانت تميز المسرح فى عصر اليزابيت والتى كان لشكسبير منها حظ كبير . هذا فضلا عن حبكتها القصصية الرائعة التى تمتلك على المشاهد اسماعه وابصاره متابعا خيوطا تتشابك حتى ليظن ان بطلها مقضى عليه لا محالة ، فاذا بالامور تتبدل من حيث لا يحتسب ، واذا بالغيوم تنجاب فى يسر طبيعى ، وينتصر الخير أخيرا .

وقد كان لهذه المسرحية نجاح متصل على المسرح منذ كتابتها . كما اخرجت للتلفزيون عشرات المرات فى انجلترا وأمريكا على السواء اذ رغم أن المشكلة التى تعالجها المسرحية عقلية وفلسفية الى حد ما ، الا ان شكسبير أفلح تماما فى عرضها فى اطار مسرحى مديرا حواره فى براعة فائقة ، وخالقا شخوصة بحيث ينبضون بالحياة . ومهما كان عمقه الفلسفى فهو قادر دائما على تيسير الافكار بحيث تصبح سهلة التناول .

وليس من شك فى ان القارىء سيجد فى هذه الترجمة العربية متعة حقيقية وفائدة كبرى .